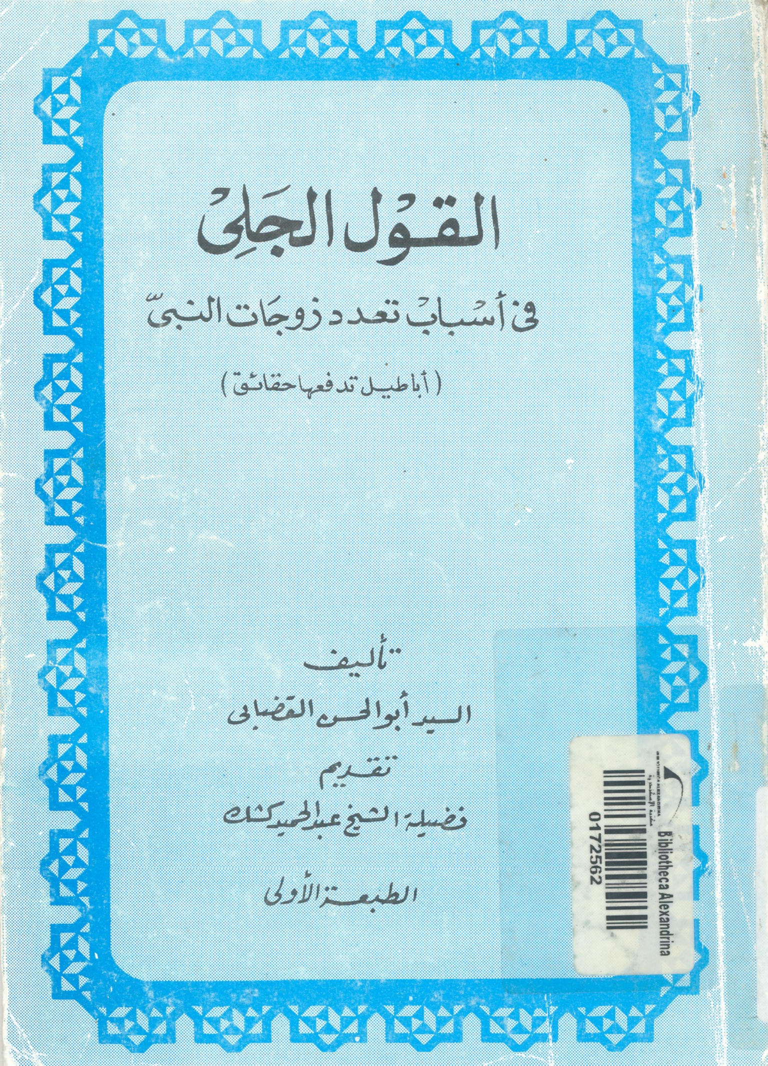


القول الجلي

في أسباب تعدد زوجات النبي

(أباطيل تدفعها حقائق)

تأليف

السيد أبو الحسن القضابي

تقديم

فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك

الطبعة الأولى

بحوث إسلاميه

إهداء
أهدى هذه النسخة من كتابي
إلى مكتبة الاسكندرية
المؤلف
السيد حسن السيد
سوهاج ونزيل الغربية
الاسكندرية الرمل الميري
١٩ ش تقي التبريزي

[redacted]

القول الجلي

في أسباب تعدد زوجات النبي

أباطيل تدفعها حقائق!

تأليف

DL السيد أبو الحسن القضابي

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ،

ولكم الويل مما تصفون » ٠

(سورة الأنبياء آية ١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

- تقـــديم -

بقلم فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك

الحمد لله رب العالمين .. وأشهد أن لا إله الا الله ولي الصالحين .. وأشهد ان سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين . أرسله ربه بالشريعة الغراء ، فبدد بها غياهب الظلمات وفلول الدجى . وبعثه بتوحيد العقائد لا لتفريق القواعد فوحد الأمة على كلمة التوحيد ، ففتح بها أعيناً عمياً وآذانا صما وقلوبا غلفا .

جاءنا بشرع كالشمس في ضحاها ، وجاءنا بسنه كالقمر اذا تلاها . فمن اتبع هداه عاش في ضوء النهار اذا جلاها ، ومن أعرض عن ذكره تخبط في ظلمه الليل اذا يغشاها .. قال تعالى : « فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فانه له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال : رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (١) سيدى أبا القاسم يا رسول الله .

نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغمة ، ومحوت الظلمة ، وجاهدت في سبيل الله حق جهاده ، حتى أتاك اليقين .

فجزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ورسولا عن قومه .

وبعد ...

فانه يسرني ويثلج صدري ، بل ويملؤ جانبيى الفخار - أن اقدم لهذا الكتاب « القول الجلي .. في أسباب تعدد زوجات النبي » - ﷺ الله عليه وسلم - كما يسعدني أن اسأل الله تعالى أن يوفق مؤلفه الأخ الكريم (السيد ابو الحسن محمد) فقد بذل فيه جهدا جهيدا ، وغرض فيه لقضيته طالما حاول المستشرقون ومن لف لفهم من المستغربين ، أن يثيروا الغبار على موضوعها . ونسوا أو تناسوا أنهم سيثيرون التراب على أنفسهم

---

(١) (طه ١٢٤ - ١٢٦)

وسوف تظل السماء ضاحكة السن بسامة المحيا « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله »(١) ان هؤلاء الناس • في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، وفي نفوسهم حقد دفين على نبي الاسلام صلوات ربي وسلامه عليه •

فالكون كله يشهد أن تاريخ محمد أنصع من ماء الغمام ، وأطهر من السحابة في سمائها ، فهو الطهارة كلها ، والنظافة جميعها • هو الطاهر في يقظته ومنامه النظيف في شرابه وطعامه ، الكريم في خلقه وشمائله ، العفيف في بيته وزواجه « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** »(٢)

لقد أراد هؤلاء الأقزام ، أن يطاولوا السماء ، وأن يمدوا الى الشمس يداً شلاء ، وأن يمضغوا الهواء ، ويفتلوا من الرمال حبالا •• فتعرضوا لتعدد أزواج الرسول الكريم — يحاولون أن يجدوا في ذلك مغمزا لطاعم أو مطعما لغامز ، وكانوا « **كباسط كفية الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال** »(٣) •

فجاء هذا الكتاب •• يفيض علماً •• يوجه المدفعية الثقيلة الى تلك الجبهة الباطلة فينسفها نسفاً ، فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا •

ولا أحب أن أسبق الأحداث ، ولكني أقول للقارىء الكريم ، سأترك لك [illegible] فيما حواه هذا السفر من بحث قوى متين ، وأسلوب رائد وأدلة قاطعة ، وبرهان ساطع •• وفق الله تعالى الأمة الاسلامية لتوحيد الصف والوقوف خلف استاذها الأكبر ونبيها الأكرم وقائدها الأعظم وصاحب الرسالة العصماء — محمد — ﷺ •

والله ولي التوفيق ••

عبد الحميد كشك

القاهرة — في ٩ من شهر ربيع الثاني عام تسع وأربعمائة وألف من الهجرة •

الموافق التاسع عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٨٨ من ميلاد السيد المسيح بن مريم •

---

(١) (آل عمران : ٧) (٢) (الأحزاب : ٢١)

(٣) (الرعد : ١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

« تمهيـــد »

الحمد لله رب العـالمين .. والصـلاة والســـلام على سيد الخلق أجمعين .. وبعد .

فهذا الموضـوع الذى نحن بصدد التحدث عنه ، يثير أهمية بالغة لدى علماء الشرق والغرب ومفكريهم ، مسلمين وغير مسلمين وخاصة فى زماننا هذا ، وهى قضية تعدد زوجـات الرسـول ﷺ وهى تعد بحق من القضايا الهامة التى لا تزال تشـغل بال المفكرين والبـاحثين ، وذلك لأن هذه القضية يبدو فيها الغموض والابهام اللذان يؤديان الى الغرابة واللبس .

لذا ، أصبح الشغل الشاغل فى كل مجتمع أثاره هذه التساؤلات .

ما السبب الذى جعل النبى يبيح لنفسه ما يحرمه على غيره ؟! وكيف يأتى بشرع لا يطبقه على نفسه ؟!

ولماذا يجعل الله حدا أقصى للنساء فى قوله : (**مثنى وثلاث ورباع** » ولا يحد رســول الله نفســه بهذا الحد ؟! بل أخذ يتمتع بحرية مطلقة فى هذا المجال .

وفى أى مكان يثار هذا الموضوع تبدأ علامات الاستفهام بطرح أنفسها أمام أعين الحيارى فى هذا الموضوع .

وبعد أخذ ورد ، ومد وجزر قد يجـد بغيته ويفطن الى الحكمة من وراء هذا التعدد . وربما لا يجد ماتقر به عينه في هذا الموضوع .

ومن هنا أخذ المنافقون من المستشرقين وأعداء الاسلام من هذا الزواج ذريعة للطعن في الدين الحنيف ، يهدفون في ذلك الى تحقيق ثلاثـة اغراض أساسية من اغراضهم الدنيئة .

أما الغرض الاول . فهو الطعن فى نبوه المعصوم ــ ﷺ الله عليه وسلم والتقليل من شأنه ، ووصفه بصفات لا تليق به ــ بوصفه نبى ورسول .

الغرض الثانى . هو تشكيك المسلمين في أمر نبيهم أولا وفي دينهم وتشريعهم ثانيا ، وانتشار الفتنة الحمقاء بينهم .

الغرض الثالث . والهدف منه واضح وجلى ، وهو تنفير غير المسلمين عن الدخول في الاسلام وعدم الاقبال عليه ، ووصفه بأبشع الصور عند من لا يدينون به .

وهذه المآرب السيئة والأغراض الحقيرة هي ما يهدفون الى تحقيقها ليست في هذه الحملة فقط انما في كل حملاتهم التي يشنونها على المسلمين والدافع الى ذلك هو ما أوضحه لنا رب العالمين سبحانه اذ يقول : « **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** »(١)

« ٢ »

وقد أخرج المستشرقون ومبشروا المسيحية من هذه القضية ثلاث شبهات كاذبة ، سوف نعرضها على التوالي . لان مضمون الكتاب ومنهجه ، سيقوم — ان شاء الله تعالى — على دحض هذه المفتريات فريه بعد فريه . مثبتين بالأدلة الثابتة والبراهين الساطعة ، براءة النبي وعصمته — ﷺ الله عليه وسلم . مما قذفه به أعداءه ، وما أشاعوا ورددوه من أقوال كاذبه ودعاوى باطلة اذ أنه صاحب الطهر الكامل والعفة التامة ، وكيف لا ... وقد أشاد القرآن الكريم بجميل طبعه وحسن خلقه . فيقول عنه سبحانه : « **وانك لعلى خلق عظيم** »(١)

اما عن الشبهات الثلاثة — التي وعدنا بسردها — والتي أخرجها المتحزلقون من قضية تعدد زوجاته ﷺ فهي كالتالي : —

الشبهة الاولى . يقولون فيها : كيف يأتي نبيكم بشرع لا يطبقه على نفسه فشرعه لا يبيح الزواج بأكثر من أربع وهو قد تزوج بأكثر من ذلك . حتى أنه مات عن تسع نساء ؟ !

الشبة الثانية . يقولون فيها : ان محمدا رجل شهواني ، لا يملك زمام شهوته ، يحب المتعة الجسدية والميل الى النساء . بدليل أنه لم يكتف بواحده بل ضم اليه عدة نساء ! !

الشبهة الثالثة: يقولون فيها: ان محمدا كان يحب النظر الى نساء الغير ويقصدون بذلك زواجه من السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها — التي كانت زوجا لمولاه زيد بن حارثه — ويعتمدون في ذلك على روايات كاذبة تجنى بها التاريخ على رسول الله — ﷺ الله عليه وسلم .

وهذه الشحنات الكثيفة والسهام المسمومة التي تسلطوها صوب المسلمين ليست هي أول حملاتهم ولا آخرها . فهم دائبون في المحاربة

(١) (النساء : ٨٩)

(١) (القلم : ٤)

لديننـا بلا راحة وبلا انقطاع ، الا أن يشـاء الله لهم الهداية أو يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وكيف ينتهون وقد فضح القرآن أمرهم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا حيث يقول سبحانه : « **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهـدى ولئن اتبعت أهواءهم بعـد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير** »(١)

ويقول عز من قائل :« **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق** »(٢)

ومن هذا المنطلق القرآنى نعلم الدافع الى اثارة هذه الشبهات الباطلة وهو الحقد الأسود ، والبغضاء التى هاجت واشتعلت فى قلوبهم على رسول الله وشريعته الغراء حسدا من عند أنفسهم :

وأظلم خـلق الله من بات حاسـدا   لمـن بـات فى نعمـائه يتقلب

حقـا أنه الحسـد ولا شىء غـيره تقودهم الى ذلك نفوسهم الحمقى وقلوبهم المريضة ٠

كبهيمة عميـاء قـاد زمامهـا   أعمى على عـوج الطريق الأعـوج

والرسول — ﷺ — مبرؤ ومنزه ممـا وصفوه به من شهوه ومتعه وحب للنساء وغيره قال تعالى : « **وتصف السنتهم الكذب** » ولسان الحال يخاطبهم قائلا :

والله يشـهد والأملاك والأمم

« ٣ »

وهذه المفتريات التى أثارها المستشرقون والمبشرون أمثال « موير ، وأرفنج ، ودرمنجيم ، ومرجليوث ، وسبرنجر ، وجوستاف لوبون ٠٠٠ » وغيرهم من الذين لا يرتدعون بالحجج والأدلة المنطقية الصحيحة وأيضـا رؤساء الكنائس الذين لهم الباع الطويل فى دق ناقوس هذه الاشـاعات الكاذبة التى مازالوا يرددونهـا حتى اليوم ٠ أمثـال : القس بيكر والقس « جيمى سـواجرت » رئيس المجمع الكنسى العـالمى (بأمريكا) ومن على شاكلته من الضالين ٠

---

(١) (البقرة : ١٢٠)   (٢) (البقرة : ١٠٩)

الى أن قيض الله له رجلا متواضعا هو الدكتور « أحمد ديدات » الذى نشأ فى بلاد تعانى من الاستبداد والقهر العنصرى ، ولا يملك هذا الدكتور قليلا أو كثيرا مما يملكه هذا القس اللعين من الخواتيم والصلبان الذهبية التى لمع بريقها عندما سلطت عليها الأضواء الكاشـفة ، فى مناظرة كبيرة قامت بينهما ، اعتمد فيهـا الدكتور على الحجة القوية والبرهـــان النير واعتمد فيهـا القس المـاكر على ألاعيب وحركات بهلوانية خـادعة ، حتى عـلا صوت الحق ، وأظهر الله الغلبة لدينه ، وبهت الذى كفر ورجـع على أعقابه خاسرا ، وفضح الله أمره أمام أتباعه وغير أتبـاعه وظهرت علاقاته السرية بالخليلات والعاهرات . فقد سـقط هذا المبشر التنصيرى اللعين وسابقه أيضا ، نتيجة فضيحة جنسية تتعلق بالخيانة الزوجية ... !!

وغير الدكتور « أحمد ديدات » لم تعدم هذه الأباطيل ردا من علماء المسلمين وعباقرة الدعوة — جزاهم الله خيرا . حيث نهض علمـاء أفذاذ ، حظوا بشرف الدفاع عن نبيهم الكريم ، وقـاموا بالرد على هذه الشـبهات السقيمة ، سواء فى كتبهم أو دروسهم .

وهذه الردود المنطقية . لم يقتنع بها أصحاب العناد واللجاج وقابلوها بالاعتراض تارة والجحود والنكران تـارة أخـرى ، ومازالوا يتيهون فى عمى الضلالة ، وتسول لهم أنفسهم أن النبى شهوانى حقا ، وكما عبر عن ذلك الدكتور الطيب النجار فى كتـــابه (القول المبين فى سـيرة سـيد المرسلين) حيث يقول : « ولكن هذا المنطق السليم لم يقنع هؤلاء السادرين فى الغى والضلالة فظلوا على موقفهم من نبى الاســلام يطلقون حوله التهم الكاذبة والأراجيف الباطلة . فماذا يمكن أن يقال لمثل هؤلاء ما دام الحقد على نبى الاسلام قد أكل قلوبهم » .

وعلى هذا الأساس المرير لا نجد حقا ما نقوله لهؤلاء الجاحدين الذين لا يقتنعون بالقضايا المنطقية غير قوله سبحانه : « **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون** »(١) .

والسبب الأساسى فى ذلك أن المستشرقين والمبشرين ومن لف لفهم من المستغربين أيضا . يتشبثون بروايات مختلفة باطلة تجنى بها التاريخ على رسول الله ﷺ . حيث زرعها أمثالهم قديما فى تاريخ الاسلام وتراثه ، ليرددها أتباعهم من المنافقين حديثا ، لينالوا مآربهم الدنيئة من الاســلام

(١) (الروم : ٤٤)

وأتباعه ، وحتى بعد بيان بطلان هـذه الروايات الواهية وكشف زيفهـا وكذبهـا ، الا أنهم مستمسـكون بها ، ويطلقون من خلالهـا الأراجيف وينسـجون مفترياتهم الآثمة · ولكن القرآن الكريم يزداد اعجـازا عندما يضع الوصف الدقيق لهؤلاء من أربعة عشر قرنا وأكثر فيقول : « **وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** »(١) ·

وثمة فريق آخـر منهم · يعلمون الحق ، وفطنوا الى حكمة التعدد ، واستيقنتها أنفسهم ، الا أنهم أنكروا الحقيقة التى علموها ، هدفهم من ذلك هو تلبيس الحق بالباطل ، لتشويه صورة الاسلام عند المسلمين وغيرهم ، وانتشار الفتنة واشعال لهيبها بين أتباعه لتمزيق صفوفهم وتفريق جمعهم وضعف شوكتهم · قال تعالى : « **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسـهم ظلمـا وعلوا** »(٢) ·

وثمة فريق آخر منهم ، أدركوا الحق ونطقوا به الا أنهم سدوا ثغره ليفتحوا لأنفسهم ثغرات أخرى ليدخلوا من خلالها بمفتريات أخرى ، ودعاوى جديدة ومن ذلك الكاتبة الانجليزية « تسـاريس وادى » وهى مستشرقة مسيحية فى كتابها (العقل المسلم) وفى كتابها هذا نراها أنصفت الحق فى زواج الرسول ﷺ ودافعت بأنه لم يكن هـذا الزواج بدافع الشـهوة والرغبة الجسدية ، لأنه تخطى سن الشباب وهو مع زوجة واحدة ·

وعلى كل فان الكتاب وما يحتويه قد تعرض له الدكتور · عبد الجليل شلبى بالتحليل الكامل والنقد الجيد فى كتـابه (صـور استشراقية) ومما أخذه على المستشرقة تقسيمها المسلمين الى قسمين فيقول : « وشىء آخر جاء فى هذا الكتـاب مما كان يحتاج الى تعديل ، وهو جعـل المؤلفة المسلمين قسمين : سنيين ، وشيعة ، والمؤلفة تجرى فى هـذا على ما هو مألوف وجار به العرف فى انجلترا » وعلى كل فـان هـذه الفرق كلهـا ، نواياهم واحدة وسعيهم الحثيث لا يتوقف · وينفثون كل يوم سـموما جديدة ، غير تقليدية أو مألوفة ·

لذا فان الأمر يتطلب من علماء الاسلام اليوم التصدى وبحزم لسموم المستشرقين والمبشرين والمستغربين أيضا · الذين فارقوا ديار الاسـلام فانبهروا بالمدنيـة الحديثـة وزيف الحضـارة الصناعية فهذان المحوران هم أشد خطرا على الاسلام الذى يريدون تطويقه أو محاصرته ان لم يتيسر لهم القضاء عليه · قاتلهم الله ·

---

(١) (الروم ٥٣)   (٢) (النمل : ١٤)

« ٤ »

ولهذه الأسباب وغيرها ، عمدت الى كتابة هذا الكتاب المتواضع ـ متقصيا حقيقة هذا الزواج الهادف ، باحثا عن الظروف والملابسات التى حدث فيها كاشفا عن فحوى هذا التعدد الميمون ، متوخيا الاختصار والتدقيق ، مراعيا سهول العبارة وتيسير المعنى ، باحثا عن الترتيب الزمنى والمكانى بين زوجاته ﷺ ٠

فكببت على كتب السيرة والسنن منقبا فى بطونها ، باحثا عن هذه الحقيقة التى يريد بها المضلون تضليل العقول ، وتشكيك النفوس ٠

على أننى قد عشت فى هذه التجربة زمنا ما ٠ صاحبت فى أثنائه سيرة زوجات الرسول الطاهرات من خديجة ـ رضى الله عنها ـ أول زوجاته ـ الى ميمونة بنت الحارث ـ رضى الله عنها آخر زوجاته ٠

فاستعرضت زواج كل واحدة منهن ، وظروف هذا الزواج ، والباعث عليه كأنى أقطن معهن ، أنظر الى هذه الوقائع التى جرت معهن بعين البصيرة كما لو كنت أراها رأى العين ٠

وحيث انى قد استفدت فى هذا الموضوع بما كتبه العلماء الأجلاء قدماء ومحدثون ، غير أنه قد جدت لى ستة آراء هامة وقيمة ـ أرجع الى العقلانية ـ فى تعدد زوجاته ـ ﷺ ـ وهى آراء وأدلة اجتهادية ـ استنبطتها من كتب السيرة والسنن والتفسير ، وقبل ذلك كتاب الله تعالى ٠

ـ تأتى ـ ان شاء الله تعالى ـ بالحجة الدامغة القوية ، على براءة الرسول الطاهر ونزاهته ، داحضة لكل ما يشاع من أراجيف حول هذا الموضوع مكممة أفواه الذين يتربصون برسول الله ـ ريب المنون ٠ وهذا ليس مبالغة منى ـ انما هى الحقيقة الملموسة ، التى يجدها القارىء على هذه الصفحات ٠

واعتمدت فى ذلك على مقارعة حججهم بحجج أقوى منها من نفس كتبهم التى يقدسونها ، وعلى ما ألهمنى به الرحمن من فهم كتابه الكريم ، وأيضا اعتمدت على شبهات أخرى ـ أثاروها هم ـ ينقض بعضها بعضا ، استخلصنا منها بالمنطق والعقل معا ـ براءة الرسول وعصمته ، وأبنا عن زيفهم ، وحقدهم الدفين ٠ وصدق العلى العظيم سبحانه اذ يقول : « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** »(١) ٠

---

(١) (الأنبياء : ١٨)

« ٥ »

أما عن مخطط البحث ، فقد قسمته الى سبعة فصول وخاتمة ٠

جعلت الفصل الأول مخصصا للحديث عن ـ تعدد الزوجات في الاسلام حيث أنها القضية العامة ـ التي انبثقت عنها القضية الخاصة بتعدد زوجات المصطفى ﷺ وهي التي قد خصصنا لها بقية الفصول ، حيث أن الكتاب وضع خصيصا لهذا الموضوع ٠

أما عن الفصل الثاني فقد جعلت فيه الدفاع الذي دافع به علماء الاسلام عن رسولهم الكريم ـ وراعيت فيه الترتيب والتهذيب ٠ ثم راعيت تمام الفائدة فعقدت ترجمة موجزة عن أمهات المؤمنين وجعلت لها الفصل الثالث ٠

وأما عن دفاعنا نحن والأدلة التي جدت لنا ـ فقد خصصت لهم الفصلين الرابع والخامس ونظرا لأن زواج الرسول ﷺ من السيدة زينب بنت جحش ـ هو محور الارتكاز ـ لما جاء فيه من روايات ضعيفة واهية ـ اعتمد عليها أعداء الله ورسوله ـ وأطلقوا لألسنتهم العنان تصدع باشاعات جثيمة ـ لذلك فقد عقدت فصلا خاصا لهذا الزواج ـ تعقبت فيه هذه الروايات الساقطة وأبنا فيه الهدى من الغي ٠ وهو الفصل السادس ٠

ثم يأتي بعد ذلك الفصل السابع والأخير وقد تكلمت فيه عن اعتقاد ـ أهل الكتاب في الله ورسله ، وتطاول أسفارهم المقدسة على الله وأنبيائه ليرى القارىء خبث هذه المعتقدات ، ويدرك كيف أن البون شاسع والفرق نازح ، بين اعتقاد المسلمين ، واعتقاد أهل الأهواء والملل الأخرى ٠

وقد تأخذك الدهشة ، ويستولي عليك العجب ، عند ما تقف على هذه المعتقدات ، التي هي أوهن من بيوت العنكبوت ٠ « وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »(١)

وأخيرا تكلمت في الخاتمة عن « عصمة الأنبياء ـ عليهم السلام » حتى يعرف الجاحدون المتوقحون لأنبياء الله قدرهم وجليل فضلهم ٠

وان كان من كلمة أخيرة هنا ـ هذا المؤلف يعتبر تأريخا لأزواج النبي ﷺ الله عليه وسلم ٠

وترجمه لهن ، وترتيبا زمنيا ومكانيا لزواجهن ، فضلا عن أنه دفع لأباطيل طال أمدها ، وتوغلت في قلوب أتباعها ومردديها ، وتصحيحا

---

(١) (العنكبوت : ٤١)

لمغالطات وقع الكثير فيهـا ، وأيضا معالجة لقضايا اسلامية أخرى استطرد الحديث اليها ٠

واني لأرجو من العلى العظيم سبحانه ـ أن يجعله عظيم النفع والفائدة لمن أراد الوقوف على الهدى عن الغي ، ومعرفة الحق من البـاطل فى هـذا الموضـوع ، ويهدى به كل من زلت قـدمه وريب قلبـه ووقع فى هـوة الضـلالة ٠

والله من وراء القصـد وهو يهـدى السـبيل

المؤلف

الفصـــل الأول

تعدد الزوجـــات فى الشريعة الاســـلامية

الحق أن موضوع تعدد الزوجات فى الاسلام موضوع شـغل بحثـا ودراسة وتحليلا من العلماء والمفكرين ٠

ونظرا لأن هذا الموضوع يرتبط بما يأتى بعده ارتباط قضية عامـة انبثقت منها قضية خاصة ، رأينـا من المناسب أن نكتب نبـذة مختصرة عنه ، وكان الدافع الى ذلك ســببين : –

أولهمـا : تسجيل خلاصة ما كتبه العلماء الأجلاء ، وجمع أقوالهم المتفرقة ٠

ثانيهما : الاشارة الى ماجد من أخبار وآراء فى هذا الموضوع ٠

والاسلام الحنيف لم يكن بدعا فى تعـدد الزوجات حتى يؤاخذ على هذا ، وينظر اليه نظرة تعسف وازدراء من بعض الكتاب ، وخاصة خصوم التعدد ، الذين أرادوا أن يستصدروا قانونا (منذ سـنين) يمنع التعدد وذلك (فى نظرهم) أن المجتمع المثالى ، وتطور الحياة ورقيها ، يقتضيان أن يكتفى الرجل بامرأة واحدة ٠ حسـبه أن يقـوم على رعايتها وكفالـة أولاده منهـــا ٠

وهـم بذلك يتطاولون على رب الأرض والســماء ، وخالق الكون ومنشئه ، ويتعالون عليه سبحانه ٠ فكأن شرع الله (فى هذه الأزمنــة الحديثة) لايتوافق مع ظروف الحياة وملابساتها ، ولا يتماشى مع التطور الحضـارى والتمدن ٠

وسولت لهم أنفسهم ، أنهم بذلك اقترحوا الحل الناجع لهذه المشكلة التى لم تكن فى حسبان الله وعلمه ، وعضل على القرآن الكريم حلها ٠

وطائفة أخرى ترى أن تعدد الزوجات ، يجب أن يمنع ، لأن اباحته لم تثبت فى القرآن الكريم بصورة حاسمة !!! ٠ وصدق الله : « **فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** »(١)

والى هؤلاء وأولئك ، الذين يتعالون على الله ، ويصححون له شرعة نقول لهم :

ان تعدد الزوجات فى الاسلام رخصة لا آكثر يستعملها الرجل عند الضرورة القصوى ، بالشروط التى وضعها الاسـلام وشرطهـا ، وهى العدل

---

(١) (آل عمران : ٧)

التام فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت وغيرها من القسم والحقوق الزوجيــــة ٠

اما اذا لم يكن هناك ضرورة فلا حاجة التعدد (٠٠٠٠ **فانكحــوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ٠ فان خفتـم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ٠ وذلك أدنى ألا تعولوا**)(١) ٠

وهذه الرخصة مع هذا التحفظ ، يحسن بيان الحكمة والصلاح فيها ، فى زمان جعل الناس يتعالمون فيه على ربهم الذى خلقهم ، ويدعون لأنفسهم بصرا بحياة الانســان وفطرته ومصلحته فوق بصر خالقهم سبحانه !!! ويقولون فى هذا الأمر وذلك بالهوى والشهوة ، وبالجهالة والعمى ٠كأن ملابســات وضرورات جدت اليــوم ، يدركونها هم ويقدرونها ولـم تكن فى حساب الله سبحانه ولا تقديره يوم شرع للناس هذه الشرائع !!! وهى دعوة فيها من الجهالة والعمى ، بقدر ما فيها من التبجح وسوء الأدب ، بقدر ما فيها من الكفر والضلالة ! ولكنها تقال ، ولا تجد من يصد الجهال العمى المتبجحين المتوقحين الكفار الضلال عنها ! وهم يتبجحون على الله وشريعته ، ويتطاولون على الله ، ويتوقحون على الله ومنهجه ، آمنين ســالمين غانمين ، مأجورين من الجهات التى يهمها أن تكيد لهذا الدين !! »(٢) ٠

والاسلا ليس هو الدين الوحيد الذى اباح تعدد الزوجات كما يشاع بين الغربيين والمتفرنجين من الشرقيين ، بل ان الأديان كلهــا ســماوية أو وثنية أباحت التعدد ٠

وفى هذا يقول الشيخ محمد الغزالى : «ليس فى العهد القديم حظر على تعدد الزوجات ، وقد جمع سليمان الحكيم ـ صاحب نشيد الانشــاد العامر بالغزل الف امرأة فى بيته بين حرائر واماء !٠٠ وليس فى الاناجيل التى كتبها تلامذة عيسى ـ عليه السلام ـ حظر على التعدد ! ان التحريم الذى وقع بعد ذلك كان تشريعا مدنيا لا دينيا ، أو كان كنسيا يعتمد على الاجتهاد لا على النص ! »(٣) ٠

والاباء والاوائل فى المسيحية ، كانــوا يحثــون على الرهبانيــة . ويستحسنون للاسقف أن يكتفى بزوجــة واحــدة ، اذا لــم يستطع ان يترهب ، لان شرا واحدا أهون من شرين ٠

---

(١) (النساء : ٣) ٠
(٢) فى ظلال القرآن سيد قطب جـ ١ ص ٥٧٨
(٣) مائة سؤال عن الاسلام ـ محمد الغزالى جـ ١ ص ٢٤٢

وكان لشارلمان أولاد شرعيون من عدة زوجات معترف بهن ، ويفاد من أحد قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولا حتى من القساوسة ، وقد حدث بعد ذلك أن الملك هيس فيليب والملك فرديك وليم الثانى البروسى تزوجا بأكثر من واحدة بموافقة القساوسة اللوثريين ...

وقال : « وستر مارك » المؤرخ الحجة في شئون الزواج : ان الكنيسة والدولة كانت تقر ان تعدد الزوجات الى القرن السابع عشر ، وكان يقع غير نادر فى الحالات التى لا تحفظ فى سجلات الكنيسة والدولة . »(١)

وعلى هذا فالتعدد كان فى الشرائع السابقة ، ولم يكن الاسلام بدعا من الامر ، وانما حينما جاء الاسلام ، نظم هذا التعدد ، وقيده ، وحدده بحدود تعتبر حسنة من حسنات الاسلام على المجتمع الاسلامى ، فقد كان العربى فى الجاهلية يمسك بعشرة نسوة أو قد يزيد ، وأسلم غيلان الثقفى : وعنده عشر نسوة ـ فقال له النبى ﷺ : اختر منهن أربعا »(٢)
اختر منهن أربعا »(٢)

وروى أبو داود ـ باسناده ـ أن عميرة الاسدى قال : اسلمت وعندى ثمانى نسوة فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال : «اختر منهن أربعا» .
« اختر منهن أربعا » .

ونظرا لأن الاسلام رسالة عالمية ، ودعوة شاملة فقد وضع قيودا وحدودا لهذا التعدد ، وهذه مزية من مزاياه ، وحسنة من حسناته تستخدم عند الضرورة القصوى وحالة الطوارىء .

---

(١) الاسلام والحياة الزوجية ـ عثمان السعيد الشرقاوى صـ ١٦١ نقلا عن (الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام) للاستاذ عباس العقاد
(٢) رواه البخارى .

مـــــزايـا التعـــــدد

ذكرنا فى مقدمة البحث أن الاسلام أباح التزوج بأكثر من واحدة ، بشرط العدل بين الزوجات جميعا ، وهناك ضروريات تدفع صاحبها دفعا الى الزواج بأكثر من واحدة ، ويمكن احصاء هذه الضرورات من تجـارب الحيـاة الواقعــة ٠

١ ـ فى حالة ما بعد الحرب يهبط عدد الرجال عن النساء هبوطا مفزعـا

قد تصل النسبة فى بعض الأحيان من ١ : ١٠ فاذا اكتفى كل رجل بواحدة فقط من هؤلاء العشر ، فماذا تصنع الباقيات ؟

أنهن قد يشتغلن لا عانة أنفســهن ، ولكن الأزمة بالنســبة لهن ليست أزمة الطعام والشراب فحسب ، بل هى أزمة حلها يحول دون انتشار الفساد فكيف يكون حل هذه المشكلة ؟

أليس من الأفضل أن تجتمع هؤلاء النسوة تحت رجـل يكفلهن ويعولهن ويحمى أعراضهن ويصونهن عن البغاء ، كمـا قضى بذلك التشريع الاسلامى ؟

أم من الأفضــل أن يتركن بدون رجـــال ليس أمامهن ســـبيل الا الارتماء فى أحضان الرجال لحظات خاطفة فى الشوارع والعربات٠

٢ ـ بعض الرجال لا تمكنهم طبائعهم ، ولا تكوين أجسامهم من البقاء على واحدة ، فيخـافوا ان حرموا من تحصـــين أنفســهم بغير واحدة أن ينصرفوا الى ما هو أدهى وأمر(١) ٠

٣ ـ فى حالات عقم الزوجة ، وحاجة الزوج الى الولد والنسل رغبة بشرية عميقة ، وهى رغبــة رفيعة ، لا حطة فيهــا ولا عيب فى اشتهائهــا ، وصحيح انه لا ذنب للزوجة العقيم فى عقمها ، ولكن من يقول انه من العدالة حرمان الزوج كرها عنه من حقه المشروع فى انجاب الأطفال فاذا رضيت الزوجة الأولى الاشتراك مع غيرها كان بها ، والا فأمامها طريق الانفصال اذا كانت لا تطيق(١) ٠

٤ ـ المرض الدائم الذى قد تصاب به المرأة ، الذى يمنع الاتصـال ، ولم يستطيع الرجل أن يعينها بخـادمة تنقطع لملازمتها ومعاونتهـا على ضروراتها ، فأى الحلين أنسب للمشكلة ٠

---

(١) الاسلام والحياة الزوجية ـ سعيد الشرقاوى ص ١٦٤

أيتظاهر الرجل أمامها بالنبل وكرم الأخلاق ، ثم يتسرب للخيانة في الظلام ، كما يحدث في الدول التي لا تبيح تعدد الزوجات .

أم من الأفضل أن يتزوج بامرأة أخرى تقوم على خدمتها ، ويقضى منها حاجته !! .. وبالطبع يتنافى الحل الأول مع العقول السليمة والنفوس العفيفة .

ولم يبق الا الحل الآخر ، اذ انه الأفضل والأحسن والأكمل في صيانة الأعراض ومنع البغاء ، وهذا ما هدف اليه الاسلام في التعدد .

٥ – في حالات النفور التي لا يملك الانسان دفعها ولا السيطرة عليها ويلاحظ في جميع هذه الحالات أن الزوج يبقى على زوجته الأولى كراهة منه أن يطلقها ، ووفاء لعشرته الطويلة معها أن تنتهي بالطلاق وهو شعور كريم وان كان لا يؤدى الى سعادة الزوجة .

أما اذا كان يمسك بها ضررا ومكايدة ، فذلك حرام عليه عند الله ، وسبب موجب للطلاق حين تطلبه الزوجة(١) .

٦ – قد تكون أعباء المنزل وأعماله – كثيرة – لا تطاق ولا تقوى عليها امرأة واحدة وقد تعثر وجود خادمة تعينها في حمل هذه الأعباء ، أليس من الأفضل للمرأة أن تجد نفسها بجوار أخرى تعينها في شئون المنزل وتدبيره . لكل منهما عملها المستقل والخاص . ولهذا السبب نجد أن الرجال في دولة اليمن وغيرها يعددون نساءهم لهذا السبب – كما حدثنا بذلك اخواننا أصحاب البعثات هناك .

وهذه هي الضرورات التي تبيح لصاحبها الزواج بأكثر من واحدة ، ليظل المجتمع الاسلامي مجتمعا نظيفا تحوطه العفة والطهارة وبعيدا عن الزيغ والأهواء . فالاسلام أباح التعدد ليبيح الحليلات ويحرم الخليلات ، وما من مجتمع منع تعدد الزوجات الا وانتشر فيه البغاء ، وكثر اللقطاء وانتشر الخبث ، واستبيحت الأعراض ، واجتيحت الفروج .

ونظرة سريعة في البلاد الأوروبية ، تعطينا أكبر الدلالة على ذلك . اذ الانحلال متفشى في كل بلد أوروبى ، وسوء الأخلاق قد عم في كل مكان بسبب منع تعدد الزوجات .

ومن الأمثلة على ذلك : في فرنسا بلغت نسبة أولاد السفاح بين الحربين العالميتين الاخيرتين ما يقرب من ٥٠٪ من مجموع المواليد ، وبلغ

---

(١) شبهات حول الاسلام – محمد قطب ص ١٣٦ ، ١٣٧

فى هذه المرحلة عدد البغايا الرسميات فى كثير من المدن نسبة كبيرة ، وبلغت نسبة المصابين بأمراض تناسلية زهاء ٧٠٪ ونجد فى أمريكا مثل هذه النسبة تقريبا ، اذ نجد أن ٣٥٠ ألف لقيط يولدون سنويا بها ، كما أن الأسرة أصبحت فى تلك البلاد شيئا لا قيمة له ، وفى انجلترا نسمع عن الفضائح التى تفوح منها وتنشرها مجلاتها وجرائدها الرسمية(١) ٠

قل بعد ذلك لبعض « الكتاب الصحفيين » - الذين لا يميزون بين الطيب والخبيث ، وخدعهم بريق دول « أوروبا » الشقية ، فأخذوا ينادون بتقليد هذه المجتمعات اللاأخلاقية وأعلنوا - أنه قد آن الآوان لتنصير المجتمع المصرى فى العلاقات الشخصية ، ووجوب منع تعدد الزوجات ، وتقييد الطلاق ٠

قل لهم : أى المجتمعين أقوم وأهدى سبيلا ٠٠ « الشرق الاسلامى » أم « الغرب الصليبى » - « **وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور** »(٢) ٠ ثم قل لهم :

وفى التعدد ان أدركت حكمته ... بر رخى وجبر للذى كسرا
من للمطلقة الحسناء يعصمها ! ... وللعوانس تغنى عمرها ضجرا !!
وللأرامل ، والأحزان تعصرها ... والحزن يفتك بالأعواد ان عصرا
ومن لأم اليتامى - هل تقوتهم ... بالخد معتصرا والقد مهتصرا !!!
وما الغطاء لمن زلت وساورها ... من الفضيحة طيف يرسل النذرا
وما السبيل الى ذرية نجب ... ان كنت زوج عقيم حظها عثرا !
هو التعدد يهدى الغارقين الى ... بر الأمان ويبنى بيننا أسرا
هو التعدد كم آوى اليتم واشـ ... ـباه اليتيم وكم واسى وكم سترا
هو الحلال الذى ينفى الحرام وكم ... حمى من الفحش أنثى أو حمى ذكرا

---

(١) الاسلام والحياة الزوجية ص ١٦٥   (٢) (فاطر : ١٩ ٢٠)

سماحة الاسلام فى التعدد

بحث مفكرو الدول الأوروبية ورؤساء الكنائيس هناك ، بعد أن أفزعتهم هذه النتائج الخطيرة ، حتى أن قادة ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، لم تجد حلا الا الحل الذى جاء به الاسلام ، فهو الذى يتوافق مع الفطرة السليمة فأباحت تعدد الزوجات ، ثم بعد ذلك تمثل هذا التعدد فى دول كثيرة بعد أن دب الفساد فى بلادها ، مثل بلاد الهند والصين واليابان وبلاد أفريقيا ، ونظام التعدد عندهم يعمل به حتى الآن ومعترف به فى الوقت الحاضر ، ومازالت الدول التى حظرت التعدد ، لم تجد حلا لهذه المشاكل العضالة ، فلم تجد بدا من الرجوع الى الاسلام وتطبيق شريعة التعدد عندهم ، وتطالعنا الجرائد والمجلات كل حين بأنباء لدول كثيرة آباحت تعدد الزوجات وجعلته مبدأ من مبادئها . ونحن بصدد كتابة هذا البحث اذ طالعتنا جريدة الأخبار المصرية الصادرة فى ١٩٨٨/٨/٦ م بالنبأ التالى : تحت عنوان :

« المسيحية تسمح بتعدد الزوجات »

لندن وكالات الأنباء :

أيد أساقفة الكنيسة الانجليكانية المجتمعون فى بريطانيا قرارا بالسماح لمتعددى الزوجات فى دول معينة باعتناق الديانة المسيحية .

يتناقض هذا القرار مع قرار سابق اتخذ منذ حوالى ١٠٠ عام ويقضى بأن يتخلى الرجل الذى يرغب فى اعتناق المسيحية عن زوجاته باستثناء زوجة واحدة .

وقال أسقف شرقى كينيا آن القرار الجديد لا يخالف التعاليم المسيحية وأن على الكنيسة فى بعض مناطق أفريقيا أن تقبل بمبدأ تعدد الزوجات .

وبهذا النبأ تظهر عظمة الاسلام ويظهر اعجاز القرآن فى وضعه للحل السليم ليحافظ على نظافة المجتمعات وتطهيرها من الخبث ولا نملك بعد كل هذا الا أن نقول كما قال ربنا سبحانه :

« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا »(١) فالحق أحق أن يتبع .

---

(١) (الاسراء : ٨١)

ولم تقتصر هذه الدول على السماح بتعدد الزوجات واباحته فقط ، بل السماح بالطلاق واباحته أيضا · كما جاء به الاسلام تماما · فليس من حل الا ما جاء به الاســـلام ، فلم تجد المجتمعـــات بدا من الأخذ به والاعتراف بسلامته وفائدته ـ طوعا أو كرها ·

وهكذا · يظهر سمو التشريع الاســـلامى فى اباحته التعدد ، الذى يحـافظ على صـــيانة الأعراض ، وســـلامة المجتمعـــات ، ومنع الأضرار والنكبات ·· مع ملاحظة :

ومن يعدد زواجـــا دون ملجئـــه　　فقـــد آتى بضرار أو آتى ضررا
ليس التعدد الا رخصـــة فـــاذا　　أسرفت فيها ركبت الحمق والخطرا
من ينتقص حـق أولاد لثـــانية　　لم يلق من ربــه عفوا اذا اعتذرا

❁ ❁ ❁

الفصـــــل الثـــانى

تعـــدد زوجات الرســـول .. ضرورة تقتضيها الدعوة

لقد كان زواج النبى - ﷺ الله عليه وسـلم أمرا ضروريا للغايــة تقتضيه الدعوة الاسلامية ، والتشريع الجديد آنذاك ، وخاصــة فى هــذه الفترة الحرجة من سنى عمره الأخيرة ، التى عمل فيها على جمع ربوع العرب، وتوحيد صفوفهم وتآلف قلوبهم حيث تنطلق الدعوة الى كل بقعة من بقــاع الأرض . وزواجه - ﷺ الله عليه وسلم - فى هذه الفترة كانت له بواعثه وأهدافه الســـامية ، التى تعينه على نشر تشريع الله واعــلاء كلمته ، هــذه البواعث والدوافع نجملها فى النقاط التالية مع بعض التعليقات السريعة عليها حتى تظهر الحكمة ، ويتضــح الهدف ، وحتى ندحض مفتريات أعــداء الله ورسوله ، ونرد كيدهم مذمومين مدحورين .

الـدافـع الأول :

تآلف قلوب القبائل ، وجمعهم حوله بواسـطة رابطة النسب القوية التى لا ينفك عراها طيلة حياته ، وبعد ممــاته، وهــذه احدى السياسات الحكيمة التى هدف الى تحقيقها المبعوث رحمة للعالمين . قال تعالى : « **واذكروا نعمة الله عليــكم اذ كنتم أعـــداء فألف بين قــلوبكم** »(١) يقول الاســـتاذ محمد علي الصــابونى (قـــد تـزوج النبى ﷺ ببعض النســـوة من أجل تأليف القلوب عليه ، وجمع القبائل حوله ، فمن المعلوم أن الانسان اذا تزوج من قبيلة أو عشيرة ، يصبح بينة وبينهم قرابة (مصاهرة) وذلك بطبيعته يدعوهم الى نصرته وحمايته)(٢) .

ومن المعلوم جيدا أن الرسول ﷺ وكما هو موضح بالجدول ، تزوج من عدة قبائل متفرقة يزيدون عن العشرة ، لهذا السبب نفسه منهم كمــا ذكر فى السيرة قبائل قرشية ، وقبائل عربية وقبائل غير عربية (٣) .

فالســياسى الحكيم محمد بن عبد الله ﷺ لكى ينشر دعوته داخــل الجزيرة العربية وخارجهـــا ، لابد أن يحتاج الى رجـــال يقفون بجانبه ، ويســاعدونه ويجاهدون معه ، ولكن هؤلاء الرجـــال الذين يريدهم محمد فرق شتى ، فماذا يفعل ﷺ ليجمع هذا الشـــتات ، ويطهرهم من الضغائن

---

(١) (آل عمران : ١٠٣) (٢) تفسير آيات الأحكام جـ ٢ ص ٣٢٤

(٣) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٤ص ٢٢١ : ٢٢٢

والأحقاد ، لم يجد الرسول بدا من مصاهرة هذه القبـائل ، وربطهم برباط النسب النبوى ، وبذلك تتآلف قلوبهم المتنافرة ، وتنزع الأحقاد المتوارثة ، وينعم المسلمون برباطهم بحبل الأخوة الاسلامية ، كمـا يقول سـبحانه : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** »(١) • وبهذه السياسة النبوية الهـادفة، يجتمع المسلمون من شتى بقاع الجزيرة على كلمة واحدة ، حول نبى واحد ، وبذلك تقوى شوكتهم ، ويرهبون عدوهم ، يسالمون من يسالمهم ويعـادون من يعاديهم • وعلى هذا الأساس يستطيع الرسول ﷺ نشر رسالته فى كل بقاع الجزيرة العربية ، والمضى قدما فى الفتوحات الاسـلامية الى أن تبلغ كلمة التوحيد الى كل الآفـاق ، ويرن صـداها فى كل أذن وفى هـذا يقول المعصوم ﷺ : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقها وحسابه على الله عز وجل**)(٢) •

وهذا الدافع الذى دفع رسول الله الى هذا الزواج يظهر جليا فى زواجه بالسيدة جويرية بنت الحارث ابنة سيد بنى المصطلق ، وكان فى زواجهـا يمنة وبركة على قومها وعشيرتها — قال ابن الأثير (وأصاب رسول الله ﷺ سبايا كثيرة فخسمها فى المسلمين(٣) ، وفيهم جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن شـماس أو لابن عم له فكاتبته عن نفسها فأتت رسول الله ﷺ فاستعانته فى كتابتها فقال لها : هل لك على خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابك وأتزوجك قالت نعم يا رسول الله ففعل وسمع الناس الخبر فقالوا : أصهار رسول الله فأعتقوا أكثر من مائة من بيت أهل بنى المصطلق فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها)(٤) •

فلما رأى بنو المصطلق جميل حلمه ، وكريم أخلاقه ، أسلموا عن بكرة أبيهم ودخلوا فى دين الله أفواجا • وبذلك يتضح قول السيدة عائشة رضى الله عنها (فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها) •

ويظهر هذا الدافع جليا أيضا ، فى زواجه من صفية بنت حيى بن

---

(١) (آل عمران : ١١٠) قال ابن عباس : نزلت هذه الآية فى الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة •

(٢) رواه البخارى ومسلم وانظر جامع العلوم والحكم ج ج ص ٣٠٧

(٣) هذه السبايا التى أصـابها الرسول أصـابها من بنى المصطلق من خزاعة وكانت هذه الغزوة فى شعبان من السنة السادسـة للهجرة وكان قـائد بنى المصطلق فيها ، الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية •

(٤) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ١٣١

أخطب التى أسلم بزواجها كثير من اليهود وكانت صفية قد أسرت بعد قتل زوجها فى (غزوة خيبر) ، ووقعت فى سهم بعض المسلمين ، وأخذت فى السبى ، فقال أهل الرأى والمشورة : هى سيدة بنى قريظة ، لا تصلح الا لرسول الله - ﷺ الله عليه وسلم - فعرضوا الأمر على الرسول الكريم فدعاها وخيرها بين أمرين :

أ - اما أن يعتقها ويتزوجها - عليه السلام فتكون زوجة له .

ب - وأما أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها .

فأختارت أن يعتقها وتكون زوجة له ، وذلك لما رأتـه من جلالة قـدره ، وعظمته ، وحسن معاملته . وقد أسلمت وأسلم باسلامها عدد من اليهود .

وتظهر الحكمة جلية مرة أخرى فى زواجه - ﷺ الله عليه وسلم - بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) ، وقد أسلمت فى مكة وهاجرت مع زوجها الى الحبشة ، فرارا بدينها ، ومات زوجها هناك بعد أن ارتد الى النصرانية ، وثبتت هى على اسلامها ، وأبت أن تتنصر معه واختارت الاسلام ، وظلت فى الحبشة فترة لا زوج لها ولا معين ، وهى فى حيرة شديدة ، تخشى أن رجعت الى أبيها أو أهلها أن يفتنوها فى دينها ، أو يعذبوها عذابا نكرا ، فماذا تفعل ؟ وما المخرج ؟ والله يقول : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** » ، فلما علم رسول الانسانية بأمرها أرسل الى (النجاشى) ملك الحبشة ليزوجه اياها ، فأبلغها النجاشى خبر زواج النبى منها فسرت سرورا عظيما ، حيث أن الله أخرجها من ضيقها ، وأكرمها بالزواج من نبيه ، وقد أصدقها عنه أربعمائة دينارا (وقيل أربعة آلاف درهم) ، ولما عادت الى المدينة المنورة تزوجها النبى ﷺ .

ولما بلغ (أبا سفيان ، الخبر أقر ذلك الزواج وتفاخر به وقال : (هو الفحل لا يقدع أنفه)(١) فافتخر بالرسول ﷺ ولم ينكر كفاءته ثم هداه الله الى الاسلام .

قال محمد عبده (وأما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبى سفيان بن حرب) فلعل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرتها الشخصية ، وعرف عداوة قومها فى الجاهلية والاسلام لبنى هاشم ورغبة النبى ﷺ

(١) أن محمدا ﷺ رجل كفء بحيث يعتبر الاصهار اليه منقبه ، وقيل أن هذه المقالة قيلت : ابان زواجه من خديجة - رضى الله عنها - والا رجح ان قائلها أبو سفيان - كما ذكرنا هنا .

فى تأليف قـلوبهم كانت رملة عند عبيد الله بن جحش وهـاجرت معـه الى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر هناك وثبتت هى على الاسلام • فانظروا الى اسلام امرأة يكافح أبوها بقومه النبى ويتنصر زوجها وهى معه فى هجرة معروف سببها ، أمن الحكمة أن تضيع هذه المؤمنة بين فتنتين ؟ أم من الحكمة أن يكفلها من تصلح له وهو أصلح لها ؟)(١) •

وبذلك يتضح لكل جاحد على رسول الله وشريعته ، منكر لطهـارته وعفته أن زواجه بدافع الشهوة الجنسية مردود عليه ، ولا أساس لـه من الحقيقة والواقع ، فحاش لرسول الله أن يكون كذلك ، انمـا زواجه كان بدافع التأليف والتآلف ، وبدافع التوحيد لا التفريق ، والجمع لا التشتيت •

الدافـــع الثـــانى :

هو اتســـاع الرقعـــة الاسلامية ،ودخول القبائل فى دين الله •• واكتسابهم الى جموع المسلمين •

فارتبط معهم ﷺ برباط النسب وألف قلوبهم عليـه وبذلك يكفون أذاهم عنه وعن أتباعه الذين آمنوا بدعوته • وحدث مـا هدف رسول الله اليه فعلا فتألفت القلوب ، وأصبحت قبائل الجزيرة بأسرها كقبيلة واحدة ، والقائد هو محمد ﷺ وصدق أحمد شوقى اذ يقول :

المسـلمون أصـابع جمعت يدا هى أنت ، بل أنت اليد البيضـــاء

يقول الدكتور النجار عن الدافع الذى أدى الى تعدد زوجاته : (وقد أباح الله له ذلك تأليفا لقلوب القبائل التى يتصل بها برابطة النسب ، وحتى لا ينحصر شرف الاتصال بالرسول فىدائرة محدودة ، وحتى يتسع المجال لنشر الاسلال فى أكبر عـدد من قبائـل العرب ممن يرتبطون بمصاهرة الرســـول)(٢) •

وبهذا يتضح الهدف الذى كان يرمى رسول الله اليه ، ويفهم المغزى من هذا الزواج العظيم فكل زوجة من زوجاته لها هدف نبيل ،يهدف الى تحقيق المصلحة العامـة للمسلمين والدعوة الاسلامية آنذاك ، أمـا أن نقـول ان زواجه كان بدافع الشهوة والمتعـة الجسدية والحب فى النساء ، فهذا كلام

---

(١) تفسير المنار جـ ٤ ص ٣٠٥
(٢) القول المبين فى سيد المرسلين د• محمد الطيب النجار ص ٣٥٤

عدد	اسم الزوجة	قبيلتها	من تزوج بها قبل النبى	سنة زواج النبى منها	سنها وقت الزواج	ما أنجبته من أولاد	سنة وفاتها	عمرها عام الوفاة	تعليقـــات
١	خديجه بنت خويلـد	بنى أسـد	١ ـ عتيق بن عائد بن مخزوم ٢ ـ أبو هاله التميمى	قبل البعثة بخمسة عشر عامـا .	٤٠ سنة	القاسم ثم زينب ورقيه وأم كلثوم وفاطمة وعبدالله	بعد البعثـة بعشر سنوات وقبل الهجرة بثـلاث	٦٥ سنة	كانت تلقب فى الجاهلية بالطاهره واختارها الرسول لرجحان عقليا وشرفها . وكانت امرأة ذات مال وتجاره وزوج خديجه لمحمد ﷺ أبوها خويلد ابن أسد وكانت المثل الاعلى للزوجه فى الوفاء والاخلاص وكانت وفاتها بمكة قبل رحلة الاسراء والمعراج .
٢	سوده بنت زمعـه	بنى عامـر	السكران بن عمرو الأنصارى	قبل الهجرة الى المدينة	٥٥ سنة	لم تنجب عنده	سنة ٥٤ هـ	١١٠ سنة	لم يكن عندها عمل تقتات منه بعد موت زوجها فضلا عن أنها كان لها خمسة صبيه أو سته من زوجها السكران ـ فتزوجها الرسول ليخفف عنها أعبائها . ومقدمه لدخول قومها فى الاسلام .
٣	عائشه بنت أبى بكر	بنى تيم	تزوجها ـ بكرا	فى شول على رأس ثمانية اشهر من الهجرة	٩ سنوات	قيل اسقطت جنينا اسمه عبد الله ـ وبه كانت تكنى وهو قول ضعيف	سنة ٥٩ هـ	٦٧ سنة	كان عقد الرسول على عائشه بمكة وهى آنذاك بنت ٦ سنين وبنى بهـا فى المدينـة وهى البكر الوحيدة من بين نسائه .
٤	حفصه بنت عمـر بن الخطـاب	بنى عدى	خنيس بن حذافه السهمى	فى شعبان على من الهجرة	١٨ سنة	لم تنجب عنده	سنة ٤٥ هـ أربع مائه	٦٣ سنة	زوجها له عمر بن الخطاب، وكان لها فضل كبير فى تبليغ سنن النبى وفى حفظ صحف القرآن الكريم الذى جمعه زيد بن ثابت الانصارى بعد ان كانت عند أبى بكر ثم عمر حتى وفاته ثم عند حفصة بعد ذلك .
٥	زينب بنت خزيمـه	بنى هلال	١ ـ الطفيل بن الحارث ثم أخوه ٢ ـ عبيده بن الحارث	فى رمضان من السنة الرابعه للهجـرة	٢٩ سنة	ــــــ	ماتت فى حياته بعد ان مكثت عنده ثمانية اشهر على الارجح	٣٠ سنة	زوجها للرسول ﷺ قبيصه بن صمصمه وأصدقها الرسول أربع مئه درهم، وكانت تلقب بأم المساكين فى الجاهلية لرحمتها اياهم . ورقتها عليهم .
٦	هند أم سلمه	بنى مخزوم	عبد الله بن عبد الاسد	فى شوال من السنة الرابعه للهجـرة	٣٠ سنة	ــــــ	سنة ٥٩ هـ	٨٤ سنة	هى أول مسلمه هاجرت الى الحبشه وأول مسلمه هاجرت الى المدينة وهى احدى أزواج النبى الثلاثة (خديجه ـ عائشه ـ أم سلمه) اللائى نزل القرآن على النبى وهو فى بيوتهن .
٧	جويريه بنت الحـارث	بنى خزاعه	مسافـع بن صفوان	فى شعبان سنة ٥ هـ	٢٠ سنة	ــــــ	سنة ٥٦ هـ	٧٠ سنة	كانت امرأة مليحه جميلة لا يراها أحد الا أخذت بنفسه حتى قالت عنها عائشه «فوالله ماهو الا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها» وتزوجها الرسول بعد أن أسلمت وأسلم أبوها ثم قومها . وفك أسرها .
٨	زينب بنت جحش	بنى أسـد	زيد بن حارثه بن شراحيل	فى ذى القعده سنة ٥ هـ	٣٥ سنة	ــــــ	سنة ٢٠ هـ	٥٣ سنة	قالت عنها السيدة عائشه : مارأيت امرأه قط خيرا فى الدين وأتقى لله وأصدق فى حديث وأوصل للرحم وأعظم صـدق من زينب ـ رضى الله عنها . ونزلت آيه الحجاب صبيحه عرسها « يأيها الذين آمنو لاتدخلوا بيوت النبى ...... » الاحزاب .
٩	أم حبيبـه	بنى أميـه	عبيد الله بن جحش	سنة ٦ هـ	٣٦ سنة	ــــــ	سنة ٤٤ هـ	٧٤ سنة	هى أخت معاويه بن أبى سفيان ، وخطبها الرسول من النجاشى فزوجها له ـ وماتت فى خلافه أخيها .
١٠	صفيه بنت حيى بن أخطب	بنى النضير	١ ـ سلام بن مشـكم	سنة ٦ هـ	١٧ سنة	ــــــ	سنة ٥٠ هـ	٦١ سنة	كانت من نصيب الرسول المقسوم له فى الغنائم فاعتقها وتزوجها ، ورأت قبل زواجها من الرسول رؤيا تعبر عن زواج الرسول منها . وقد تحقق مارأت
١١	ميمونه بنت الحـارث	بنى عا[illegible]	١ ـ مسعود بن عمر ٢ ـ أبو رهم [illegible]	فى ذى القعده سنة ٧ هـ	٢٦ سنة	ــــــ	سنة ٥١ هـ	٧٠ سنة	عرضت نفسها على النبى ان يتزوجها وكان عنده فى بيته ثمانـى نسـوه .

باطل يجب علينا أن نطأه بأقدامنا أو نضرب به عرض الحائط . فالرسول ﷺ هو صاحب العفة المطلقة ، والطهارة التامة . لا بشهادة أتباعه وحدهم بل بشهادة أعدائه قبل أتباعه . يقول الكاتب (لويل توماس المستشرق الانجليزى الشهير : لقد كان محمد العربى القرشى النبى الهاشمى والرسول التهامى ، أول من وحد قبائل العرب المتناثرة فى تلك الجزيرة وأول من ألف قلوب شعوبها المتقاتلة وجمع كلمتها تحت راية واحدة ، جاء محمد وجمع كلمة العرب ووحد صفوف العرب ولكن لا باستعمال القوة والاعتماد على الشدة ، بل بكلام عذب حكيم أخذ منهم كل مأخذ فاتبعوه وآمنوا به وقد فاق فتى مكة جميع الرسل وقادة الرجال بصفات لم تكن معروفة لدى العرب ، فجمع بين القلوب المتفرقة ، وجعل منها قلبا واحدا .

وكفى بهذه الشهادة من رجل مثل هذا ، ولن نعلق عليها . بل نترك التعليق للقارىء الكريم نفسه !!.

الدافع الثالث :

هو اكتساب هؤلاء النسوة العلم والحكمة من رسول الله ، فضلا عن تعلمهن أحكام النساء الشرعية ، وبث ذلك بين نساء المسلمين ، وهذا واضح فى قوله ـ تعالى : « **واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** »(١)

وهذا الدافع مازالت الحكمة من ورائه ينتفع بها البشر جميعا ، رجالا ونساء الى اليوم ، والى قيام الساعة .

ومن أعظم الأدلة على ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها : أن امرأة من الأنصار سألت النبى ﷺ عن غسلها من الحيض ، فأمرها كيف تغتسل ثم قال : خذى فصة من المسك فتطهرى بها ـ فقالت المرأة السائلة : كيف أتطهر بها ؟ قال : تطهرى بها قالت : كيف أتطهر بها ؟ قال سبحان الله تطهرى ، قالت عائشة : فاجتذبتها الى فقلت : كيف تتبعى بها أثر الدم .

واستحيا ﷺ وأعرض بوجهه حياء أن يصرح لها بوضع القطنة المطيبة بالمسك فى المكان الذى يخرج منه دم الحيض اتماما للطهارة ، والذى استطاع افهامها المراد هو عائشة ـ رضى الله عنها ـ وكان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها)(٢) .

---

(١) (الأحزاب : ٣٤)

(٢) هكذا رواه البخارى فى صحيحه .

وكما هو واضــح من هــذه الروايــة أن زوجات النبى ﷺ كن يقمن بتعليم نساء الصحابة الأحكام الشرعية الخاصة بهن ، وهذا التعليم يمتد نفعه الى اليوم ، يتعلم منهن نساء المسلمين هذه الأحكام فى شتى بقاع الأرض ، وقد أبان أحد العلماء الحكمة من وراء هذا الدافع الذى دفع النبى الى الزواج من نسائه فيقول :

(هناك حكمة لهذا التعدد من أجل الحكم ، وهى نشر الأحكام الخاصة بالنســاء والتى لا يستطيع تبليغها الرجــال ، كالطهارة والغسل والحيض والنفاس والولادة والرضاعة ، الى غــير ذلك من الأحكام التى لا يستطيع ــ افهامها للنساء على وجهها الأكمل سوى النساء) ٠

ولا يمكن بحال أن تقوم بمهمة تبليغ الأحكام لسائر نساء المسلمين على اختلاف طبقاتهم فى ذلك الحين امرأة واحدة ، بل عدة نساء من عدة قبائل وبذلك يتم ما أراده الله تعالى من اظهار نوره ، وبسط شرائعه ، وقــد ثبت أنهن أذعن عنه ﷺ علما وفضلا وفقها ، لوكان ﷺ يريد بالتعدد ما يريده سائر الملوك والأمراء من التمتع والــلذة ليس غير ، لانتخب الحسان الأبكار ، والكواعب الأتراب ، ولم يتجه صوب هؤلاء الثيبات المكتهلات !! ٠

فهل يأتى بعد هذا مبشر غر سمج عتل زنيم ، ويقول عنه ﷺ ٠ أنه شهوانى يميل الى النســــاء فى حين أن فى دياناتهم ومعتقداتهم ما تتنزه السنتنا عن ذكره ، وأقلامنا عن تدوينه)(١)

فما ثمه ريبة بعد ذلك فى زواج الرسول ﷺ وقد علمنا هذه الدوافع النبيلة التى انبثقت منها هذه الحكم الجليلة ٠ وان كان من شىء آخر نقوله هنا هو أن تعدد زوجات الرســول ﷺ كان بعد الهجرة من مكة الى المدينة المنورة ، وفى المــدينة كثر التشريع على رســول الله وخاصــــة التشريع الاجتماعى كتشريع الزواج وتشريع الطلاق وتشريع الحيض وتشريع الله فى الايلاء والظهار وغيره من التشريعات التى أنزلهــا الله على رســوله ، فان أغلب الســـور التى تشرع للمسلمين دينهم نزلت عليه فى المدينة ٠ وقد تعرض أحد العلماء لبيان ذلك تفصيليا بقوله (أخذ الرسول ﷺ فى الاكثار من النســــاء بعد الهجرة لمــا كثر عليه التشريع الاجتمــاعى من الله ومنه ما يختص بالمعاشرة الزوجية كالحيض والغسل غالبا ٠ وايلاء الرجــل من امرأته وهجره اياها وتأديبها وما يحرم عليه منها صـــــائمة أو محرمة أو

---

(١) فى رحاب التفسير الشيخ كشك حـ ٤ ص ٧٨٥ ، ٧٨٦

حائضا وما يحل له منها حينئذ وكالعدد من الأزواج والحداد عليهن وكالرضاع وما يعلمه الرجال الا من طريق النساء مما يجرى بين الرجل وامرأته فاكثر منهن لحكمة منها ذلك وأمثاله ليأخذن عنه الأحكام وليبلغن ما لعله يخفى على من لم يكن معه فى بيوته ما لم يسأل عنه ، ومثل ذلك العبادة التى يعملها داخل بيته كالتهجد والنوافل وكيفيتها ومتى يقوم لعملها كما خفى على بعض أصحابه حتى ذهب الى نسائه يسألهن عن ذلك وكما قد يكون فيها تأليف عشائرهن على الاسلام والعطف على الأرملة منهن وجبر قلب من مات عنها زوجها)(١) ٠

فتعدد أزواجه عليه السلام ليس عيبا يلام عليه انما هو خير فعله يمدح عليه ولو أنه تزوج واحدة ما وصلتنا كل هذه الأحكام والآداب السامية عنه ، ولكن بزواجه هذا ترك لنا عالمات فاضلات ومفتيات فقيهات أخذ المسلمون ونسائهم عنهن العلم الجم والأحكام العالية والآداب الرفيعة ـ فصلوات الله وسلامه على هذا الزوج الطاهر ، والنبى الباهر ، ورضى الله عن نسائه ، أصحاب العلم والفضل ، وصدق الله :

« ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٢) ٠

الدافع الرابع :

تقوية الصلة الاجتماعية بينه وبين وزيريه أبى بكر وعمر وربطهما برباط النسب المؤصل ، وهذا كما هو معلوم جيدا يظهر جليا فى زواجه من عائشة بنت أبى بكر وزيره الأول وحفصه بنت عمر بن الخطاب وزيرة الثانى ، وأبو بكر وعمر كانا من أحب الناس اليه ، وأقرب الناس اليه ، وأعظمهم قدرا لديه وكثيرا ما نوه بفضلهما العظيم فيقول عن أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ مشيدا بفضله : ما لأحد عندنا يدا الا وقد كافيناه بها ٠ ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة ٠ وما نفعنى مال أحد قط مانفعنى مال أبى بكر ٠ وما عرضت الاسلام على أحد الا كانت له كبوة (تردد وتلكؤ) الا أبا بكر فانه لم يتلعثم ، ولو كنت متخذ خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، وان صاحبكم خليل الله تعالى)(٣) ٠

وما أجمل كتاب الله تعالى عندما يشيد أيضا بفضل أبى بكر ، ويعده بالعاقبة الطيبة ٠ **« والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون »**(٤)

---

(١) أصول السيرة المحمديه عبد العزيز راشد النجدى ص ٢٦
(٢) (الأحزاب : ٣٣)　　(٣) رواه الترمذى
(٤) (الزمر : ٣٣)

واذا كان أبو بكر كذلك فان عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ هو الوزير الثانى لرسول الله ﷺ وله منزلة تدانى منزلة أبى بكر فى الاسلام ، فهو صاحب المواقف الخالدة ، وكثيرا ما كان ينزل القرآن موافقا لرأيه(١) ، وهو أهل لأن يقول فى حقه المأمون ﷺ (ان الله ضرب الحق على عمر وقلبه) • وكفى بأمير المؤمنين عمر فخرا أن يقول فى حقه الرسول أيضا) : (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر)(٢) فضلا عن أن عمر بن الخطاب هو الذى أعز الله به الاسلام والمسلمين ، فبعد أن كان جبار الجاهلية أصبح عملاق الاسلام وصار فاروق الأمة •

فترى ماذا يكون جزاؤهما بعد نصرة رسول الله واعزاز دينه ؟ لم يجد الرسول ﷺ مكافأة يقدميا الى هذين العملاقين ، غير زواجه من بنتيهما وادخالهما فى بيت النبوة ، وربطه بهما برباط النسب الوثيق وهى خير مكافأة قدمها رسول الله اليهما ، ومن ناحية أخرى فان الرسول ﷺ كان يتخذ أبا بكر وعمر مستشارين له فى أمور الدعوة ، ومهام المسلمين ، فأراد رسول الله لأبى بكر وعمر أن يدخلا بيته متى شاءا ولأى أمر شاءا بلا حياء أو حرج ، وكيف يكون هناك حرج وكل منهما يدخل على ابنته ؟!

ولهذا فان النبى ﷺ زوج بناته رقية وأم كلثوم لعثمان بن عفان ، وفاطمة لعلى بن أبى طالب وهما من كبار الصحابة ، ولهما مواقف جليلة القدر فى الاسلام ، فضلا عن أنهما من أهل المشورة أيضا ، فأراد الرسول ﷺ أن يدخلا بيته فى أى وقت شاءا ولأى أمر شاءا كأبى بكر وعمر •

فالرسول ﷺ أخذ من اثنين وأعطى لاثنين ، أخذ من أعز الصحابة عائشة وحفصة ، وأعطى بناته لأعز الصحابة أيضا ، وبذلك أصبح الرسول ﷺ مع كبار الصحابة الأربع كشجرة واحدة متصلة الفروع ، ما أطيبها من شجرة ! « **كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء** »(٣) وكأن هذا التقسيم العجيب فى زواجه من عائشة وحفصة بنتى أبى بكر وعمر ، وتزويجه بناته لعثمان وعلى ، كأن القدر هو الذى نظم هذا التقسيم

---

(١) وذلك كتحريم الخمر وتعليم الأبناء كيفية الاستئذان وغيرهما من الآيات •
(٢) رواه الترمذى •
(٣) (ابراهيم : ٢٤) •

العجيب ، وارادة الله هى التى شاءته ، عندما يتوالى هؤلاء الصحابة الأربع على الخلافة الاسلامية بعد رسول الله ﷺ من - أبى بكر رضى الله عنه - الى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - لفترة امتدت حوالى ثلاثين عاما تولوا فيها أمور المسلمين ومهام الأمة وأكملوا المسيرة الاسلامية ، والفتوحات البلدانية ، ومطبقين حكم الله ورسوله بين الرعية ·

وكأن الرسول ﷺ ينظر من وراء الحجب المستورة فيرى مدى صلاحهم الصالح واجتهادهم فى الدين ، فيدعوا البشرية الى السير على منهجهم والتمسك المحكم بسنته وسنتهم ، فيقول - صلوات الله وسلامه عليه - (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين (من بعدى) تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعه ، وكل بدعة ضلالة)(١) ·

انه من الجنون بعد ذلك ، ومن الخبل الذى يصيب العقول ، أن يأتى بعض المبشرين أتباع المسيحية ويتهموا رسول الله باتهامات كاذبة لا تثبت أمام هذه الحقائق التى يجهلوها أو يتجاهلوها ان ما ذهبت اليه هؤلاء المبشرون لا أساس له من الصحة ، ورسولنا الكريم برىء منه براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب - عليه السلام ، وقبل أن يختلقوا عليه الكذب فليرجعوا الى سنته الطاهرة وسيرته الذكية ، فانهما ينطقان بالحق ويعلنان البراءة له · يقول الشيخ الغزالى مؤيدا هذا الدافع الذى دفع رسول الله الى الزواج من عائشة وحفصة معا : (بيد أن الباعث الأول كان الارتباط بالرجال الذين آزروه فى دعوته ، وعاونوه فى رسالته ، فاختار عائشة بنت أبى بكر على صغر سنها وحفصة بنت عمر على قلة وسامتها)(٢) · ويزداد الأمر تأكيدا لدافع الرسول هذا وتبيين الحكمة من ورائه بكلام الشيخ محمد عبده : (ثم بعد شهر عقد على عائشة بنت الصديق ، والحكمة فى ذلك كالحكمة بالتزوج من حفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة ببدر وهى اكرام صاحبيه ووزيريه أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما) واقرار أعينهما بهذا الشرف العظيم (كما أكرم عثمان وعليا - رضى عنهما - ببناته ، وهؤلاء أعظم أصحابه وأخلصهم خدمة لدينه)(٣) ·

---

(١) من حديث أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى وقال (حسن صحيح) · وفى رواية : (كل ضلالة فى النار) ·
(٢) فقه السيرة محمد الغزالى ص ٤٧٢
(٣) تفسير المنار ج ٤ ص ٣٠٤

وبعـد أن جلى الخفى ، وظهر المستور عن حقيقـة زواج رسول الله ﷺ نعلم تماما ، وخاصة بعد معرفة هذه البواعث والدوافع ، وابراز الحكمة من ورائهـا أن الرسول ﷺ أكرم مخلوق على وجـه الأرض • الفضـيلة أساسة ، والعفة منهجة ، والطهر عادته ، واذا فارقته هذه الصفات العالية فلا بقاء لها فى دنيا الله ، أنه النبى الذى وضـع الدواء النـاجح فى علاج الشهوة وكبح جماحها • فما أجمل قوله وما أجمل ارشادة ، عند ما يقول لفتيـان أمتـه وشبابها واضـعا لهـم النقاط على حروفها : (يـا معشر الشباب(١) •• من اسـتطاع منكم البـاءة فليتزوج فـانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)(٢) •

فنبينا محمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ هو الطبيب الماهر الباهر الذى يتحسس مواضع الداء ويصف له الدواء • ويضع لشباب أمته هذه النصائح العالية ، والوصايا الغالية ، التى ترتقى بهم من الحياة الحيوانية الى الحياة الروحانية ، وبذلك تصان الأمـة الاسلامية ويحفظ مجتمعها ، ويسمو كيانها •

ويا حبذا لو أخذت الدول الأوربية ــ دون تعصب أو عناد ــ هذه التعاليم النبوية ، والارشادات الالهية وطبقوها على مجتمعاتهم عمليا ونظريا ، لاندثرت الفواحش التى تموج بين شبابهم موج البحر وخفيت البغايا عن أعين الزائغين فلا يعرف لهن باب ولا طريق ، وخلت مجتمعاتهم من الوباء والبلاء •

يا حبذا لو أنهم طبقوا هذه التعاليم النبوية والارشادات الآلهية ، لخلت مجتمعاتهم من الفساد والخبث ، وصدق من قال فى حـق رسول الله ﷺ •

داويت متئـــدا وداووا طفـــرة   وأمـــر من بعض الـدواء الـداء

فجزاك الله عنـا يا نبى الطهر والعفاف خير الجزاء ، يا من أنشـأت مجتمعات نظيفة تبيح لشبابها ورجالها الحليلات وتحرم عليهم الحليـلات

---

(١) الشباب من البـلوغ الى الثلاثين تقريبـا • وانمـا خص الشـباب لأن الغالب وجود قوة ترغبهم فى النكاح بخلاف الشيوخ •

(٢) رواه البخـارى ومسـلم واللفظ له ــ عن عبد الله بن مسـعود ــ رضى الله عنـه ــ ، والوجاء هو • رض عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها بالخصاء •

وصدق القـائل :

واذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقـم عليهم مأتمـا وعـويلا

وقـال آخـر :

وانمـا الأمم الأخـلاق ما بقيت فأن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الـدافـع الخـامس :

وهو تشجيع المؤمنين على الجهاد والمرابطة فى سبيل الله وايـواء نسائهم من بعدهم اذا قتلوا .

فرض الله على نبيه وعلى المؤمنين الجهاد فى سبيله وقتـال الكفـار والمنافقين اذ يقول فى محكم تنزيله : « **وقاتلوا المشركين كافـة كمـا يقاتلونكم كافة ..** »(١) ويحث نبيه على الجهاد فى سبيله ، واتخاذ الغلظة مع أعدائه فيقول له : « **يأيها النبى جاهـد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** »(٢) . فالرسول ﷺ مأمور بالجهاد فى سبيل دعوة الله ، والمؤمنو ن كذلك ، ولكن كثيرا من المؤمنين يهـابون القتـال ويخافونه لمـا فيه من ذهاب للأرواح ، وترميل للنساء ، وضياع للأهـل والأولاد ، كما قال سبحانه :

« **كتب عليكم القتـال وهو كره لكم** »(٣) . ولمـا قدم الله بيانا وجزاء ينزع به الكره من قلوب المؤمنين فقال فى آخر الآية « **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » . وبين لهم الجزاء العظيم والثواب الجزيل مقابل الاستشهاد فى سبيل دعوته فقال سبحانه : « **ان اللهَ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك الفوز العظيم** »(٤) لمـا قدم الله للمجاهدين فى سـبيله هذا الجزاء الأوفى ، أراد رسوله كذلك أن يقدم لهم جزاء وضمانا يحثهم أيضا على الجهاد فى سـبيل الله واعلاء كلمته ، فأما الجزاء فيقول فيه الأمين والمأمون ـ صلوات

---

(١) (التوبة : ٣٦) (٣) (البقرة : ٢١٦)
(٢) (التحريم : ٩) (٤) (التوبة : ١١١)

الله وسلامه عليه : (جاهدوا فى سبيل الله ، فان الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجى الله - تبارك وتعالى - به من الهم والغم)(١) ويقول عليه الصلاة والسلام - من رمى بسهم فى سبيل الله كان له نورا يوم القيامة)(٢) وأما الضمان الذى قدمه للمجاهدين معه فى سبيل الله فهو الزواج من نسائهم والمحافظة عليهن ، ورعاية أولادهم ، وتزويج الصحابة - رضوان الله عليهم - لمن يقتل أزواجهن كذلك ، وبهذه السياسة القتالية الرشيدة ، هدف الرسول ﷺ الى استماتة المؤمنين فى اعلاء كلمة الله ، واتخاذهم الحمية فى الدفاع عن دينهم ، فكان الرجل من هؤلاء الثلة الطاهرة يقاتل بحمية شديدة واضع الجنة ونعيمها أمام عينيه ، مبعد عن خاطره الانشغال والخوف على الأهل والولد والذرية لأنه تاركهم فى أمان مأمون ، ورعاية مصونة ، فلا خوف عليهم ولا حزن ، وحدث فعلا ما كان يرنو رسول الله اليه ويقصده ، فكان له وللمؤمنين معه ، النصر المؤزر فى كل غزوة غزوها وفى كل حرب خاضوها مع الأعداء .

وبناء على هذا الأساس الذى أوضحناه ، لم يجد رسول الله ﷺ مكافأة يكافىء بها هؤلاء الذين استشهدوا معه وفى سبيل دعوته غير أنه يتزوج من نسائهم ، ويرعى أبنائهم - فهو النيشان الجليل الذى يقدمه الى هؤلاء الرجال الذين استشهدوا فى سبيل دعوته وأبلوا بلاء حسنا معه . ومن ناحية أخرى فان الرسول ﷺ بهذا الزواج الهادف يعوض هؤلاء النسوة عما أصابهن من مصائب عظمى فى فقدان أزواجهن ، جابرا لكسرهن ، حافظا لأعراضهن ، ومن لم يتزوجها ﷺ كان يزوجها أحد أصحابه .

وخير من يمثل هذا الزواج ، زواجه من السيدة أم سلمة - رضى الله عنها وما تزوجها الرسول ﷺ الا ليعوضها خيرا من زوجها الذى فقدته بعد اصابته فى غزوة أحد ، فآواها وآوى أولادها الستة معها ، وقام بشئونهم ، جزاء لها ، فضلا عن أنها كانت أول مسلمة هاجرت فى سبيل الله .

ولهذا الدافع أيضا تزوج الرسول ﷺ زينب بنت خزيمة ، بعد قتل زوجها عبد الله بن جحش فى غزوة أحد ، فلم يجد الرسول غير أن يعزيها

---

(١) رواه أحمد واللفظ له ، ورواته ثقات . والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » والحاكم وصحح اسناده .

(٢) رواه البزار بإسناد حسن .

فى مصيبتها ويضمها الى زوجاته ، وهى المسلمة المؤمنة التى أطلق عليها (أم المساكين) لبرها بهم وعنايتها لهم ، وهذا الدافع نفسه هو الذى دفع رسول الله ﷺ الى الزواج من السيدة سودة بنت زمعة ، وكان زوجها قد أسلم وهاجر الى أرض الحبشة الهجرة الثانية حين قدما مكة ، فاختارها الرسول ﷺ وتزوجها ليحفظ عليها اسلامها ، اذ أنها لو عادت الى أهلها بعد وفاة زوجها لعذبوها وفتنوها فى دينها ٠

وقد أوفى الكلام عن هذا الجانب — بأسلوب رفيع — الأستاذ عبد الرزاق نوفل فيقول : (وقد أبلى من المسلمين فى الحروب رجال تحدث التاريخ عما قاموا به فى سبيل الله ورسوله . ومن هؤلاء من لقى حتفه فى سبيل الله فتزوج الرسول ﷺ من بعض نساء شهداء المسلمين ، ممن تحدث التاريخ عن جليل أعمالهم ، ولم يجدن أزواجا لهن . اما لكبر سنهن ، أو لكثرة أولادهن ، فزاد ذلك من تعلق المسلمين برسولهم ﷺ ورفع من روحهم المعنوية ، وأصبح المسلم يعرف لو أنه قتل فى سبيل الله ، لم يعدم رجلا يشرف على بيته ، ولم يعدم أبا يحنو على أولاده ، ولو لم يجد من المسلمين لوجد نبى الله نفسه ﷺ بل حبب ذلك الاسلام لغير المسلمين فأسلموا ، ولذلك تزوج الرسول ﷺ من زينب — أم المساكين — زوجة عبد الله بن جحش أحد أمراء المسلمين الذى قتل فى موقعة أحد ، وكان رأس أول سرية خرجت للغزو فى الاسلام ، وكما تزوج للسبب نفسه هند أم سلمة ، زوجة أبى سلمة أحد مهاجرى المسلمين الى الحبشة الذى أبلى بلاء حسنا فى الدعوة ، فلما مات تقدم لخطبتها كبار الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر ، فرفضت حيث قالت (انى امرأة مسنة وأم أيتام) وعز على رسول الله ﷺ أن تظل هذه السيدة حزينة وحيدة ، فتزوجها (١)

وبذلك نعلم الحكمة التى قد دفعت رسول الله الى الزواج بهؤلاء النسوة فما من شك من أنه تزوجهن لجبر كسرهن وتعزيتهن فى مصائبهن وتخفيف الآمهن والقيام بشئونهن ، وشئون أولادهن ٠

ولا عجب فى ذلك فهو نبى المروءة والنجدة والمثل الأعلى فى الشهامة والرجولة فى العصور الحديثة ظهرت هذه الحكمة واضحة شفافة ، وكشفت عن مكنون الأهداف السامية التى هدف اليها رسول الله فى زواجه من

---

(١) رحاب التفسير ﺣ ٤ ص ٧٩١ نقلا عن كتاب الاسلام والعصر الحديث للأستاذ عبد الرزاق نوفل ٠

نسائه جميعا ، فنظرة سريعة فى دستور حكام وملوك العالم ، تجد أن الكثرة الكاثرة منهم قد اقتدوا برسول الله ﷺ وتأسوا به ، فنراهم اليوم ينظرون الى نساء الشهداء الذين قضى نحبهم فى الحرب نظرة المودة والرحمة والشفقة ، هذا بالاضافة الى صرف المكافآت الفورية التى قد تقلل من مصائب هؤلاء النسوة .

فضلا عن تجهيز المساكن للواتى قد لا يكون عندهن سكن ، وكذلك فان أبناء الشهداء لهن معاملات خاصة فى التعليم والاستثناءات .

وهذا ما فعله رسول الله ﷺ من أربعة عشر قرنا مع أم سلمة وأبنائها ، وزينب بنت خزيمة وسودة بنت زمعة وغيرهن ، فظهرت الحكمة من ورائه فى هذه العصور المتأخرة ، ولم يجد الحكام والرؤساء بدا من أن يتأسوا برسول الله ﷺ ويأخذوا عنه من دستور ومنهج نظام المدينة كما فعل رسول الله ﷺ فى المدينة الاسلامية القديمة .

فلا مرية بعد ذلك ، من أن النبى ﷺ هو الحاكم العادل ، والقائد الرشيد ، صاحب العقل الراجح ، والبصيرة الحادة النافذة ، فقد كان ﷺ يزن الأمور بميزان دقيق جدا ، فلو أنه تخاذل عن نساء المجاهدين معه وأهمل رعايتهن ، لتفلت المجاهدون من يده وتقاعسوا عن الجهاد معه خوفا على أزواجهم وأولادهم .

ولكن لما رأى المجاهدون حفاظ رسول الله على نسائهم ، وكرمه لهن ضاربا المثل الأعلى لأصحابه فى التضحية كى يقتدوا به فى الزواج بمن فقدن أزواجهن فى سبيل الله ، وينتظروا من التى ستفقد زوجها حتى يقدموا لها المكافأة العظمى ، والعزاء الجميل بضمها الى نسائهم مقتدين برسول الله ﷺ « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** »(١) . بهذه التضحية القيمة التى فعلها رسول الله ، واقتدى به الصحابة فى ذلك ، اندفع المجاهدون بحمية شديدة ـ يجاهدون فى سبيل الله ، يصولون ويجولون فى معاركهم ، حتى كتب الله لهم النصر وأعز بهم دينه ، وصدق الله اذ يقول « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** » (٢) .

---

(١) (الأحزاب : ٢١)
(٢) (الأحزاب : ٢٣)

ان تاريخ رسـول الله ﷺ حافل بالمشـاهد الفاضـلة والأحداث الباهرة ، ولكن المضلين يريدون أن يحولوا هذه الفضائل الى رذائل بطعنهم فى شخصه الجليل ، وتاريخه العظيم فأين هى الشهوة التى تملك زمـام رسول الله أيها الحاقدون ؟ والى أين قادته ؟ .. الى امساكه بهؤلاء المكتبلات الأرامل لجبر كسرهن والحفاظ عليهن ، والله الذى لا اله غيره أن ما ذهبوا اليه لهو السفه بعينه .

الدافـع السـادس :

وهو الشروع فى تشريع جديد للجماعة المسلمة آنذاك يخالف عادات العرب فى الجاهلية وتقاليدهم المستنكرة .

فالاسلام هو التشريع الجديد لأمة واحدة ، تمتد بها القرون الى أن يشاء الله ، فأراد الله لها أن يقام تشريعها على أساس صحيح لا على أساس باطل ، وذلك ظاهر فى عادة التبنى السـيئة التى أراد الله أن يبطلهـا ويقضى عليها .

وكان العرب فى جـاهليتهم لا يزوجـوا الشريفة الحـرة الكريمة الحسب ، السليلة النسب الا من رجل يدانيهـا فى ذلك ولكن الاسـلام تشريع لا يعرف الطبقات والفوارق ، ولكن يعرف . « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » فألهم الله نبيه أن يزوج بنت عمته (زينب بنت جحش) ، الحسيبة النسيبة من مولاة زيد بن حارثة .

ونظرا لأن عاداتهم المتوارثة تستنكر ذلك . فأنزل الله قرآنا يقضى على هذه العادات ، فيقول : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم »(١) . وحدث الزواج فعلا ، وقضى الله على عادة توارثتها العرب لفترات طويلة ، وشرع للمسلمين شرعا ارتضاه لهم ، وهذه واحدة .

وأما الثانية . فان العرب أيضا كانت تستنكر الزواج من زوجـات أدعيائهم بحجة أنهم أبناءهم ولا يجوز للرجل أن يتزوج بامرأة ابنه . ولكن

---

(١) (الأحزاب : ٣٦)

المشرع سبحانه - أراد أن يبطل هذا الخلط ، ويرد علاقة النسب الى أسبابها الحقيقية ، علاقة العصب والدم وعلاقة الأبوة والبنوة الحقيقية الواقعية غير الزائفة فقال : سبحانه : « **وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم** »(١) ويحلل سبحانه - الزواج من زوجة الدعى فيقول « **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** »(٢) • وعلى أثر ابطال هذه العادات شرع للنبى الزواج من زينب بنت جحش التى كانت زوجا لدعيه ومتبناه بقوله : (زوجناكها) بعد أن اقتضت حكمة الله أن يطلقها • وما كان هذا التشريع الذى شرعه لنبيه الا تأكيدا ومبالغة فى ابطال هذه العادة السيئة . فيكون النبى هو الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة للمجتمع الاسلامى ، فيستن المسلمون بسنته ويقتدون به فى هذا التشريع الذى شرعه الله له •

ومن هنا نعلم الحكمة الفاضلة من وراء هذا الدافع الذى دفع رسول الله ﷺ الى الزواج من امرأة متبناه زيد بن حارثة •

فالزواج من زينب - رضى الله عنها - ليس المقصود منه قضاء الشهوة والمتعة ، ولا حبا فى جمالها ووسامتها - كما يزعم الجاهلون - ويحكمون على رسول الله بهذا الحكم الساقط البئيس •

انما الدافع الأساسى هو وضع تشريع جديد للجماعة المسلمة تجيز لهم نكاح نساء أبنائهم الذين ليسوا من أصلابهم • وطبق الله هذا التشريع على نبيه أولا ، وتحمل الرسول أعباء هذا الزواج • « **لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا** »(٣) • يقول الخازن فى تفسيره لهذه الآية • (لكى لا يكون على المؤمنين حرج) أى اثم (فى أزواج أدعيائهم) جمع الدعى وهو المتبنى (اذا قضوا منهن وطرا)

يقول زوجناك زينب وهى امرأة زيد الذى كنت تبنيته ليعلم أن زوجة المتبنى حل للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للأب (وكان أمر الله مفعولا) أن قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى فى زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ(٤) •

---

(١) (الأحزاب : ٢) •
(٢) (النساء : ٢٣) وهذه الآية حرمت نكاح زوجة ابن الصلب وحللت نكاح زوجة المتبنى •
(٣) (الأحزاب : ٣٧) •
(٤) الخازن جـ ٣ ص ٤٠٠

الدافــع الســابع :

رسم صورة حية عن حياته البيتية والوقائع والملابســات التى حدثت بينه وبين زوجاته ــ عليه السلام ٠

فقد أراد الرسول ﷺ من خلال زواجه هذا أن يعطى المسلمين صورة حية عن حياته المنزلية ، ينبج عليهــا المسلمون ويسيرون على ضوئهـا ، ضارب لهم المثــل الأعلى فى حسن المعاشرة الزوجية والتعــامل اللطيف مع زوجاته ، والحفاظ على كيان الأسرة والارتقاء بيا ٠

فقد كان رسول الانسانية وقدوة البشرية غاية فى الأخلاق الفاضلة ، والحلم والكرم والمروءة ، وكانت علاقته بزوجاته علاقة حميدة نظيفة ، كلها تسامح وحنان ومودة ، لم يعامل نسائه بجفاء ولا غلظة ، ولم يقس عليهن ولم تخرج من لسانه الكلمة النابية ، أو اللفظة الفاحشة ، بل كان أعظم أخلاقا وأرحب صدرا من ذلك ، ليس ضعفا منه ، انما حياء وكرما ٠ فاستمع فى خشوع الى جلال النبوة وهو يعطى لنا صورة حية عن المجتمع النســائى فيقــول : (لا يكرمهن الا كريــم ولا يهونهن الا لئيــم ، يغلبن كل كريــم ويغلبهن كل لئيم وأنا أحب أن أكون كريما مغلوبا خير من أن أكون لئيما غالبا) واذا نظرنا الى مطلع سورة التحريم نجدها قد رسمت لنــا صورة جميلــة مقتطفة من حيــاة رســول الله بين زوجاته فيقول الحق سبحانه **« يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم ٠ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ٠ واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها بــه قالت من أنبأك هذا قال نبــأنى العليم الخبير ٠ ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ٠ عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبــات عابدات سائحات ثيبــات وأبكارا »**(١) فهذه السورة التى أوردها الله لنا

---

(١) (التحريم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) والآية الأخيرة (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجــا ٠٠٠) فيها اشارة صريحة من القرآن الكريم بأن محمدا لم يكن يتزوج من تلقاء نفسه انما كان يتزوج بأمر واذن من الله سبحانه ، أى أن محمدا ــ زوج فتزوج لأنه منفعل وليس فاعــلا للزواج ٠

فى كتابه الكريم ، والتى أعطتنا واقعا ملموسا ، عاشه رسول الله مع زوجاته تنبئنا عن كرمه وحلمه وصفحه الجميل ، حتى عن زوجتيه المتآمرتين عليه ، انما يعلمهن كيفية المعاشرة والحفاظ عليها حيث ان التعنيف والتشديد لا يجدى فى مثل هذه الحالة . ولذلك يقول ﷺ أن الله تعالى لم يبعثنى معنفا ، ولكن بعثنى ميسرا(١) . ولكن فى مثل هذه الحالة يجب على الزوجتين المتآمرتين أن تتقدما بالتوبة الى الله (ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما) ويقول صاحب ظلال القرآن (وهذه السورة تعرض فى صفحة من الحياة البيتية لرسول الله ﷺ وصورة من الانفعالات والاستجابات الانسانية بين بعض نساءه وبعض وبينهن وبينه ! وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات فى حياتة ﷺ وفى حياة الجماعة المسلمة كذلك .. ثم فى التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع فى بيوت رسول الله وبين زوجاته) .

فزواج الرسول ﷺ كان لهذا الهدف الهادف وهو كيف أن الزوجين معا يقيمان بيتا وطيد الأركان ، عظيم البنيان أسسه تقوى الله وخشيته ، وأعمدته الأعمال الصالحة التى تجلب عليهما رضى الله ، فيعيشان حياة سعيدة بنائة ويخرج نباتهما حسنا ، ولا يكون لهما ذلك الا باستمداد هذه الآداب الزوجية العالية — من بيت النبى الأمثل ، والزوج الأكمل — محمد بن عبد الله ﷺ الذى يقول : « خيركم خيركم لأهلة وأنا خيركم لأهلى »(٢) .

وهى صورة موجزة المبنى ، عظيمة المعنى والمغزى ، من آداب محمد البشر الرسول فى بيته وبين نسائة . فهو المثل الرفيع ، والقدوة الكريمة التى يجب على كل أسرة — بل على كل زوجين معا ، أن يستمدا هذه الآداب العالية من حياته بين نسائة ، ومعاشرته لهن وعدله الذى تطاول الى عنان السماء .

فقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها : كيف كان خلق رسول الله ﷺ فى أهلة ؟ قالت أحسن الناس خلقا : لم يكن فاحشا ولا متفاحشا ولا صخابا فى الأسواق ، ولا يجزى بالسئة مثلها ، لكن يعفو ويصفح وتقول (ماضرب رسول الله ﷺ خادما له قط ، ولا ضرب بيده الا أن يجاهد فى سبيل الله ، ما نيل منه شىء فانتقمة من صاحبة الا أن تنتهك

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذى .

محارم الله عز وجل فينتقم لله عز وجل ، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر الا أخذ بأيسرهما ، الا أن يكون مأثما ، فان كان مأثما كان أبعد الناس منه)(١) ٠

فقد كان ﷺ طرازا وحده من الرجال العدل مبدأة ، والتسوية هدفه والرضا بالكفاف غنيمته ، والمعاملة الحسنة شيمته ، وكل صفات البر والفضائل تمثلت فى شخصه الكريم ٠ وكان التواضع من أركان خلقه عليه الصلاة والسلام ، فهو لا يترك أعباء البيت كلها تثقل كاهل الزوج أو الخادم ، فرغم ما يشغله من مهام ، يشارك فى أعباء البيت تقول عائشة حول ما يصنعه ﷺ فى بيته : كما يصنع أحدكم : يخصف نعله ويرقع ثوبه ٠ ولقد وصفة خادمة أنس بقوله (خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال أف قط ، ولا قال لشىء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشىء تركته لم تركته ؟ فاذا كان ذلك هو خلقه مع خادمة فكيف يكون مع زوجاته اذن ؟! انه القدوة كان وسيكون ، وهو الرحمة المهداة تخفف عنا مسافات التجريب بلاطائل ٠٠ وهو النبراس لكل عين وقلب)(٢) ٠

فما أجمل الزوج اذا اقتدى برسول الله فى بيته ، واتخذه نبراسا له وما أعقل الزوجة اذا استمدت الآداب الرفيعة والأخلاق العالية ، والطاعة الحسنة — من أمهات المؤمنين ، المثليات الفاضلات !

فان حياتهما تظللها سحائب من السعادة والغبطة والسكون النفسى الهادىء والراحة الدائمة ، بعدا عن المشاكل والخلافات التى تنوء بالعصبة أولى القوة من الرجال ، فينتج عن ذلك النشوز والشقاق ، ويردد كل رجل ما تمناه الاخر قبله ٠

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى
ولكن قرين السوء باق معمر

فياليتها صارت الى القبر عاجلا
وعذبها فيه نكير ومنكر

وبعد أن تكلمنا عن هذا الجانب ، الذى هدف رسول الله من ورائه الى تكوين الأسرة المستقيمة ، والحياة الهادفة التى يملؤها الوئام والوفاق ، ويزول عنها الشقاء والشقاق ، لا نجد لدينا ما نقدمه لكل زوجين خيرا من

(١) مسند أحمد
(٢) النبى زجا ٠ نشأت المصرى ص ١٣٥ : ١٣٦

وصية رسول الله ﷺ (عن عمرو بن الأحوص الجشـمى رضى الله عنه أنه سـمع رسـول الله ﷺ فى حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ .. ثم قال : ألا واستوصوا بالنسـاء خيرا فانمـا هن عوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فأهجروهن فى المضـاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فان أطعنكم فلا تبغوا منهن سبيلا . ألا ان لكم على نسـائكم حقـا ، ولنسـائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن : أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمـن تكرهـون . الا وحقهن عليكم : أن تحسـنوا اليهن فى كسـوتهن وطعامهن)(١) .

وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال أن تطعمها اذا طعمت ، وأن تكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر الا فى البيت(٢) .



---

(٢) رواه أبو داود

(١) رواه ابن ماجة والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

الفصـــل الثـــالث

نقطتـــان جوهريتـــان

بعد أن تحدثنا عن الدوافع النبيلة ، والبواعث السامية ، التى دفعت رسول الله الى تعدد زوجاته ، وبسطنا القول الشافى فى ذلك ، يجدر بنـا أن نثبت هنا نقطتين جوهريتين هامتين ، تنفيان الشبهة الى أبعد الحدود ٠

النقطـة الأولى : هى أن رسـول الله ﷺ لم يعدد زوجـاته الا بعد بلوغه سـن الخامسـة والخمسين ، أى أنه بعد أن قضى زهرة شـبابه ، وضعفت شهوته ورغبت نفسه عن المتعة . فلا مكان نيا عنده ، وتعقلا أن قيادة الشهوة للانسان تكون فى فترة الشباب ومستهل العمر ، ولا تكون بعد ضعفها واضمحلالها ٠

النقطـة الثانية : أن الرسول ﷺ لو راغب فى النساء حقا ، ميـال اليهن بطبعه ، ويرى فى تعدد النسـاء خطـأ وتقييدا عليه ، لأمسك بأربع نسوة ، واذا رغب فى الخامسـة ، سرح واحدة من المكتهلات اللواتى عنده وضمها اليه اذا رغب فى السادسة فعل مثل ذلك ٠٠ وهكذا وبذلك يدرأ عن نفسه شبهة ، ويقطع ألسنة اللسـناء ٠ وقد تعرض لهذا الرأى وزاده تأكيدا الدكتور النجار فيقول : (ان الرجـل الشهوانى لا يطيق أن يصبر على عدد معين من النساء ، لأنه يرى لذته فى أن ينتقل من زوجة الى زوجة فيقضى مع هذه أسبوعا أو شهرا ، ثم يبحث عن أخرى ليقضى معها الوقت الذى يليه ، وذلك أمر ميسـور للأشـخاص العـاديين الذين يسـتجيبون لشهواتهم فنرى الرجل منهم اذا أراد أن يتزوج بامرأة أعجبه حسنها وكان تحت يده أربع نسـاء ، يطلق الرابعة ثم يتزوج بمن يشـاء وتظـل هـذه العملية تتكرر كلما صرخ سعار الشهوة فى نفسه ، وبهذه الطريقة يستطيع أن يتزوج بتسعين امرأة لا بتسع نساء)(١) ٠

ان الذين يتطـاولون على رسـول الله محمد ﷺ وينتحلون عليـه الأكاذيب ليس أمامنـا حكم نحكم به عليهم - بعد كل هـذا الا أن نقول ، حقا : أن عقولهم جوفاء ، ونفوسهم حمقى ، واذا دخل الحمق نفس انسـان كل الطبيب من مداواته ، وصدق الحكيم اذ يقول :

لكـل داء دواء يسـتطب بـه الا الحمـاقة اعيت من يداويهـا

---

(١) القول المبين فى سيرة سيد المرسلين د٠ محمد الطيب النجار ص ٣٥٣

وقد جمع العلامة الألوسى جل هذه الدوافع والحكم التى أدت برسول الله الى تعدد نسائه فى عبارة وجيزة وترتيب جميل فقال — رحمه الله — (ولما فى النكاح من حصول الألفة أكثرت العرب من النساء ، وكان عند النبى ﷺ تسع نسوة • والذى تحصل من كلام أهل العلم فى الحكمة فى سبب استكثاره من النساء عشرة أوجه •

أولها : أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفى عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك •

ثانيها : لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم •

ثالثها : للزيادة فى تألفهم لذلك •

رابعها : للزيادة فى التكليف حيث كلف أن لا يشغله ما حبب اليه فهن عن المبالغة فى التبليغ •

خامسها : لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه •

سادسها : نقل الأحكام الشرعية التى لا يطلع عليها الرجال لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفى مثله •

سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة ، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها اذ ذاك يعاديه ، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها فلو لم يكن أكمل الخلق فى خلقه لنفرن منه بل الذى وقع أنه كان أحب اليهن من جميع أهلهن •

ثامنها : لاظهار المعجزة البالغة فى خرق العادة فى كثرة الجماع مع التقليل من المأكول والمشروب ، وكثرة الصيام والوصال وقد أمر من لا يقدر على مؤن النكاح بالصوم ، وأشار الى أن كثرته تكسر شهوته ، فانخرقت هذه العادة فى حقه ﷺ •

تاسعها : للدلالة على كمال بشريته ، والعرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية •

عاشرها : أن ذلك زاده عبادة تحصينهن وقيامه بحقوقهن ، واكتسابه لهن ، ولم ينصف من نقد فى هذا الأمر فانه لم يكن بدعا من الرسل فى ذلك ، فان التزوج لا ينافى النبوة ، وان الجمع بينهما قد وقع فى رسل كثيرة قبله •

وذكر أنه كان لسليمان عليه السلام تلثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية وانه كان لداود عليه السلام مائة امرأة(١) .



(١) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ـ للألوس ج ٢ ص ٧ ، ٨ شرح وتصحيح محمد بهجة الأثرى

« ٢ »

تراجـــم أمهـــات المؤمنين

قبل أن نبدأ فى تراجم أمهات المؤمنين نرى أنه من الأفضل والأكمل فائدة أن نضع هذا الوصف الدقيق المختصر عن عيشتهن وبيوتهن ٠

فقد كن رضوان الله عليهن يعشن عيشة تقوم على الكفاف والتقشف والزهد التام ، ابتداء من المسكن الى الملبس الى المآكل ، وكن رضوان الله عليهن ــ راضيات وقانعات ومقتنعات بحياتهن مع رســول الله ﷺ ، وكن رضوان الله عليهن يقطن جميعا بيوت النبى ﷺ عبارة عن تســع حجرات بنيت حول مسجد المدينة ، فى شرق المسجد وشــماليه وقبليه ، وأبواب الحجرات التسع متجهة الى ساحة المسجد ، وكان لكل زوجة منهن حجرة واحدة شيدت من اللبن وسعف النخيل ، وكان الفراش عبــارة عن جلد محشــو باللبن وليس بينه وبين الأرض الا الحصير ، وعلى فتحة البــاب أسدل ستار من الشعر(١) ٠

وهاك ترجمة مختصرة وموجزة منتقاة من أوثق كتب السيرة والتاريخ عن أمهات المؤمنين رضى الله عنهن ٠

١ ــ السيدة (خديجة بنت خويلد) رضى الله عنهــا

هى أول أزواجه عليه السلام ــ تزوجهـــا رســول الله ــ ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة ــ كما هو الراجح وكانت ثيبــا ، تبلغ من العمر أربعين سنة ، وتزوجت قبله برجلين هما (أبو هالة) بن زرارة التميمى أولا ، ثم خلف عليهــا بعده أبى هــالة (عتيق بن عــائذ) ثم خلف عليهــا رسول الله ﷺ ، وعاشت مع الرسول خمسا وعشرين سنة ، خمس عشرة قبل البعثة ، وعشرا بعدها ، ورزق منها جميع أولاده ما عدا ابراهيم فهو من مارية ولم يتزوج الرسول الكريم عليهــا الى أن ماتت وكان قد بلغ من العمر خمسين عاما ، وكانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنوات ٠

الدافع الى الزواج منها : هو سنة الفطرة ، واختارها لشرفها وسداد رأيها ، ورجحات عقلها ٠

---

(١) وفاء الوفاء للسمهودى جـ ٢ ص ٤٥٩

٢ ـ السيدة (سودة بنت زمعة) رضى الله عنها

وهى أول امرأة تزوجها بعد وفاة خديجة ، وكانت ثيبا بنى بها الرسول بمكة ، وكانت أرملة (السكران بن عمرو الأنصارى) وكانت من السابقين الى الاسلام من مهاجرى الحبشة ، وتوفى عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة ، فأصبحت فريدة لا ناصر لها ولا معين ، ولو عادت الى أهلها لعذبوها وفتنوها فى دينها ، فلما علم الرسول بأمرها أخرجها من ضيقها ، وبنى بها فى مكة ثم هاجر بها الى المدينة وعندما بنى بها الرسول كانت أرملة مسنة بلغت من العمر الخامسة والخمسين ، وقد مكث معها الرسول حوالى خمس سنوات ، ثم تزوج بالسيدة عائشة فأين الشهوة والمتعة مع امرأة كهذه !!!؟

الدافع الى الزواج منها : هو ايوائها ، وحفظ دينها عليها ، ويضرب بها المثل فى ايواء نساء المجاهدين معه ، كما هو موضح بالدافع الخامس ، فانظر التفصيل هناك ص ٣٩ وما بعدها

٣ ـ السيدة (عائشة بنت أبى بكر) رضى الله عنها

وهى البكر الوحيدة بين نسائه الطاهرات ، لم يتزوج بكرا غيرها ، وكان تزويجه لها بمكة وبنى بها بعد الهجرة الى المدينة على رأس ثمانية أشهر منها ـ على الصحيح ـ وروى البخارى عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ أريتك فى المنام مرتين اذا رجل يحملك فى سرقة حرير فيقول هذه امرأتك ، فأكشفها فاذا هى أنت فأقول : (ان يكن هذا من عند الله يمضه) فتزويجها رضى الله عنها كان بأمر من الله ، لأن رؤيا الأنبياء حق . وقد كانت أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن ، بل كانت أعلم من أكثر الرجال . روى أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علما ، وكتب الحديث خير من تشهد بعلمها الغزير ، وعقلها الكبير ، وقبض رسول الله ﷺ وهى بنت ثمانى عشرة ، وقبض ورأسه فى حجرها ، ودفن فى بيتها . وكان عليه السلام يحبها أكثر من نسائه ، وكان يعدل بينهن فى القسمة فيقول : (اللهم ان هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك) .

وقد ماتت رضى الله عنها فى سنة ثمان وثمانين ، وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه ودفنت ليلا بالبقيع .

الدافع من الزواج منها : دافع اجتمـــاعى لتقوية الصلة بينه وبين صديق حياته (ثانى أثنين اذ همـــا فى الغـــار) ص ٣٣ ، ودافع علمى أيضا ص ٢٩ وما بعدها .

٤ ـ السيدة (حفصة بنت عمر بن الخطاب) رضى الله عنهـا

تزوجها الرسول ﷺ بعد الهجرة بسنتين وأشهر وكانت ثيبا ، كان زوجها (خنيس بن حذافة الأنصارى) قد استشهد فى غزوة بدر ، وكان من المجاهدين الشجعان ، وتزوجها الرسول ﷺ بعد أن عرضها أبوها على أبى بكر وعثمـان ، فلم يسـتجيبا فوعـده النبى خيرا منهمـا وتزوجهـا الرسول ﷺ وأصدقها أربعمائة درهم ، وسر أبوها (عمر بن الخطـاب ؛ رضى الله عنه سرورا عظيما بهذا النسب الشريف ، وماتت بالمدينة ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المؤمنين يومئذ ٤٥ هـ .

الدافع الى الزواج منها : دافع اجتمـاعى لتقوية الصـلة بينه وبين وزيره عمر ، وأوضحنا الكلام عنه فى الدافع الرابع ، وأيضـا دافع واقعى بيتى أوضحنا الكلام عنه فى الدافع السابع . ص ٣٣ وما بعدها ، ص ٤٨ وما بعدها .

٥ ـ السيدة (زينب بنت خزيمة) رضى الله عنهـا

تزوجها الرسول ﷺ وكانت ثيبا فقد كانت رضى الله عنها زوجـا لعبيد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد وكانت تسـمى (أم المسـاكين) لاحسانها اليهم ، ورأفتها بهم وشفقتها عليهم . ولم تدم حياتها مع رسول الله طويلا ، فقد مكثت عنده ثمانية أشهر على الأرجح ثم ماتت سنة أربع من الهجرة ، ودفنت بالبقيع .

الدافع الى الزواج منها : تزوجها الرسول ﷺ بدافع الرحمة والاحسان اليها ، وتقدير دورها ودور زوجها ـ شـهيد أحد ـ وانظر الكلام مفصـلا بالدافع الخامس ص ٣٩ وما بعدها .

٦ ـ السيدة (هند أم سلمة المخزومية) رضى الله عنهـا

تزوج بها الرسول ﷺ وكانت ثيبـا ، تزوجت قبـله ابن عمهـا (عبد الله بن عبد الأسد) ، وكانا قد أسلما قديما وهاجرا الهجرتين ، ومات

أبو سلمة من جرح أصابه فى غزوة أحد فقال لها رسول الله ﷺ سلى الله أن يؤجرك فى مصيبتك ويخلفك خيرا ٠

فقالت : ومن يكون خيرا من أبى سلمة ؟ ولما اعتدت أم سلمة ، أرسل اليها أبو بكر ، وأرسل عمر يخطبانها ، فأبت وكانت كثيرة الأولاد ٠ وعز على الرسول ذلك فتزوجها وآواها وآوى أولادها معها ، وعوضها من أبى سلمة خيرا ، وكانت امرأة مسنة وقتها وماتت فى ولاية يزيد بن معاوية ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة - رضى الله عنه ٠

الدافع الى الزواج منها : ايواء نساء المجاهدين ، وهو دافع قتالى أوضحنا الكلام عنه فى الدافع الخامس ص ٣٩ وما بعدها ٠

٧ - السيدة (جويرية بنت الحارث) رضى الله عنها

تزوج الرسول ﷺ بجويرية بنت الحارث ابنة سيد بنى المصطلق بعد غزوة بنى المصطلق فى أواسط السنة السادسة وكانت قد سبيت فى هذه الغزوة ، ووقعت فى سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها على تسع أواق ، فأدى عليه الصلاة والسلام عنها ذلك وتزوجها ، وكانت قبله زوجا (لمسافع بن صفوان) قد قتل كافرا يوم المريسيع وبعد تزويج الرسول اياها ، سمع بذلك المسلمون فأعتقوا ما فى أيديهم من سبى بنى المصطلق ، وقالوا : هم أصهار رسول الله ﷺ فأسلم أبوها وابنان له ، وأسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم وحسن أسلامهم ، وقالت عائشة - رضى الله عنها - فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها ٠ وتوفيت بالمدينة ١٠ وصلى عليها مروان بن الحكم ٠

الدافع الى الزواج منها : دافع قتالى سياسى ، أوضحنا الكلام عنه فى الدافع الأول ص ٢٣ وما بعدها ٠

السيدة (زينب بنت جحش) رضى الله عنها

تزوجها الرسول ﷺ فى السنة الخامسة للهجرة وكانت ثيبا ، تزوجها زيد بن حارثة لتحقيق « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » ثم طلقها وتزوجها الرسول ﷺ بعد الحاح ودفع من السماء لوضع تشريع « **لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا** » ، ونزل تزويجها من السماء بقول الله لرسوله « **زوجناكها** » وهو أول زواج

أرضى تحتفل به ملائكة السماء فى الملأ العلوى ٠ وعن مغيرة بن الشعبى قال : كانت زينب تقول للنبى انى لأدل عليك بثلاث ما من نساءك امراة تدل بهن ٠ ان جدى وجدك واحد (تعنى عبد المطلب فانه أبو أبى النبى ﷺ وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب) وأنى أنكحنيك الله من السماء ، وأن السفير جبريل عليه السلام وكانت السيدة زينب رضى الله عنها شديدة الخشوع لله ، وقد قال فى حقها ﷺ : انها لأواهة ، فقال رجل : يا رسول الله ما لأواه ؟ قال : الخاشع المتضرع ، وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل اليها اثنى عشر ألفا فجعلت تقول : اللهم لا يدركنى هذا المال فى قابل فانه فتنة ثم قسمته فى أهل رحمها وأهل الحاجة ، وحين حضرتها الوفاة ، قالت : (انى قد أعددت كفنى ، وأن أمير المؤمنين ، سيبعث الى بكفن ، فتصدقوا بأحدهما ٠ وان استطعتم أن تتصدقوا بحقوى — ازارى — فافعلوا) ٠ وهى أول زوجاته لحوقا به ٠

الدافع الى الزواج منها : هو وضع تشريع جديد للأمة — أوضحنا عنه بالدافع السادس ص ٤٥ ، وفى الفصل السادس الخاص بزواجها ٠

٩ — السيدة (أم حبيبة — رمله بنت أبى سفيان) رضى الله عنها

تزوجها النبى ﷺ فى سنة سبع من الهجرة — كانت ثيبا — مات عنها زوجها (عبيد الله بن جحش) بأرض الحبشة بعد أن ارتد الى النصرانية ، وأبت هى على اسلامها ، عاضة عليه بنواجزها ، قابضة عليه ٠

فخطبها النبى ﷺ لما علم ما تعانيه أم حبيبة من مشقة الترحيل والاغتراب معا ٠ فأرسل ﷺ عمرو بن أمية الى (نجاشى الحبشة) ليخطبها له ٠ وأرسل النجاشى (أبرهه الجارية) الى أم حبيبة لتبلغها ، فردت أم حبيبة : بشرك الله بالخير ، وأهدتها سوارين وخواتيم من فضه وخلخالين ، ووكلت ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية فى تزويجها للنبى ﷺ وأرسلها النجاشى مع (شرحبيل بن حنسة) ٠

ويروى أن أباها (أبا سفيان بن حرب) قدم المدينة فدخل عليها فلما ذهب ليجلس على الفراش ، طوته دونه ، فقال يا بنية : أرغبت بهذا عنى أم بى عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس : فقال : لقد أصابك بعدى شر قالت : بل خير ٠

الدافع الى الزواج منها : هو تأليف قلوب القبائل وتوحيدهم ، وهو دافع قتالى سياسى أوضحنا الكلام عنه فى الدافعين الأول ص ٢٣ وما بعدها والثانى ص ٢٨ وما بعدها ٠

١٠ — السيدة (صفية بنت حيى بن أخطب) رضى الله عنهـا

تزوجها الرسول ﷺ اثر فتح خيبر بعد الحديبية ، وكانت ثيبـا ، وكان أبوها زعيم بنى النضير ، وتزوجت قبل رسـول الله ﷺ برجلين ، وفى زواجها برسول الله قصة ذكرها ابن اسـحاق فى سيرته هى : (أنه أتى بها وبأخرى معها من السبى ، فمر بها بلال — رضى الله عنه — على قتلى من اليهود ، فلما رأتهم التى مع صفية ، صاحت وصكت وجهها ، وحثت التراب على رأسها) ، فقال ﷺ : « أغزبوا عنى هذه الشيطانة » وأمر بصفيـة فحيزت خلفه ، والقى عليها ردائه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه فقال رسول الله ﷺ لبلال فيما بلغنى حين رأى بتلك ما رأى: (أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما !!؟) وفى البخارى ومسلم أن الرسول ﷺ خيرها بين أن يعتقها وتكون زوجته أو يلحقها بأهلها ، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته وجعـل الرسـول ﷺ عتقهـا صداقها ، وتزوجها ليجبر كسرها ، ويداوى جراحهـا الدامية ، وماتت رضى الله عنها سنة ٥٠ هـ ودفنت بالبقيع •

الدافع الى الزواج منها : انظره تفصيليـا فى الدافع الأول ص ٢٣ وما بعدها •

١١ — السيدة (ميمونة بنت الحارث) رضى الله عنهـا

وهى آخر من تزوج الرسـول ﷺ — وكانت ثيبـا — وهى خـالة خالد بن الوليد ، وعبد الله بن عبـاس ، وكان اسـمها برة فسـماها الرسول ﷺ ميمونة ، وهى من أكرم النسـاء حسبا ونسبا وقد قيـل فى أمها (هند بنت بن زهير بن الحارث) : انهـا أكرم عجـوز فى الأرض أصهارا ، وقد تزوج الرسول ﷺ بها فى وقت فراغه من عمرة القضـاء ، وأصدقها أربعمائة درهم ، وبنى بها فى « سرف » بطريق مكة قبل عودته الى المدينة ، وهو نفس المكان الذى طلبت أن تدفن فيه — رضى الله عنها •

الدافع الى الزواج منها : هو الاحسان اليها واكرام عشيرتها الذين آزروا الرسول ﷺ ونصروه •• وانظر الكلام مفصـلا فى الدافع الثـانى ص ٢٨ وما بعدها •

أما السيدة مارية القبطية فهى من السرارى فلم ندرجهـا هنـا فى تراجم أمهات المؤمنين — وقد تكلمنا عنها فى حديثنـا عن ملك اليمين فى الشريعة الاسلامية •

وهؤلاء الأحد عشر نسوة هن اللاتى تزوج رسول الله بهن . وهن المتفق عليهن بين المؤرخين وكتاب السير ، فأما خديجة وزينب بنت خزيمة - رضى الله عنهما - فقد ماتتا فى حياته ﷺ والتسع نسوة مات عنهن . وقد نظمهن بعض الفضلاء فقال :

توفى رسول الله عن تسع نسوه　　اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ، ميمونة ،وصفية　　وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة　　ثلاث وست ذكرهن مهذب



الفصـــل الرابـــع

موقف الصحابة .. تجـاه زواج النبى صـلى الله عليه وسـلم

الدليـل الأول :

لاشك أن من ينقب فى بطون أمهات كتب التـاريخ ، يستطيع لأول وهلة أن يلمس حياة أفضل ثلة عرفها التاريخ ، عاشت على وجه الأرض فى صبحة رسول الله ﷺ وفى كنف الدعوة الاسلامية .

فالتاريخ بطولة وعرضة ، بأحداثـه وسيره ، يشهد بالكفاءة العظمى لهذا الرعيل الأول فى مثلهم العليا ، وصحبتهم النقية وايمانهم الراسخ ، ويقينهم الثابت ، الذى لا تزعزعه عواصف الشرك والنفاق ، فكان جزاؤهم أن« **رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم** »(١) .

لاجرم أنهم كانوا ذوى سرائر نقية ، وبصائر نيرة ، وعبقرية باهرة ، واذا ما عددنا مناقب ومحاسن هذا الجمـع من الرجال الذين التـفوا حول رسول الله ﷺ وفدوه بأرواحهم وأولادهم وعشيرتهم ، لعجز اللسان وكل البيـان فى التعبير عن وصف آدابهم السـامية ، وأخلاقهـم الكريمـة ، وصحبتهم النقية .

غير أننا نقول حقا : أنها أعظم صحبة حدثت فى دنيا الرجال وأجل رعيل برز فى عالـم العقيدة والايمان ، وأروع نخبـة عرفتها البشرية على امتداد عمرها .

هؤلاء الكمل من الرجال ، الذين أسلموا عن يقين ، وآمنوا دون ريب ، لم يؤثر عنهم أنهم اعترضوا على زواج رسول الله ﷺ من نسائه ولم يمانعونه فى امساكه بزوجاته ، كذلك لم يبدر منهم أى قول أو فعـل تجـاه تعـدد زوجاته ﷺ يشعره بالوقوف عند الحد الذى يحدهم (مثنى وثلاث ورباع) .

هذا يدلنا على أن زواج المعصوم ﷺ لم يكن لأجل قضاء شهوة جنسية ولا متعة جسدية ، وانما كان لأهداف أعلى وأسمى من هذا ...

---

(١) (التوبة : ١٠٠)

عرفوها حق المعرفة ، وعلموها تمام العلم ، وغاصوا فى كنه أسرارها فضلا عن أنهم أعلم الناس بخصوصياته التى اختصه البارى بها ، دون سواه من البشر ٠

ولو أنهم رأوا فى زواج الرسول جريا وراء العواطف ، أو ما ينادى به أعداؤه اليوم ، لما منعهم الحياء ، ولا اعتراهم الخجل أن يعارضوا رسول الله فى هذا الزواج وهذا التعدد ٠

فضلا عن أنه كانت تحدث منهم اعتراضات فى بعض الأمور على امتداد فترة التشريع الاسلامى ، وعلى طوال تلك الحقبة الزمنية من فترة (الرسالة المحمدية) ٠

يقول الكاتب الاسلامى خالد محمد خالد (ذلك أن التاريخ الاسلامى بطوله وعرضه ، لم يشهد من التوثيق والصدق وتحرى الحقيقة ما شهدته تلك الحقبة من تاريخ الاسلام ورجاله السابقين ، حيث توفر على دراستها وتتبع أنبائها جهد بشرى خارق ، نهضة به أجيال سابقة من علماء أفذاذ ، لم يدعوا من ذلك العصر الأول للاسلام همسة ، ولا خلجة الا وضعوها تحت مجاهر الفحص وأضواء الدراسة والنقد)(١)

فالصحابة — رضوان الله عليهم — لم يأخذوا كل شىء فى الدين اعتباطا ، ولم يقبلوا الا ما وافق عقولهم واطمأنت له قلوبهم ، ولذلك قيل لأعرابى : لم آمنت بمحمد ؟

فقال الأعرابى : لأنه لم يأمر بشىء ، وقال العقل : ليته ما آمر ، ولم ينه عن شىء ، وقال العقل : ليته ما نهى ٠

أى أن الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — كل أوامره وكل نواهيه موافقة للعقل تماما ٠ والصحابة والمسلمون الأوائل اذا كان هناك شىء لم تقبله عقولهم أو تتعقله ، اعترضوا عليه بلا تردد ودون حرج **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »**(٢) ٠

وحرى بنا بعد هذا أن نضع بعض النماذج من هذه المعارضات التى

---

(١) راجع كتاب رجال حول الرسول للمؤلف — وأقرأ ما كتبه فى المقدمة ٠
(٢) (الحج : ٧٨)

صدرت من بعض الصحابة رضوان الله عليهم نحو رسول الله ﷺ فى حكم من الأحكام أو أمر من الأمور . سواء كان هذا الاعتراض عن عدم فهم لفحوى هذا الحكم ومغزاه ، أو عدم الوصول الى معرفة كهنة والعجز عن الغوص فى أعماق سره . حتى يوضح لهم مبعوث العناية الالهية ، ومعلم البشرية ، ما أبهم وأغمض على عقولهم ، ويجلى لهم ما لم يستطيعوا الوصول الى معرفة مكنونة وفحواه . فهو النبى الموحى اليه من قبل العليم سبحانه — وصدق الله اذ يقول فى حقه ، مزكيا لسانه ومزكيا علمه : « **وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى** »(١) .

من هذه النماذج ما رواه البخارى — رحمه الله — فى صحيحه قال : حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم الى فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله انى لأراه مؤمنا فقال : أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقالتى فقلت : مالك عن فلان فوالله انى لأراه مؤمنا فقال أو مسلما . ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقالتى وعاد رسول الله ﷺ ثم قال (يا سعد انى لأعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكبه الله فى النار)(٢) . ومن ذلك أيضا ما روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، أنه قال : (ما راجعت رسول الله ﷺ أكثر ما راجعته فى الكلالة)(٣) وكانت السيدة عائشة رضوان الله عليها تعارض رسول الله وتراجعه فى بعض الأمور من ذلك مراجعتها له ﷺ وكان فى مرضه الأخير آمرا أبا بكر أن يؤم الناس فى الصلاة : (فعن عبد الله بن عمر عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما دخل رسول الله ﷺ بيتى . قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت : قلت يا رسول الله : أن أبا بكر رجل رقيق اذا قرأ القرآن لا يملك دمعه ، فلو أمرت غير أبى بكر . قالت : والله ! ما بى الا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم فى مقام رسول الله ﷺ قالت : فراجعته مرتين أو ثلاث . فقال : ليصل بالناس أبو بكر فانكن صواحب يوسف)(١) .

---

(١) (النجم : ٣ ، ٤ ، ٥)
(٢) رواه البخارى
(٣) راجع الاتقان فى علوم القرآن للامام جلال الدين السيوطى .
(١) رواه الامام مسلم فى صحيحه وانظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٠٤

من جملة هذه النماذج وغيرها التى فاضت بها كتب السنة والسير نستنتج فى وضوح وجلاء تأمين ، أن الصحابة كانوا يراجعون رسول الله ﷺ ويعترضون عليه فى بعض أمور لم يحيطوا بمعرفتها أو الحكمة من وراءها ، واذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يحدث منهم اعتراض ومراجعة فى أمر زواجه وتعدده ؟! وما الذى جعلهم يقفون مكتوفين الأيدى أمام هذا الموضوع بالذات ؟ هل هذه المسألة غابت عن عقولهم ؟!

.. وكيف وهم أصحاب العقول المتفتحة والبصائر النيرة ؟ أم أنهم لم يفطنوا الى ذلك الأمر ! كيف ؟ وزواج الرسول ﷺ حدث بين ظهرانيتهم وأمام أعينهم وعلى ملأ منهم !! فلم يكن زواجه فى خفاء أو بعيد عن أعين الرقباء ولم يكن فى ستر الظلام الحالك فلماذا لم يحدث أدنى اعتراض منهم على فرطه فى امساك النساء ؟!

وببساطة شديدة نقول لمن كان له عقل رشيد ومنطق صائب ، لأنهم يعلمون أولا أن الأمين المأمون ﷺ لم يكن رجلا شهوانيا ولا ميالا الى النساء ولا راغبا فى نكاحهن والمتعة بهن كما يفهم بعض المغرضين اليوم .

ويعلمون ثانيا أنه الانسان الكامل والمثل الأعلى صاحب النقاء والصفاء . فلا يشكون فى طهره وعفافه . ويعلمون ثالثا أن النبى لم يبادر الى فعل شىء من تلقاء نفسه أو لرغبة بداخله . وانما الله الذى تولاه بحفظه ورعايته هو الذى ينطقه .. ويلهمه .. ويحركه .. ويقود خطاه .
ويعلمون رابعا أن هذا التعدد أيضا هو من خصوصياته وحده التى من الله بها عليه ، فلا يباريه فيها أحد من البشر .



خلفـاء الرسول وموقفهم من زواج النبى

ويمضى بنا الحديث الى أن نقف عند أربعة من كبـار الصحابة ٠ نلتقى معهم على بياض هـذه الصفحات ، نستهدى بهديهم ، ونستنير برأيهم ، ونناشدهم الحقيقة الغامضة فى تعدد زوجاته ﷺ ٠ هم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفـان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ـ فهم لهم منزلة خاصـة عنده وأقرب النـاس اليه وأكثرهم فهما له وادراكا لشئونه وأحواله العامة والخاصة ٠

وكان الرسول ﷺ اذا أقدم على أمر من الأمور كالزواج مثلا ، كان يستشيرهم حتى أنه عندما استشـار عمر فى زواجه من أم سـلمة (وهو ابن عمها) بادر عمر الى هذا وزوجها اليه ٠

وبادىء ذى بدء نلتقى مع وزيرى الرسـول أبى بكر وعمر ثم نثنى بعثمان وعلى ٠ فموافقة أبى بكر وعمر على تعدد زوجـات الرسـول ﷺ ورضاهما عن هذا الأمر دون مراجعة أو اعتراض ، فيه دليـل لا مرية فيه على أن زواج النبى هو لحكمة فطنا اليها ورضيا بها ، ولو كان زواجه متعة أو شهوة ـ كما يقول المتحزلقون من أعداء الاسـلام ـ لكان بدر منهما اعتراض وتحد لهذا الزواج ، وكيف لا يكون الاعتراض من رجل كأبى بكر رضى الله عنه ـ الذى ملأ ـ الايمان قلبه ففاق ايمان الأمة وهو الرجل الذى يقول القرآن فى حقـه : « **والذى جـاء بالصدق وصـدق به أولئك هـم المتقون** » (١) ٠

وعمر رضى الله عنه صـاحب القيـادة الحكيمة والغلظة فى الدين والرأى الصائب الذى كان ينزل القرآن موافقا لرأيه ومؤيدا له ٠

وفى الترمذى (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر) ، وقال : (ان الله ضرب الحق على عمر وقلبه) وأهل العـلم متفقون على أن أبا بكر وعمر ، أعلم من سائر الصحابة وأعظم طاعة لله ورسوله من سائرهم وأولى بمعرفة الحق واتباعه ، وقد ثبت بالنقل المتواتر الصحيح عن أن النبى ﷺ قال : (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر) روى ذلك عنه من نحو ثمانين وجهـا(٢) ٠

---

(٢) (الزمـر : ٣٣)

(٢) الفتاوى لابن تيمية ـ المجلد الرابع ص ١٩٨ بتصرف ٠

وبناء على هذا لو أن أبا بكر وعمر رأيا أى ريبة فى زواج النبى من نسائه ، لكانا راجعاه فى ذلك وما سكتا عن هذا الأمر ولا حرج عليهما فى ذلك . « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** »(١) واذا كانت هناك خشية فان أبا بكر وعمر على شدة ايمانهما الصارم الثابت يخشيان الله فى عليائه قبل أن يخشيا محمدا ﷺ .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه فاروق هـذه الأمة ـ ما كان ليرضى عن أمر فيه شبهة أو ريبة أو يعتريه لبس أو غموض وقد روينا عنه قوله السابق (راجعت رسول الله ﷺ أكثر ما راجعته فى الكلالة) وتظهر مراجعته جلية لرسول الله ﷺ فى صلح الحديبية قائلا له : يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال : بلى قال : أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ قال بلى ؟ قال : ففيم نعطى الدنية (النقيصة) فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : (يا بن الخطاب انى رسول الله ، ولن يضيعنى الله أبدا) (٢) .

ورأى عمر فى أسرى بدر الذى خالف فيه الجميع ، ينبىء عن رجحان فى العقل وصمود على الحق وتمسك برأيه الخاص به وهذه شيمة الرجال ، وكما قيل :

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهى المحل الثانى
لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى الى شرف من الانسان

وعلى هذا الأساس ، لو أن رسول الله ﷺ كان يتزوج تبعا لهواه ، ولم يراع حد الشرع الذى حده لأخذت الحمية أبا بكر وعمر وما سكتا عن ذلك أبدا . نعلم من ذلك أن زواجه ﷺ كان لأغراض تشريعية وأهداف اجتماعية فضلا عن أنهما يعلمان أن هذا من خصوصياته التى خصه الله بها حتى أن أبا بكر رفض الزواج من حفصة بنت عمر لما علم أن رسول الله يريدها .

موقف عثمان وعلى

أما عن موقف عثمان وعلى تجاه تعدد زوجاته ﷺ فهو لايقل شأنا عن موقف أبى بكر وعمر ، وهما زوجا بنات رسول الله ﷺ ومن خاصته فهما اتخذا موقفا ساميا من زواج الرسول ﷺ ولم يشاهد رسول الله

(١) (الحج : ٧٨)
(٢) رواه مسلم فى كتاب الجهاد والسير .

منهم الا كل تقدير وتوقير تجاه زوجاته جميعا ، ولم يحدث منهما أية محاورة أو مجادلة لرسول الله ﷺ فى أمر تعدد زوجاته الطاهرات ٠

والامام على كرم الله وجهه ، كان من حقه أن يعترض على رسول الله مستنكرا عليه تعدد زوجاته ، لو كان لهذا الزواج أغراض أخرى وذلك يتضح لنا من هذه الحادثة التى رواها الامام البخارى رضى الله عنه (أن عليا خطب بنت أبى جهل فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله ﷺ فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا على ناكح بنت أبى جهل ٠ فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول : اما بعد : أنكحت أبا العاص بن الربيع(١) ٠ فحدثنى وصدقنى وان فاطمة بضعة منى وأنى أكره أن يسوءها ٠ والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك على الخطبة ٠ وزاد محمد بن عمرو بن حلحله ، (حدثى فصدقنى ورعدنى فوفى لى) (٢) ٠
فمن هذه الواقعة يتضح لنا أن النبى ﷺ منع عليا أن يتزوج بنت أبى جهل وعاتبه الرسول فى ذلك ، ولو أن زواج الرسول ﷺ من نسائه فيه أمر يشان عليه لعاتبه على على زواجه على الفور ٠ وخاصة اذا علمنا أن رسول الله ﷺ كان يمسك بتسع نساء وقتها لأن هذه الواقعة حدثت بعد فتح مكة كما يقول ابن حجر (وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة(٣) ولم يكن حينئذ تأخر من بنات النبى ﷺ غيرها وكانت قد أصيبت بعد أمها فى اخوتها

---

(١) يقول ابن حجر : تزوج زينب بنت رسول الله ﷺ وقد أسر أبو العاص ببدر مع المشركين وفدته زينب فشرط عليه النبى ﷺ أن يرسلها فوفى له بذلك ، فهذا معنى قوله فى آخر الحديث (ووعدنى فوفى لى) ثم أسر أبوالعاص = مرة أخرى فأجارته زينب فأسلم فردها النبى ﷺ الى نكاحه وولدت له)

(٢) رواه البخارى ومسلم والطبرانى وغيرهم ٠

(٣) والعجيب فى ذلك أن الدكتورة : عائشة عبد الرحمن على جلال قدرها وسعة اطلاعها ، ادعت فى كتابها بنات النبى ان هذه الرواية صمت عنها المؤرخون ورجال الحديث فلم يشيروا الى موعد الخطبة ونسبت الدكتورة هذه الواقعة الى السنة الثانية للهجرة فتقول : (وبهذا الاطمئنان نميل الى توقيت الحادثة على وجه التقريب ، بالعام الثانى للهجرة قبل أن يأتيهما العام الثالث بأولى الثمرات المباركة للزواج ص ١٩٥) ٠
ونرجو من الدكتورة أن تعيد نظرها فى ابن حجر مرة أخرى لتستدرك ما كتبته فى الطبعة القادمة ٠

فكان ادخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها)(١) وعدم اعتراض على على زواج الرسول وخاصة بعد هذه الواقعة يكمم أفواه الحاقدين على رسول الله ﷺ الذين يحاولون الطعن فى طهارته وعفته ويلصقون به التهم الكاذبة والافتراءات الباطلة حسدا وحقدا عليه وعلى سيرته العطرة ٠

زوجـات النبى وقبولهن التعـــدد

فاذا ما تخطينا موقف الصحابة رضوان الله عليهم الى زوجات النبى أنفسهن ، نجد أنهن رضين عن هذا التعدد وقبلنه قبـولا حسنا اذعانـا وتسليما لأمر الله ورسوله بالرغم من غيرتهن الشديدة عليه ، فهن يعلمن تماما أن النبى ﷺ لم يتزوج لأغراض فى نفسه ولم يقصد بالتعدد التعدى على حدود الله ، أو ما يقصده الملوك والأكاسرة فى تعدد نسائهم ، انمـا كان يتزوج لحكمة تشريعية تـارة ، وحكمـة سياسية تـارة ، وأخرى لأحوال وملابسات هن أعلـم النـاس بهـا ٠ ولو كان المغزى من وراء هذا التعدد شىء آخر لكن اعترضن عليه حتى يؤثرن بـه أنفسهن ولا يشاركهن فيـه نســاء أخريات وهن اللاتى اعترضن عليـه وراجعنه فى ضيق الحــال وعشة الكفاف المتقشفة التى كـان يعيشها دومـا ، فسئلنه النفقـة فأنـزل الله سبحانه وتعالى بيانا يخيرهن فيه بين أن يفارقهن ، وبين أن يصبرن على ما عنده من ضيق الحال فيقول سبحانه : « **يـا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحيـاة الدنيـا وزينتها فتعالين أمتعكـن وأسرحكن سراحـا جميلا ٠ وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجـرا عظيما** »(٢) فاختـــار نســـاء النبى جميعهن الله ورســـوله والدار الآخرة ٠

أيقال بعد هذا : ان النبى ﷺ كان غارقا فى ملذات الدنيا وشهواتها ، ميالا الى النساء ، راغبا فيهن والعجيب فى ذلك ان أعـداء الاسـلام يملأون أفواههم بهذا الكلام الرخيص ـ « **وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** » (٣) ، وهم يعلمون أن النبى ﷺ أراد فى يوم مـا أن يسرح نسـائه عن آخرهن لولا أنهن رضين معه بالكفاف وما قسمه الله لهن ٠ تقول السيدة عائشة : انـا لنمكث الهلال ثـم الهلال ثلاثـة أهلـة بشهرين ، ولم يوقد فى بيت رســول الله نـار يطبخ عليها(٤) ٠ وهو الذى كانت تحمل اليه الأمـوال ،

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ٦٢ ٠
(٢) (الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩)
(٣) (النــور : ١٥)
(٤) رواه الشيخان عن عروة بن الزبير ٠

حتى يضيق بها مسجده فلا يقوم وفى كفه منها شىء ٠

ومن جانب آخر فان السيدة عائشة رضوان الله عليها كانت تغار على رسول الله ﷺ غيرة شديدة ، حتى أنهـا كانت تغـار عليـه من السيدة خديجة ، التى ماتت قبـل زواجها من رسول الله ﷺ فتروى عن نفسها فتقول : (مـا غرت على امرأة مـا غرت على خديجة لمـا كنت أسمعـه يذكرها وان لنذبح الشاه فيهديها الى خلائلها ، واستئذنت عليه أختها فارتاح لها ودخلت عليه امرأة فهش لهـا وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال انهـا كانت تأتينا أيام خديجة وان حسن العهد من الايمان)(١) — وروى عنها أنهـا قالت له ﷺ مرة : هل كانت الا عجوزا ، أبدلك الله خـيرا منها ، فقال عليه الصلاة والسلام : (لا والله ما أبدلنى خـيرا منها ٠٠ آمنت بى كفر الناس وصدقتنى اذ كذبنى الناس وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء) ٠

وكانت غيرتهـا رضى الله عنهـا منبعثـة عن حب شـديد تكنـه لرسول الله ﷺ يقول الألوسى : عندما تعرض لحديث السـيدة عائشـة : (أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت (ترجى من تشاء منهن) قالت عائشة : يا رسول الله ما أرى ربك الا يسارع لك فى هواك) فيقول رحمه الله : (ويتضمن ذلك الاشارة الى أن هبة من تهب لم تكن حرصا على الرجال وقضاء الوطر بل على الفوز بشرف خدمته ﷺ والنزول فى معـدن الفضل ، وبذلك يعلم ان قول عائشة : (ما فى امرأة وهبت نفسها لرجل خير وكذا اعتراضها السابق صادر من شدة غيرتها رضى الله تعالى عنها على رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — ولا بدع فالمحب غيور وقد قـال بعض المحبين :

أغار اذا آنست فى الحى أنه حذارا وخوفا أن تكون لحبه (٢)

وكانت تغـار أيضا من زينب بنت جحش فانهـا كانت تشعر أنهـا تساميها لنسبها برسول الله ﷺ وقرابتها منـه ، فضـلا عن أنهـا كانت وضيئة وجميلة ٠

فاذا كان الأمر كذلك من السيدة عائشـة رضى الله عنهـا — من غيرة

---

(٣) رواه البخارى ومسلم

(١) روح المعانى — للألوسى ج ٢٢ ص ٦٠ ٠

شديدة ، وحرص عليه ﷺ ، فلنتساءل لماذا لم تعترض على زواجه هذا وخاصة من زينب بنت جحش بنت عمته ؟ ! ولماذا لم تطلب منه أن لا يتزوج عليها ، ويقف عند هذا الحد من النساء ؟ ،وعندما بنى بها رسول الله ﷺ لم يكن يمسك قبلها الا بسودة بنت زمعة · وبذلك تؤثر نفسها بـه دون غيرها من النساء ، وتخلو بـه وحدها فلا ينازعها فيـه أحد ·· فلماذا لـم يحدث منها هذا ؟

أجيبونا أيها المغرضون ·· والا فكفوا ألسنتكم عن رسول الله ودعوكم مغموسين فى فجوركم وجرائمكم البشعة والتى تعف ألسنتنا عن ذكرها ، مبهورين بمدنيتكم الحديثـة التى ما بعدها الا الانحطاط والدمار · فكم من ملك رفعت له علامات ، فلما علا مـات ·

كدود القز ينسـج ثـم يفنى بمركـز نسـجه فى الانعكاس

ان الأمر ليس هو كما تفهمون أيها المرجفون ، أن زواج رسول الله من نسائه أعلى وأبهى مما تصف ألسنتكم وتنبث بـه شفاهكم وتتطاولون على الرحمة المهداة والنعمة المسداة وخير خلق الله على الاطلاق ·

وهذه الوقائع والحقائق التى روتها السيدة عائشة عن نفسها تنبىء عن صدق صادق عميق تعلمتها وتطبعت عليها فى احضـان بيت النبوة حيث النبى الأعظم ، والزوج الأمثل والأوفى ، فقد ضربت المثل الأعلى والقـدوة الطيبة فى الصدق والاخلاص والوفاء وحتى يقتدى بها نساء البشر أجمعين فى كل هذه الصفات الحميدة ونبذ الصفات الذميمة ، وهذا ما كان يهدف اليه رسول الله ﷺ فى زواجه من نسائه فليس الغرض يتسرب الى الشهوة وليس الهدف يهدف الى الميل الطبيعى كما يقول أعداء الله ورسوله ولا كما تصف ألسنتهم قال تعالى « **وتصف ألسنتهم الكذب** »(١) · فرسول الله محمد ﷺ لايعاديه الا موكوس ولا يحاربه الا منكوس ولا يبغضه الا متعوس ولا يعرض عنـه الا مطموس ولا يفترى عليـه الا مبلوس ولا يشـينه الا منجوس · « **ولكم الويل مما تصفون** »(٢)



(١) (النحـل : ٦٢)
(٢) (الأنبيـاء : ١٨)

الصحابة ... خير برهان على زواج النبى
- صلى الله عليه وسلم -

بعد هذا الطواف السريع حول آراء الصحابة وموقفهم من زواج نبيهم الكريم وعدم اعتراضهم على زواجه ، نرى أنه من الجنون بعد ذلك أن يأتى بعض المتشدقين ويتطاولون على رسول الله بمكرهم الماكر ودهائهم الخبيث فيبذلون قصارى جهدهم ليلبسونه لباس الشهوة الجنسية نازعين عنه لباس العفة والفضيلة ويرمونه بحب النساء والاغراق فى المتعة الجسدية ، دون أن يفطنوا لهذه الأمور الجليلة الهامة التى فطن اليها الصحابة والمسلمون الأوائل رجالا ونساء شبابا وشيبا .

فخبرونى بربكم - أيها العاقلون - هل هم أكثر معرفة بالحكمة النبيلة والأهداف الهادفة من وراء هذا الزواج أكثر من الصحابة والرعيل الأول ..؟! وهل هم أعلم نبأ بالمصلحة العامة للجماعة المسلمة وظروف وملابسات الدعوة فى مستهل عمرها آنذاك .. ؟! وهل هم أكثر فهما لأحوال وطبيعية رسول الله من صحابته وأتباعه الذين عاشروه من المهد الى آخر العمر .. كلا وألف كلا .

بل ان كل رؤاه - كل خطاه - كل حركاته - كل أهدافه ومقاصده - كل كلماته - كل أمانيه وأحلامه - كل خاطرات نفسه حتى ما يدور داخل بيته وبين نسائه ..

كلها كانت حقائق مرئية ومعلومة لديهم . فلا خفاء ولا غموض فى حياته ، مما جعلهم ينقلون كل هذه الحقائق عن نبيهم الكريم حتى ملأت الأفق وسطع ضوءها وأضاء عالم الظلمات ، ليحل مكانها عالم النور والهدى ، فكما رأوه يحيا بين ظهرانيهم بشرا .. أرادوا للعالم أن يراه بعد رحيلة من الدنيا حقيقة وذكرا .

وصفوة القول بعد ذلك ، ان هذا التعدد انما هو من خصوصياته وحده التى من الله بها عليه فلا ينازعه فى هذه الخصوصيات أحد من البشر كما فهم الصحابة هذه الخصوصية ، حيث أن الحق سبحانه قد خص رسوله فى أحكام الشريعة بخصائص لم يشاركه فيهاأحدا أبدا لأمن أهله وعشيرته ، ولا من صحابته وخاصته - ارضاء له وتوسعة عليه وتيسيرا فى نشر الرسالة وتبليغ الدعوة كما أختصه أيضا - المشرع الأعلى سبحانه - : بنكاح الواهبات أنفسهن دون مهر وعدم وجوب القسم عليه بين الأزواج كما أن

صوم الوصال خصوصى له • فلأجل هذه الأمور مجتمعة ـ الخاصة برسول الله ، والتى عرفها الصحابة والمسلمون الأوائل فلم يعترضوا على زواجه بأكثر من أربع •• لذلك نرى أن القرآن الكريم خص النبى ﷺ بأحكام خاصة وتشريعات منفردة فى زواجه الميمون حيث يقول سبحانه ـ مشرعا لنبيه أحكام الزواج التى تخصه وتتوافق مع مكانته المرموقة : « **يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ـ ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حكيما • لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا** »(١)

ففى هذه الآيات التى شرع الله فيها أحكام الزواج لنبيه ومصطفاه قد اختصه فى هذا التشريع القيم بأنواع وصنوف من النساء دون المؤمنين • يقول الأستاذ / محمد على الصابونى فى تحليله لهذه الآيات : (أحل الله تعالى لنبيه ﷺ صنوفا من النساء ، صنفا يدفع له المهر (الممهرات) وصنفا يتمتع به بملك اليمين (المملوكات)، وصنفا من أقاربه من نساء قريش، ونساء بنى زهرة (المهاجرات) ، وصنفا رابعا ينكحه بدون مهر (الواهبات أنفسهن) •• وقد خص البارى جل وعلا رسوله الكريم فى أحكام الشريعة بخصائص لم يشاركه فيها أحد • وذلك توسعة عليه • وتيسيرا له فى نشر الرسالة وتبليغ الدعوة • فتزوجه ﷺ بأكثر من أربع واختصاصه بنكاح الواهبات أنفسهن بدون مهر ، وعدم وجوب القسم عليه بين الأزواج • كل ذلك خاص به صلوات الله عليه تشريفا له وتكريما • واظهارا لمقامه السامى عند الله تعالى)(٢) نعلم من هذا أن هذه الأنواع من النساء خاصة به وحده ، و (خالصة لك) هى مقصورة على النبى ﷺ وحده ، ومقيدة به دون بقية الأمة ولذلك عقب الحق بعد ذلك بقوله « **من دون المؤمنين** » فهى متعلقة بجميع ما سلف من الاحلالات الأربع •

يقول الامام الألوسى ـ رحمه الله ـ: (قوله تعالى (خالصة) وهو مؤكد

---

(١) (الأحزاب : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢)

(٢) تفسير آيات الأحكام ـ محمد على الصابونى جـ ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣٠

معنى اختصاصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما اختص به بأن كلا من الاختصاص عن علم وأن هذه الحظوه مما يليق بمنصب الرسالة فحسب فالمعنى أن الله تعالى قد علم ما ينبغي من حيث الحكمة فى فرضه على المؤمنين فى حق الأزواج والاماء، وعلى أى حد وصفه ينبغي أن يفرض عليهم ففرضه ، واختصك سبحانه بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل فى دنياك ، حيث أحل جل شأنه لك أجناس المنكوحات وزاد لك الواهبة نفسها من غير عوض لئلا يكون عليك ضيق فى دينك)(١)

وثمة لطيفة أخرى ذكرها الزجاج حيث يقول : (وانما قال « ان وهبت نفسها للنبى » ولم يقم : لك ، لأنه لو قال : (لك) جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز فى بنات العم وبنات العمات)

بعد كل هذه الدلائل والبراهين التى أفصحت لنا عن الحكم والأهداف من هذا الزواج الذى كان الباعث من ورائه تحقيق أغراض عديدة كانت متعطشة اليها الدعوة الغراء ـ والجماعة المسلمة آنذاك ـ وبعد أن أبانت لنا أيضا عن خصوصياته ـ الخاصة به ﷺ لا يسعنا بعد كل هذا الا أن نتوجه الى رسول الله ﷺ وهو فى رحاب خالقه مقرين بطهره وعفافه ، مؤمنين ببراءته ونزاهته ، عالمين بقدسيته وعلو مقامه ، فنقول له : معذرة يا رسول الله .. ثم معذرة .. ثم معذرة ..

سيدى يا رسول الله معذرة ... اذا كبا فيك تبياني وتعبيرى

ماذا أوفيك من حق وتكرمة ... وانت تعلو على ظنى وتقديرى

أقبلت كالفجر وضاح الأسارير ... تدعو الى الله فى بشر وتبشير

على جبينك نور الحق منبلجا ... وفى يديك لواء العدل والنور



---

(١) روح المعانى للألوسى جـ ٢٢ ص ٦١

حرية المرأة فى المجتمع الاسلامى

الدليـل الثـانى :

تمهيـد :ـ

كانت المرأة قبل مجىء الاسلام ذليلة وضعيفة لا كرامة لها ولا عزة . وكانوا ينظرون اليها نظرة خسة واحتقار ٠ فهى فى نظر المجتمعات شىء لا وجود له ، وما هى الا متاع مملوك للرجل ، وأنها رجس لاتأكل اللحم ولا تضحك ولا تتكلم فى بعض المجتمعات ، وما عليها الا أن تقضى جميع أوقاتها فى الخدمة والخضوع ، وقالوا عنها انها شر لابد منه ، ونكبة تنساق منها النفوس ، وبلاء لا مهرب منه ، وبرق خلب ومرض عضال)(١)

فالمرأة عند الاغريق وعند اليهود وعند الرومان وعند الفرنسيين وعند العرب القدماء ، أهينت شر اهانة ، ٠٠ وازدرت أوخم ازدراء ، وعذبت أمر تعذيب ، على أننا سنتغاضى الحديث عن المرأة فى ظل المجتمعات السالفة خشية الاطالة (٢) وسنلمح تلميحا سريعا عن حالة المرأة فى جاهلية العرب ، وذلك لأن الموضوع الذى نحن بصدد التحدث عنه يرتبط ارتباطا موثقا بحالة المرأة فى هذا المجتمع ٠

المرأة فى جاهلية العرب

لاقت المرأة فى الجاهلية العربية تكريما قليلا قلما يذكر ، وتخلصت تخلصا خفيفا من بعض متاعبها ، وهذا فى قلة قليلة من قبائل العرب ، ولكنها رغم هذا ظلت ترزح تحت ظلم كبير ، وتئن تحت تعسف مرير ، وأبشع شىء شاهدته المرأة فى هذا المجتمع وأدها وهى حية ٠٠ وقد حكى لنا القرآن هذه الأمثلة البشعة التى ذاقتها المرأة فى هذا المجتمع حيث يقول سبحانه : « **واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت** »(٣) وقال عز من قائل « **واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ٠ ألا ساء ما يحكمون** » (٤) ــ وقال عز من قائل « **وكذلك زين لكثير من المشركين**

---

(١) أنظر ــ تاريخ الأمة العربية د ٠ عبد الفتاح شحاته ج ١

(٢) لمزيد أيضا عن حالة المرأة فى هذه المجتمعات أنظر المرجع السابق ـ وانظر مجلة الوعى الاسلامى العدد ٢١٢ وكذلك حق الزوج على الزوجة الشيخ طه العفيفى ٠

(٣) (التكوير : ٨ ، ٩) (٤) (النحل : ٥٨ ، ٥٩)

قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون » (١) وقتل البنات في هذا المجتمع كان على أنواع قال الألوسي في قوله (أم يدسه في التراب) : والمراد يئده ويدفنه حيا حتى يموت والى هذا ذهب السدى وقتادة وابن جريج وغيرهم ، وقيل المراد اهلاكه سواء كان بالدفن حيا أو بأمر آخر • وقد كان بعضهم يلقى الأنثى من شاهق ، وكان بعضهم يغرقها وبعضهم يذبحها الى غير ذلك) (٢) •

أما عن الدافع الى هذا القتل فيقول الامام القرطبي (انه كان من العرب من يقتل ولده خشية الاملاق كما ذكر الله عز وجل في هذا الموضع) (٣)• وكان منهم من يقتله سفها بغير حجة في قتلهم وهم : ربيعة ومضر ، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية) •

وتضيف الدكتورة عائشة عبد الرحمن (وآخرون ، وأدوا بناتهم خوفا من الفضيحة والعار • ومنه الوأد اتقاء لعار السبى أو الزواج من غير كفء ، ووأدوا كذلك رفقا بالبنات ورحمة بهن ، لما عرفوا من عجز الأنثى وقسوة الحياة عليها ، فآثروا لهن الموت على التعرض لعوادى الزمن وأفاعيل الدنيا ، وقيل كان الوأد بقية متخلفة من عبادة قديمة ، قدمت فيها الأناث قرابين الى الآلهة على نحو ما عرف عن مصر قبل الاسلام من تقديم عروس النيل تحية وقربانا ــ ووأدوا خشية فقر واملاق) (٤) •

هذه هي الدوافع والبواعث التى أدت بحمقى العرب أن يئدوا بناتهم اللواتى من أصلابهم ، دون مراعاة لانسانيتهن أو كرامتهن أو حقهن في الحياة والبقاء ، وذكر لنا الزمخشرى وصفا دقيقا عن كيفية هذا الوأد في كشافه فيقول (يخرج الرجل وليدته وقد حفر لها بئرا في الصحراء ، فيدسها هناك ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر وقيل كانت الحامل اذا أوشكت على الوضع حفرت حفرة ونقلت قريبا منها عندما يجيئها المخاض ، فاذا ولدت بنتا رموا بها في الحفرة وان ولدت ذكرا أمسكوا وعادوا به) (٥) •

---

(١) (الأنعام : ١٣٧) •

(٢) روح المعانى جـ ١٤ ص ١٦٩ •

(٣) وهو قوله سبحانه (قد خسر الذين قتلوا أولادهم بغير علم وحرموا ما رزقهم الله •••) •

(٤) بنات النبى ، عائشة عبد الرحمن ص ٣٢ : ٣٤ بتصرف •

(٥) تفسير الكشاف ــ الزمخشرى جـ ٤ ص ٢٢٢ •

زواج المرأة فى المجتمع العربى

كانت المرأة فى جاهلية العرب لا رأى لها فى اختيار الزوج ، بل أنها كانت تحرم من الزواج أحيانا ، وحين يخطبها رجل تأخذ أهلها الحمية فيقبرونها حية وفى هذا يقول أحدهم ·

انى وان سيق الى المهر
ألف ، وعبدان ، وزود عشر
أحب أصهارى الى القبر (١)

وقال آخر :

لكل أب بنت يراعى شئونها ثلاثة أصهار اذا حمد الصهر
فبعل يراعيها وخدر يكنها وقبر يواريها وأفضلها القبر (٢)

وان أرادوا لها الزواج وتقدم اليها أحد الرجال وخطبها من أبيها أو أخيها أو عمها أو بعض بنى عمها فيعين صداقها ويسمى مقداره ثم يعقد عليها ، وكانوا فى خطبة المرأة فى الجاهلية ، ان كان الخاطب من العشيرة قال أبوها أو أخوها اذا حملها اليه : (أيسرت وأذكرت ولا آنثت ، جعل الله منك عددا وعزا وخلدا أحسنى خلقك ، وأكرمى زوجك وليكن طيبك الماء) ·

واذا تزوجت فى غربة ، قال لها (لاأيسرت ولا أذكرت فانك تدنين البعداء وتلدين الأعداء) (٣) ·

أما عن مهرها فانهم كانوا يأخذون مهر المرأة غصبا ولا يعطونها شيئا يقول القرطبى (ان أهل الجاهلية كان الولى اذا زوجها فان كانت معه فى العشيرة لم يعطها من مهرها كثيرا أو قليلا ، وان كانت غريبة حملها على بعير الى زوجها ولم يعطها شيئا غير ذلك البعير) ·

---

(١) هذه المقالة لعقيل بن علقمة لما خطب اليه أحد الرجال ابنته الجرباء ·
والزود مفرد أزواد وهو من الابل ما بين الثلاث الى العشر ·
(٢) راجع بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب للألوسى جـ ٢ ص ٩ ·
(٣) ذكرت هذه القصة فى بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب للألوسى وذكرتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى كتابها « بنات النبى » ببعض من الاختصار ·

أنكحة الجاهلية

لم يكتف العرب فى مهانة المرأة وذلها بما سبق من وأد وحرمان من الميراث وأخذ مهورها ، وظلمهم لها الذى ملأ طباق الأرض جورا ، بل تجاوزوا كل ذلك الى صور وعادات أدهى وأمر من العلقم ، من هذه الصور أنكحتهم المتعددة التى حملوا المرأة عليها ، مثل نكاح الاستبضاع ، البغايا ، نكاح المتعة ، نكاح الشغار ، نكاح البدل ، نكاح المقت ، نكاح المخادنة(١) وغيرها من الأنكحة التى تمجها الطباع ، وتقتزها النفس ، ويستنكفها العقل ، فضلا عن أن هذه الأنكحة البشعة لا يثبت بها نسب ، ولا ارتباط لها بشرع أو منهج قويم • الى أن جاء الاسلام فأنصف المرأة وأبطل كل هذه الأنكحة الا النكاح الذى رضيه الله للبشرية وهو ما عليه الناس اليوم مما هو معروف شرعا •

طلاق الجاهلية

كان الطلاق فى الجاهلية على ثلاثة أنحاء :

(١) الطلاق المعضل (٢) الايلاء (٣) الظهار •

أما عن الطلاق المعضل (فقد كان الزوج يطلق زوجته وله أن يراجعها عدة مرات وهى فى العدة ، ويمنعها من التزوج بغيره) (٢) وأما عن الايلاء (وهو نوع من أنواع الطلاق ، فقد كان الرجل يحلف ألا يقرب زوجته • وكان الايلاء فى الجاهلية السنة والسنتين) (٣) • وأخيرا فالظهار (وهو أيضا نوع من أنواع الطلاق ، كأن يقول لزوجته ، أنت على كظهر أمى أو كبطنها أو كفخذها أو كظهر أختى أو ما شابه ذلك وكانت الزوجة تحرم على زوجها تحريما أبديا) (٤) •

قال الشافعى رحمه الله تعالى ـ قال : سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : كان أهل الجاهلية يطلقون بثلاث (الظهار ، الايلاء .

---

(١) لمعرفة تفاصيل هذه الأنكحة المتعددة •• راجع بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، للألوسى جـ ٢ ص ٣ ـ ٥ ، وفقه السنة للشيخ سيد سابق جـ ٢ ص ٦ ، ٧ ، وحق الزوج على زوجته ـ للشيخ طه العفيفى ص ، وحديث السيدة عائشة فى نيل الأوطار جـ ٦ ص ١٦٨

(٢) مجلة الوعى الاسلامى ـ العدد ٢١٢ ـ مقال بعنوان (المرأة بين الجاهلية والاسلام للأستاذ سعد صادق محمد •

(٣) حق الزوج على زوجته ص ٢٧ (٤) حق الزوج على زوجته ص ٢٧

الطلاق) فأقر الله تعالى الطلاق طلاقا وحكم فى الايلاء والظهار بما بين فى القرآن) (١) ، (٢) ٠

المرأة فى رحاب المجتمع الاسلامى

تحدثنا بايجاز عن المرأة ومكانتها فى مجتمعات ما قبل الاسلام . وحدثنا بايضاح عن مكانتها لدى العرب وهنا نرى أن الاسلام كيف حافظ على المرأة وأعلى من مكانتها ومنحها حقوقها وأنصفها كل الانصاف فيما تستحقه ، لأن الاسلام هو الدستور الفاضل والمنهج القويم الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء « **ان الدين عند الله الاسلام** » (٣) ٠

هذا الدين المرضى عند الله ، هو الذى بدد ظلمات الجهل ، والعادات **السيئة المتوارثة والتقليد الأعمى لدى أغلبية العرب ، الذين تشبثوا به** اقترات طويلة من الزمن « **انا وجدنا آبائنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون** » (٤) ٠ غير مبالين بما فى هذه العادات من تعسف شديد ، وجور مرير تجاه المرأة العربية ٠ فلما أذن الله لهذه العادات أن تمحى ، ولهذه الظلمات أن تبدد ٠ جاء بتشريعات تسمو بالمرأة الى مكانة لا تحلم بها قط . ولا تتخيلها أبدا ٠

فجعل الاسلام للمرأة رفعة بعد ضعة ، وحقا بعد باطل . ومتعة بعد حرمان ، وسعة بعد ضيق ، بل وحياة بعد موت ، وجعل لها الاسلام حقوقا وواجبات ، وصان لها هذه الحقوق — ومن بين هذه الحقوق (حقها فى

---

(١) الايلاء فى اللغة : الامتناع باليمين ، وفى الشرع : الامتناع باليمين من وطء الزوجة ، وحكمه الذى يشير اليه الشافعى هو قوله سبحانه (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم ٠ وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) ٠ البقرة ٢٢٧ ٠ وحكم الله فى الظهار — الذى يشير اليه الشافعى هو قوله سبحانه) والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم) المجادلة ٣ ، ٤ ٠

(٢) بلوغ الأرب — للألوسى جـ ٢ ص ٥ ٠

(٣) (آل عمران : ١٩) (٤) (الزخرف : ٣٢) ٠

اختيار الزوج) سواء كانت بكرا أم ثيبا دون التعرض لبقية هذه الحقوق لأنها لا تعنينا فى موضوعنا هذا .

حـق المرأة المسلمة فى اختيـار زوجهـا

مما لا مراء فيه أن الاسلام لم يكره المرأة أو يجبرهـا ، على اختيـار زوج ، لا رغبة لها فيه ، كما نصت على ذلك سنة رسـول الله ﷺ وسـاق الشيخ سـيد سـابق حشدا من الأحـاديث النبوية ، التى تثبت للمرأة المسلمة حقها فى اختيار الزوج ، تحت عنوان (وجوب استئذان المرأة قبـل الزواج) منع الشرع اكـراه المرأة بكرا كانت أم ثيبـا على الزواج ، واجبارها على من لا رغبة لها فيه ، وجعل العقد عليها قبل استئذانها غير صحيح ، ولها حق المطالبة بالفسخ ابطـالا لتصرفـات الولى المستبد اذا عقد عليهـا :

١ ـ فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قـال : (الثيب(١) أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها واذنهـا صماتهـا)(٢) . وفى رواية لأحمد ، ومسلم ، وأبى داود ، والنسائى (والبكر يستأمرها أبوها) أى يطلب أمرها قبل العقد عليها .

٢ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال : (لا تنكح الايم (٣) حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن قالوا : يا رسول الله : كيف اذنها ..؟ قال : أن تسكت (٤) .

٣ ـ وعن حسناء بنت خدام (أن أباهـا زوجهـا وهى ثيب ، فأتت رسـول الله ﷺ فرد نكاحها) (٥) .

٤ ـ عن ابن عباس أن جارية بكرا ، أتت رسول الله ﷺ فذكرت له أن أباها زوجها ، وهى كارهة ، فخيرها النبى) (٦) .

---

(١) الثيب : هى التى سبق لها الزواج قبـل ذلك وأحق بنفسـها أى أولى أن لا يعقد عليها دون رضاها .

(٢) أى أن سكوتها اذن .

(٣) الايم : من لازوج لها ولابد من تصريحها بالرضـا بما يدل عليـه من نطق أو غيره .

(٤) وسكوتها رضى ـ لانه قد يكون فى النطق حياء أو خلافه .

(٥) أخرجه الجمـاعة الا مسلما .

(٦) رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجـه ، والدارقطنى ، فقه السـنة السيد سابق جـ ٢ ص ١١٥ .

واذا نظرنا من خلال جمـوع هذه الأحاديث نرى أن الاسـلام أعطى المرأة الحرية الكاملة فى اختيـار زوجهـا — بكرا أم ثيبـا على السواء ٠ وزوجات الرسول ﷺ كانوا كلهن ثيبات الا عائشة بنت أبى بكر ، وهؤلاء النسوة قد أعطاهن الله ورسوله الحرية المطلقـة فى اختيـار الزوج ، دون اجبار أو كره ، وعند عرض رسول الله نفسـه على هؤلاء النسوة اللواتى وجبهن ، كان لهن أيضـا حق القبـول أو الرفض ولكن مـا كان منهن الا القبول دون ترددوالموافقة التامة على الزواج منه ، حتى النسوة اللواتى خطبهن لنفسه فوق الأربع ، لم يرفضن الزواج منه ، ولم يعترضن على الزواج منه وهو على هذه الحال أمثـال زينب بنت خزيمة ، وزينب بنت جحش ، وأم حبيبة ، وأم سلمة وهن اللواتى تزوج بهن وكان فى عصمته أربع نسوة أو قد يزيد ٠

وما نريد أن نثبته هنا لنفى الشبهة الملفقة عليه ﷺ هـو لو أن الأمر فيه ريب من هـذا الزواج ، لكان بدر منهن اعتراض بل ورفض للزواج منه ، وما أقدمن على الزواج منه وقبلنه على أنفسهن مع أنهن كما أثبتنا آنفا لهن حق القبول وحق الرفض ٠٠ اذن فعلى أى أسـاس قبلن الزواج منه ، فلا يستطيع أحد أن يجبرهن على ذلك لأن الاسـلام جعـل لهن هذه الأحقية ، ولا اجبار عليهن فيمن لا يرغبن الزواج منه ٠

فعن عائشة رضى الله عنها : (أنها أخبرت أن فتاة دخلت عليها، فقالت : ان أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع به خسيسته وأنا كارهة ، فقالت : اجلسى حتى يأتى رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأرسـل الى أبيها فجعل الأمر اليها فقالت : يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى ، انما أردت أن أعلم النساء أن ليس الى الآباء من الأمر شئ)(١) ٠

وعن خنساء بنت خزام الأنصارية أن أباها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها (٢) ٠

فالنبى ﷺ كان يرد نكاح الكارهة والمعترضة وغير القابلة ويجعـل الأمر بيدها ، ان شاءت أمضت وان لم تشأ لم تمض ، ونسائه صلوات الله وسلامه عليه قبلن الزواج منه بقبول حسن ولم يرفضنه زوجـا لهن مع أنهن لو رفضن الزواج منه ما أجبرهن على ذلك ولا أكرههن ٠

ومن اعتذرت اليه واقتنعا على عذرها فقد روى السدى عن أم هـانئ

(١) رواه النسائى

(٢) أخرجه الجمـاعة الا مسـلما وذكره الشوكانى فى نيـل الأوطـار

بنت أبي طالب قالت : (خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت اليه لأنني كنت كثيرة العيال فقبل عذري) فأنزل الله « **انا أحللنا لك أزواجك** - الى قوله **هاجرن معك** » قالت : فلم أكن أحل له لم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء (١) .

فالرسول ﷺ لم يعنف امرأة رفضت الزواج منه أو اعتذرت ، وهذا يؤدي بنا الى أن نتساءل ما هو السبب الذي جعل هؤلاء النسوة اللواتي تزوج بهن فوق الأربع يقبلن الزواج منه .. ؟ فضلا عن أنهن يعلمن تماما العواقب التي تترتب على الزواج منه ﷺ منها :

١ - اذا مات الرسول عنهن أو طلقهن لا يحل لهن التزوج بأي رجل آخر من الأمة ، قال تعالى « **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما** » (٢) .
٢ - العيشة المتقشفة والحياة الجافة ، عند رسول الله ﷺ .
٣ - اضافتهن الى ضرائر متعددة يشاركوهن في رسول الله ﷺ .

وغير ذلك من العواقب التي تجفو النساء منها ولا ترغب فيها .

اذن - الأمر هذا كله غير ما ينادي به المستشرقون وأعداء الاسلام من اليهود والنصارى . أن هؤلاء النسوة ، المؤمنات العاقلات ما كان لهن أن يعشن مع رجل شهواني ، لا يطبق شرع الله على نفسه .. !! ولكنهن كن يعلمن تماما خصوصياته العالية التي خصه الله بها تشريفا له ، ورفعة لمكانته .

وكن يعلمن مدى عفته وطهارته وأخلاقه الرفيعة ، وآداب النبوة التي لبسها فزانته .

وكن رضي الله عنهن - يتسابقن الى الزواج منه ، ويحظين بالشرف الكامل وهن تحت عصمته ، بل ويهبن أنفسهن له .

جاء في تفسير ابن كثير (قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا (٣) يقول : كنت مع أنس جالسا وعنده ابنة له فقال

---

(١) أنظر في هذه الرواية تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٩٩ ، والتفسير الواضح جـ ٢٢ ص ١٧ وروح المعاني جـ ٢٢ ص ٥٣ وقد رواها الترمذي في جامعه .
(٢) (الأحزاب : ٣) .
(٣) هو ثابت البناني رضي الله عنه كما في رواية البخاري .

انس : جاءت امرأة الى النبى ﷺ فقالت : يا نبى الله هل لك فى حاجة فقالت ابنته : ما كان أقل حيائها . فقال : هى خير منك رغبت في النبى فعرضت عليه نفسها)(١) .

ولم يكتف الأمر عند ذلك ، بل أن النساء كن يعرضن بنـاتهن عليه «عن ربيعة عن الحضرمى عن أنس بن مالك أن امرأة أتت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ابنة لى كذا وكذا فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بهـا . فقال « قد قبلتها » فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تشـك شيئا قط . فقال « لا حاجة لى فى ابنتك »(٢) .

فالنبى ﷺ لم يكن رجلا شهوانيا ، يهوى النساء كمـا يزعم أصحاب الكفر والالحـــاد ، مما جعلهن يقبلن الزواج منه ويعرض أنفســهن عليه ، لا لينلن شيئا من شهوته ، وانما ليحظين بشرف الدخول تحت عصـمته . وصيرورتهن أمهات للمؤمنين . يقول الألوسى : (يتضمن ذلك الاشارة الى أن هبة من تهب لم تكن حرصا على الرجـال وقضـــاء الوطر بل على الفوز بشرف خدمته ﷺ والنزول فى معدن الفضل)(٣) .

فالأمر واضح وجلى ، أيها المشككون ـ لا لبس فيه ولا غموض وبراءة النبى وعفته ها هى واضحة أمام أعينكم ، وضوح الشـمس فى ضحاهـا « **والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها** » (٤) .

فليست هناك شهوة ـ كما زعمتم ـ ولا حب فى النســاء ـ كمـــا افتريتم ، ولا متعة جسدية كما تقولتم ـ ولا مخالفة لحدود الله ـ كما تأفكتم .

بل ان العفة والطهارة ، والنقـاء والنضـارة ، والشرف والمروءة اذا فارقوا رسول الله فلا بقاء لهم على وجه الأرض .. انه الرجـل الطاهر فى صباه ، العفيف فى شبابه ، الشريف فى رجولته ، النقى فى شيخوخته .

فهل بقى من ريب أيها المرجفون ، يا من تقولتم على رسول الله ونسائه بالا تعلمون ؟! انه النبى الذى ربى شبابا ورجـالا ما عرفت الشـهوة الى نفوسهم طريقا ، ولا اتخذ حب النساء الى قلوبهم سـبيلا ، سـمع عمر بن الخطاب امرأة تقول :

---

(١) ابن كثير جـ ٣ ص ٤٩٩ (٢) رواه الامام أحمد
(٣) روح المعانى ـ للألوسى : جـ ٢٢ ص ٦٠
(٤) (الشمس : ٢ ، ٣) .

ان النســـاء رياحين خلقن لكـم وكلكم يشـتهى شـم الرياحين

فقال رضى الله عنه :

ان النســاء شياطين خلقن لنـا ونعوذ بالله من شر الشـياطين

واذا كان هذا تلميذ محمد يقول هذه المقالة فما بالنا بالنبى الأعظم والمعلم الأكرم !!

انه بالطبع أعلى وأجـــل وأشرف وأعف من ذلك بكثير .. كثرة بـلا حـدود .

ان التعصب الأعمى ، والحقد الأسـود ، هو الذى ملأ قـلوب هؤلاء ضغينة وحسدا على رسول الله وأتباعه ، وأعمى أبصارهم عن كشف هـذه الحقائق . فهم لا يرون النهار ضياء ، ولكنهم يرونه ليلا دامج الظلام كالح العتمة . وان كان من كلمة أخيرة نثبتها هنا ، لنقرع بها أعداء الله ورسوله هى : أن اقرار النساء لهذا الأمر والرغبة فى الزواج منه وهبة أنفسهن له ، ثبت قاطع لا ثبت بعده من أن النبى ﷺ لم يتزوج تبعا لهواه ، ولا لأجـل قضاء وطر من النساء ، وانما لحكم وأهداف نبيلة فطن اليها هؤلاء النسوة فقبلنه زوجا ورسولا ، رغم ما عنده من نساء متعددات وحرائر كثيرة وذلك ما من شىء الا لأنهن يعلمن تماما خصوصياته الكريمة التى خصه البارى بها قال تعالى « **يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك** » هذا هو البرهان من كتاب الله ولا برهـان بعده ، فافهموا الحكمة من ورائه ان كانت لكم عقول تفهم كلام الله ، وقد صدق القائل .

كـــم من كلام قد تضـمن حكمة نـال الكسـاد بسوق من لا يفهم

انها الخصوصية التى فهمها المسلمون ، وأدركوا كنه حقيقتها فـلم يرفضوا زواج النبى من بناتهم ، ولم يرفض بناتهم الزواج من رسولهن . يقول الدكتور عبد المنعم القيعى : (ومن المسـلم به أن هنـاك أفعـالا من خصائصه لا تشترك فيهـا الأمة ، ولا تفرده بميزة من جنس ميزات البشر الذين يتعالون على أممهم . فجعل أفعاله الخاصة به اما لزيادة فى الأعبـاء كوصـــاله الصـوم ، وزواجـه بأكثر من أربعة ، فان ذلك لم يكن لمزيد الاستمتاع بالنساء ، كما يفترى المفترون . فالذين نسوا أو تناسوا أنه ﷺ لم يكن يشبع فى بعض الأيام من خبز الشعير ، ولم يتجاوز حياة القنـاعة قط ، لارضائه أو لارضاء بعض نسائه ، فقد خير أن يكون ملكا رسـولا ، فأبى الا أن يكون عبدا رسولا)(١) .

---

(١) الاسلام تعقل واستنباط د. محمد عبد المنعم القيعى ص ٢٢٦

أن النبى محمدا ﷺ هو الذى ضرب المثل الأعلى فى الطهر والعفاف لهذه الأمة ، ومن يرمه بالشهوة فهو معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ٠

ان أصحاب القلوب المريضة ، والعقول الوخيمة ، الذين يتجرأون على رسول الله بافتراءات كاذبة ، وأقوال لا أساس لها من الصحة ، يجب عليهم قبل اصدار هذه الأحكام أن يرجعوا الى كتاب الله وسنة رسولهوسيرته العطرة أيضا ، يتدارسونها مدارسة علمية صحيحة ويفهمونها حق الفهم ، وبعد ذلك يصدرون أحكامهم على رسول الله دون حياد عن الحق والصواب ٠

أما أنهم لا يفهمون كتاب الله حق الفهم ، وما حواه من أحكام وتشريعات جليلة القدر ، ولا يتعقلون سنة المعصوم ، ولا يفطنون الى ما حوته من روائع وبيان ٠٠ ويصدرون أحكاما لا تليق برسالته ونبوته ٠٠ نقول لهم ٠٠ ان هذا لهو السفه بعينه ، فأقوالكم مردودة عليكم ، كرد كيدكم الى نحوركم ٠

فان الباطل مهما علا فمصيره الى الحضيض ، وان الكذب مهما ارتفعت به الأصوات ولاكته الألسنة وانبثت به الشفاه ونعق به الناعقون ، ولمز به اللامزون فمصيره الى أين ٠٠ ؟

قال تعالى : « **كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى ٠ فهم لا يعقلون** »(١) ٠

اننا نعلم يقينا - أن هؤلاء الشاردون المتحزلقون ليس لهم مهنة أو وظيفة الا الطعن فى رسول الله والاسلام عامة ، فهم خصيصون لذلك ، مأجورون من الجهات التى يهمها الكيد للاسلام ٠

ولكن كل ما يفعلونه من سعى حثيث لمحاربة الاسلام والمسلمين ، لم يزدنا الا معرفة بخبايا نفوسهم وادراكا لنواياهم السيئة ، وكل ما يبتدعونه من أقوال يخدشون به كرامة رسول الله ويشوهون صورته ، انما هو من الحقد الأسود والحسد البشع على رسول الله وشريعته ، وهذا دأبهم وشأنهم معه من قديم الأزل :

أعيا الورى فهم معناه فليس ... فى القرب والبعد منه غير منفحم
كشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة وتكل الطرف من امم
وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وانه خير خلق الله كلهم

---

(١) (البقرة : ١٧١)

وقد قال أحد العــارفين بالله عن الحقيقة المحمدية : « انهــا حقيقة الحقــائق التى لا يقف على كنهها أحد من الخلائق ، فصــلاة وسلاماً دائمين دوام الخلق يليقان بمقامك الكريم ومكانتك الرفيعة عند الله يا نبى الطهر والعفــــاف ».

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضــه

فكـــــل رداء يرتــــديه جميـــــــل

ورضى الله عن زوجاتك الطاهرات ، أمهات المؤمنين ، وفضليات نساء العالمين . اذ يقول فى حقهن رب العالمين :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »(١)



---

(١) (الأحزاب : ٣٣)

ملك اليمين فى الشريعة الاسلامية

الدليـــل الثالث :

نقف فى هذا الموضوع - ان شاء الله تعالى - على نقطة جوهرية هامة . تنفى عن رسول الله ﷺ كل شبهة وريب نفيا قاطعا ، لا حجة بعده لمحتج ، وتثبت البراءة له والنزاهة ثبوتا جـازما - فـلا مرية بعد ذلك لكل معتد أثيم - حيث أن العقل والمنطق يوافقانها . وهى الوطء بملك اليمين - وهو حـلال شرعا ، نصا ودلالة .

أما النص فقوله تعالى : « **والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين** »(١) وقوله « **فـان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** » (٢) وقوله عز من قـائل « **والمحصـنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم** »(٣) . يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية الأخيرة : « أى حرم عليكم من الأجنبيـات المحصـنات وهن المزوجـات الا ما ملكت أيمانكم يعنى الا ما ملكتموهن بالسبى فانه يحـل لكم وطئهن اذا استبرأتموهن »(٤) ، (٥) .

أما الدلالة فعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : « أصبنا سبيا من سبى أوطاس (٦) ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج فسئلنا النبى ﷺ » فنزلت هذه الآية « **والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم** » فاستحللنا فروجهن (٧) .

من هنا يتبين لنا أن الوطء بملك اليمين محلل شرعا بنص الكتـاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا لوم عليه لا من الشرع ولا من العرف والعـادة آنذاك . فاذا ما سـبى المسلمون سـبايا فى حروبهم وجهـادهم مع أعداء

---

(١) (المؤمنون : ٥ ، ٦) (٢) (النسـاء : ٣)
(٣) (النسـاء : ٢٤)
(٤) استبرأتموهن : يعنى بعد وضع الحامل حملهـا وحيض غير الحـامل ثم طهرها .
(٥) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٧٣
(٦) أوطاس : واد فى ديار هوازن ، وكانت غزوة أوطاس فى غزوة حنين بعد فتح مكـة .
(٧) رواه أحمد فى سنده واللفظ له والامام مسـلم والنسـائى وابن ماجه والترمذى وقال عنه حديث حسن .

الديانة الاسلامية الجديدة ، فكانوا يقسمونهن على أنفسهم ويستمتعون بهن كيف شاءوا ومتى أرادوا — حتى ولو كن متزوجات في دار الكفر والحرب ·

وما نريد أن نصل اليه ونثبته هنا لنرد كيد الكائدين عن رسول الله ﷺ ونقرعهم بالحجة الدامغة والبرهان القوى النير · أن زواج محمد ﷺ لم يكن لأجل قضاء شهوة بداخله أو الاستمتاع بمحاسن النساء أو تعديه لحدود الله وقيوده ·

فنحن نقول لهؤلاء الزاعمين — لو أن رسول الله محمداً ﷺ كان كذلك حقا · فانه كان عنده طريق آخر أيسر وأقل مؤونة من هذا الطريق الذى سلكه وعدد نسائه من خلاله فالرسول ﷺ كان عنده طريقا آخر ما دام يريد التشهى بمحاسن النساء · هذا الطريق هو الاكثار من ملك اليمين · وهو كما بينا حلال شرعا ولا لوم عليه ، ولا عيب فيه أبدا · يستمتع بهن وينال منهن ما يشاء · وثمة هناك شيء آخر فأعداء الله ورسوله يتطاولون على رسول الله ﷺ بقولهم أن محمدا لم يطبق شرعه على نفسه بدليل تعديه على الأربع نسوة المشرعة ·

نقول — لهؤلاء البلداء — أصحاب القلوب المريضة والفكر السقيم انكم تجنيتم على رسول الله ﷺ بقولكم هذا — أكبر التجنى · فلو أنه خالف شرع الله حقا — أو لم يطبقه على نفسه ما نزل عليه القرآن يقول له : « **يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك** »(١) ويقول له : « **خالصة لك من دون المؤمنين** »(٢) ·

ثم انه كيف يتعدى حدود الله وعنده طريق آخر ، فما كان عليه ﷺ الا أن يمسك بأربع نسوة ، ثم يجمع من السرارى أو ملك اليمين ما شاء ، ما دام هناك مخالفة لحدود الله وبذلك ينال مراده وبغيته ، وينفى عن نفسه كل شبهة وريب ·

وهو بنفسه ﷺ كان يقسم السبايا على صحابته والمجاهدين معه . وما دام الأمر كذلك · فكان بمقدوره أن يكتفى بأربع نسوة يمسكهن امساكا شرعيا ثم يتسرى بمن يريد ويحب ، ويأتى بأى عدد يريده · بل وينتخب منهن الحسان الجميلات لا المكتهلات المسنات · يقول ابن تيمية — رحمه الله —: (ان كل من جاز وطئها بالنكاح جاز وطئها بملك اليمين بلا نزاع ، وأما العكس فقد تنازع فيه وذلك لأن ملك اليمين أوسع لا يقتصر فيه على عدد

(١ ، ٢) (الأحزاب : ٥٠) ·

والنكاح يقتصر فيه على عدد محدد)(١)

اذن فلماذا لم يكثر النبي ﷺ من هذا النوع - من اللواتي وقعن تحت يده في الأسر ؟ وخاصة أنهن ليس لهن القسم والحقوق كما لنسائه اللواتي يمسك بهن عنده !!

أجيبونا أيها المغرضون · يا أصحاب الحل والتحريم · أجيبونا ونحن مستمعون ·· والا تجيبونا فنحن نجيبكم - واذا عرف السبب بطل العجب ·

ان الرسول ﷺ آثر امساك نسائه على أولئك السبايا ، لأنه مأمور في هذا الامساك من قبل السماء ، ومزوج من قبل الله لا تبعا لهواه ورغباته - كما بينا في الدوافع التي ذكرناها في الفصل الأول من هذا الكتاب - بل أن الرسول ﷺ كان يعتق سباياه ويخيرهن بين التزوج به أو اللحوق بأهلهن · فكن يخترنه على أهلهن - كما حدث مع صفية بنت حيي وجويرية بنت الحارث ، فان الرسول ﷺ رفض التسرى معهن والاستمتاع بهن · فأعتقهن ، وقبلنه زوجا ، وفضلنه على أهلهن وعشيرتهن فقبلهن الرسول وتزوج بهن ·

فالرسول ﷺ لم يخالف شرع الله - ·· - انما الله سبحانه - تيسيرا لنشر الدعوة - شرع له تشريعا خاصا به · فالرسول لم يخالف · انما هو أول من طبق شرعه على نفسه على أكمل وجه وأتمه · حتى أن الله سبحانه أمرنا بطاعته واتباعه في كل ما جاء به ، وفيما فعله ، وفيما اعتاده ، وفيما أمر به ما عدا خصوصياته · فقال سبحانه : « **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** » (٢) وتوعد من عصاه وعصى رسوله بالعاقبة السيئة · فيقول جل في علاه : « **ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** » (٣) ·

هذه الطاعة له ، والوعيد هو لأنه بلغ رسالة الله وأدى أمانته على أكمل وجه وأحسنه وطبقها على نفسه أولا ·· غاية التطبيق وأحكمه · فالرسول الكريم ، والأمين المأمون ﷺ لم يتعد حدود الله ولا قيوده أيها الأغبياء انما هذا الزواج خصوصي له شرعه البارى له من دون المؤمنين تيسيرا لنشر الرسالة وتبليغ الدعوة ·· فهل أنتم المشرعون أم الله ··؟!

---

(١) الفتاوى - لابن تيمية جـ ٤ ص ٦٨ ·
(٢) (المائدة : ٩٢) (٣) (الأحزاب : ٣٦)

تعالى الله فيما شرعه .. « أأنتم أعلم أم الله »(١): تبارك علم الله وارادته فما أحكم شرعه وما أجمل خصوصياته .

سـراري الرسـول صـلى الله عليه وسـلم

والمحفوظ من سيرة نبي الانسانية ﷺ أنه لم يكن عنده الا سبيتان طيلة حياته . هما مارية القبطية (٢)، وريحانة بنت زيد (٣) فقد جاء في البداية : (كانت لـه عليه السلام ، سريتان ، احداهما مارية بنت شمعون القبطية أهداها له صاحب اسكندرية واسمه جريج بن مينا . وأهدى معها أختها شيرين (٤) .. ومنهن ريحانة بنت زيد من بني النضير ويقـال من بني قريظة)(٥)

ومارية رضي الله عنها ـ أهداها له المقوقس ـ حاكم مصر سنه ثمان مجرية ، ولم يسبيها ﷺ من سبي الحرب . وأما ريحانة فقد قال قتادة : أنها ماتت قبل وفاة رسول الله ﷺ .

وعلى هذا ـ يتبين لنـا ـ لو أن رسـول الله ﷺ ينظـر الى المتعـة الجسدية أو حب النساء لأكثر من هذا النوع لا سيما أن السراري كان لهن اعجابا خاصا عند العرب لجمالهن وحسنهن وقيل انما سميت « سرية » لأنها موضع سرور الرجل . واذا كان الأمر كذلك .

فهل من المعقول أو المقبول أن رجلا شهوانيا تعف نفسه عن هذا النوع من ذوات الحسن والنضـارة والـكواعب الاتـراب ويجري وراء سـيدات مكتهلات ، وذوات أولاد ..! اللهم لا .. وان مـا ذهب اليه المتأفكون لهو الكيد والحسد بعينه .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفـم طعم المـاء من سـقم

وثمـة هنـاك شيء آخر ، فان الرسول ﷺ لو تسرى بمن شـاء من السراري ما كان بدعا من الرسل ، لأن ذلك « **سـنة الله في الذين خلوا من**

---

(١) (البقرة : ١٤٠) (٢) وقد أعلنت اسلامها فور وصولها الى المدينـة المنورة وأنجبت له ابراهيم آخر أبنائه ، ومات وهو عنده ثمانية عشر شهرا ـ على الأرجح ـ كما في السيرة الحلبية .
(٣) وقد أسلمت أيضا وسر باسلامها رسول الله ﷺ .
(٤) في السـيرة الحلبيـة ـ سيرين . بالسـين المهملـة . وقـد وهبهـا رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت وولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان .
(٥) البداية والنهاية ـ ابن كثير جـ ٥ ص ٢٦٤

قبل » (١) فسيدنا سليمان عليه السلام كان عنده ثلاثمائه امرأة مهرية ، وسبعمائه سرية كما يروى عنه ٠

وبذلك يتبين لنا أن الرسول ﷺ لم يهدف بزواجه هذا ، ما يردده الساقطون اللادينيون ٠٠ انما القصد من زواجه بالحرائر المهورات ، هو تحقيق أهداف وأغراض سامية وجليلة بعيدة كل البعد عما يتصوره المرجفون ، الذين يقولون ما لا يعلمون ، ويخبطون الأقاويل والأكاذيب خبط عشواء ، غير مبالين بمكانة النبى ﷺ عند رب العالمين وغير مراعين لحرمته وعصمته ٠ ولكن « **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** » (٢)



---

(١) (الاحزاب : ٦٢) ٠
(٢) (يوسف : ١٨)

رأى جديـــد فى تفســير آيــة

الدلـــيــــل الرابــع :

قــال تعــالى : « يــا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا »(١)

ذكر العلماء وأصحاب التفاسير فى هذه الآية أقوالا مقبولــة وخواطر مرضية ، أوفت على الغاية والقصد ، ولكن لنــا وقفة أخرى مع هذه الآية . فهى تحتمل عندنا وجها آخر من التفسير ، نبين من خلاله آن زواج النبى ﷺ مقصور عليه وحده دون كافة البشر ، ليس لرغبــة فى نفســه أو لشــهوة اشتعلت نارها بين أضلاعه كما يفترى المفترون ، وانمــا هو لحكم وأهــداف جليلة القدر ، أفصحنا الكلام عنها فيما مر بنــا من هذا الكتاب .

ونحن لا نعرض هنا لكلام المفسرين وما بسطوره فى تفسيرهم لهــذه الآية من قول حسن ، انما نقتصر على ذكر رأينا الذى نريد آن نثبته هنا ، ولعل علماءنا يقبلونه بقبول حسن ، وحبذا الاتفاق عليه ليكتسب قوة ومتانة .

فقوله سبحانه وتعالى « يا نســاء النبى لستن كأحد من النســاء » فيه خطاب لنساء النبى ﷺ بأنهن لسن كســائر نســاء البشر ، ولسن كســائر نساء البشر فى ماذا ؟

فى أنهن اجتمعن وهن آكثر من أربع فى بيت واحد ، لرجل واحد ، هو النبى ﷺ أما غيرهن من نساء البشر فلا يجوز لهن ذلك ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى ــ جعل لامساك النساء حدا أقصى شرعه فى قوله : (مثنى وثلاث وربــاع) .

أما أنتن : يا نساء النبى ــ فلستن مثلهن فى هذا التشريع انما أنتن لكن تشريع آخر . فكأن البــارى سبحانه قسم النساء الى فريقين ، فريــق يجوز لهن أن يجتمعن الى أربع زوجات تحت عصمة رجل واحد ، وهذا الفريق متمثل فى نساء البشر أجمع ، والفريق الثانى يجوز أن يجتمع منهن أربع نساء فأكثر تحت عصمة رجل واحد وهذا الفريق متمثل فى نســاء النبى خاصة ، وعلى هذا فان نساء المسلمين طور وحدهن ، جعل الله لهن تشريعهن الخاص بهن ، أما نساء النبى فهن طور آخر لهن تشريع خاص بهن .

(١) (الأحزاب : ٣٢)

ويعضد هذا الرأى ويقويه قوله سبحانه « **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** »(١) فدلت هذه الآية الكريمة على أن نسائه غير بناته غير نساء المؤمنين ، فنسائه ﷺ طور وحدهن ، وبناته طور ، ونساء المؤمنين طور آخر ، وعلى هذا فقوله : (لستن كأحد من النساء) تدلنا على أنهن يخالفن نساء البشر فى تشريعات قصرها الله عليهن وحدهن اكراما لنبيه محمد · ولذلك فان الله سبحانه قصره عليهن وقصرهن عليه فيقول له « **ولا أن تبدل بهن من أزواج** »(٢)

يقول الأخفش فى معانى القرآن : (معناه - والله أعلم ·· أن تبدّل منهن أزواجا ، وأدخلت « من » للتوكيد ·(٣)

فتمييز رسول الله بهؤلاء النسوة ، والزامه بهن مجتمعات وتقييده بهن هو أمر ارتضاه المولى له ، لا يشاركه فيه أحد من الرجال ، ولا يشاركهن فى هذا أحد من النساء · ولذلك قال الله لرسوله : (انا أحللنا لك أزواجك) ، وأيضا (خالصة لك من دون المؤمنين) وقوله لنساء بيته (لستن كأحد من النساء) ليعلم البشرية جمعاء أن محمدا غير الرجال وأن نسائه غير كافة النساء ·

وخلاصة القول : ان قوله تعالى (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء) أى لستن كأحد من النساء فى التعدد والاجتماع فتعددكن واجتماعكن تحت عصمته أبحته له ولكن أيضا ، ولو أنكن اجتمعتن وأنتن على هذه الحالة . (وتسع نساء أو أكثر) وتزوجتن رجلا آخر غير محمد ، لا يجوز ذلك عندى ، أما اجتماعكن أزواجا لنبيى ورسولى محمد ، فقد أبحته وأبحتكن له ، لأن هذا شئ قد اختصصته به وحده ولا أخص أحدا بعده بذلك ·

ثم يأتى بعد ذلك لهن الأمر من السماء بعدم الخضوع فى القول مسبوقا بشرط التقوى فيقول لهن سبحانه « ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا »

---

(١) (الأحزاب : ٥٩) (٢) (الأحزاب : ٥٢)

(٣) معانى القرآن للأخفش تحقيق د · عبد الأمير محمد أمين جـ ٢ ص ٦٦١

الفصـــل الخامـــس

شـــبهتـــان متنـــاقضـــتـــان

الدليـــل الخـــامس :

أثـار المستشرقون وأعداء الديانة الاسلامية ــ منذ فتـرة ــ شـبهة داحضـة يحاولون من خلالها تشكيك المسلمين فى دينهم وتنفيرهم عنـه ــ والطعن فى أمر نبيهم أيضا متأولين آيات من القرآن الكريم على غير محملها . فأثاروا شبهة عتاب النبى فى القرآن الكريم ــ فهم يقولون : إن الله تعالى عاتب نبيه فى القرآن لأن النبى أخطأ فى أمور ، ولم يكن على صواب فى أشياء ، قام بها ، وساقوا حشدا من آيـات القرآن الكريم استشهادا على ذلك ، لتثبت صحة مـا ذهبوا اليه · من هذه الآيات قوله تعالى : « **ما كان لنبى أن يكون لـه أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيـا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** »(١) وقـــوله عـز من قائل « **عبس وتولى ، أن جـــاءه الأعمى ، ومـا يدريـك لعلـه يزكى** »(٢) وقولـه جل فى علاه « **واستغفر لذنبك** »(٣) وقوله عز من قائل « **ولولا أن ثبتنـاك لقـد كدت تركن اليهم شيئا ، اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجـد لك علينا نصيرا** »(٤) وقوله تقدست أسمائه « **عفا الله عنك لم اذنت لهم** »(٥) وقوله تبـارك اسـمه « **فلعلك تارك بعض مـا يوحى اليك وضـائق بـه صدرك** »(٦) · هذه الآيات التى أتى بها أعداء الحنيفية السمحة استشهادا على ما ذهبوااليه من أن هذه الآيات ، تحمل فى مضمونها عتـابا ولومـا وتعنيفا لرسول الله ﷺ وسقمت عقولهم عن الوصول الى معرفة فحوى هذا العتاب الجميل والمغزى منه ، لخبل أصابهم فى عقولهم وسحائب من الغشاوة طمست عليهم أبصارهم فهم لا يرون النور نورا ولكن يرونه ظلاما دامسا ، حيث أنهم أتوا بأمر فادح المقصود به أمر واضح ، والمغزى من ذلك واضح وجلى لـكل ذى لب رشيد · وهو الطعن فى نبـوة المعصوم وانتشار الفتن والكوارث بين المسلمين وتمزيق وحدتهم وتشتيت جمعهم والعمل على تفريق صفوفهم وبذلك يحققون مآربهم السقيمة التى يهدفون اليهـا من قديـم الأزل ، وليس هدفنا الآن هو مناقشة قضية العتاب فى القرآن الكريم ولكن بعد أن نصل الى مقصدنا الذى نريده فى موضوعنا الذى نحن بصدد دراسته والتحدث فيه سنشير فيما بعـد اشارة سريعة نصحح من خلالها مفاهيمهم

---

(١) (الأنفـال : ٦٧) (٢) (عبس : ١ ، ٢ ، ٣)

(٣) (غـافر : ٥٥) (٤) (الاسراء : ٧٤ ، ٧٥)

(٥) (التوبة : ٤٣) (٦) (هـود : ١٢)

ومغالطاتهم حول قضية العتاب القرآني ، وسنذكر طرفا مما رد به أفـذاذ الدعوة الاسلامية على هذه الشبهة المريضة ·

ان مـا أثـاره المستشرقون والصليبيون حول موضوع عتاب النبي في القرآن الكريم فيه دليل قاطع ، وثبت لا مرية فيه على أن النبي لم يكن مخالفا لحدود الله ولا صاحب شهوة ، كما يدعي الحاقدون عليه ، وانما كان زواجه بأمر من الله لا بأمر من نفسه وبتشريع من خالقه لا اتباع لهواه ، وبرضى من ربـه لا جرى وراء طبيعته البشرية ، ويتضح لنـا ذلك وضوحا مطلقا فيما يلي :—

ما دام أن المستشرقين قد أقروا واعترفوا بأن الله ــ سبحانه ــ عاتب نبيه في القرآن الكريم على أشـياء وأمور لم يكن على صـواب فيهـا فاننـا سنوافقهم على ما ذهبوا اليه ، تمشيا مع رأيهم وان كان العتـاب عندهم له محمل وعندنا له محمل آخر ، فنقول لهم ببسـاطة شـديدة : ما دمتم قد اقررتم بأن الله قد عاتب نبيه ولامه على أمور فعلها من تلقاء نفسـه واخطـأ فيها فلم يهتد الى الصـواب اذن فلمـاذا لم يعـاتبه أو يلمه على زواجه من النسـاء اللواتي تزوج بهن فوق نسائه الأربع ؟ فلم لم يعـاتبه على زواجة بالخامسة أو السادسة أو التاسعة مثلا ؟ بمعنى أن الله لم يعاتبة عما زاد عن الحد الذي شرعه في قوله « **فانكحوا ما طـاب لكم من النسـاء مثنى وثلاث ورباع** »(١) ولمـاذا كف القرآن عن معـاتبة النبي في أمر زواجه بالذات ؟ أم أن هناك عتابا جاء في أمر زواجه ونحن لا نعلمه ؟ أجيبونا ــ أيها الحاقدون على نبي الله ــ بل ان ما بين دفتي كتاب الله تعـالى من سـور وآيات لم تشر أدنى اشـارة الى معـاتبة النبي ﷺ في زواجه أو تشنه على فرطه في تعدد زوجـاته وامساكه بهن · وليست هناك آية واحدة من كتاب الله تعـاتبه أو تزجره على زياديه على الأربع بل ان آيات القرآن التي أشارت الى زواجه تـدل دلالة صريحة على حل النساء لـه بالاضـافة الى خصوصياته التي خصـه الله بهـا ؟ والسيدة عائشة تقول : (ما مات رسـول الله ﷺ حتى أحـل الله له كل النسـاء)(٢) ·

والامام على ــ كرم الله وجهه ــ عندما أشار عليه رسول الله ﷺ آخذا رأيه في حادث الأفك (٣) الذي حدث مع أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ــ

---

(١) (النسـاء : ٣)

(٢) رواه احمد في مسنده والترمذي والنسائي في سننهما ·

(٣) الأفـك : هو أسـوأ الكـذب والحـديث في البـاطل والمقصود به هـو مـا اختلقه المنافقون ورموا به السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ في أعز مـا تعتز به وهو شرفها المصون ، والذى أشاعه هـم جماعة من المنافقين على رأسهم عبد الله بن أبي ــ كبير المنافقين ، وزيد بن رفاعة

رضى الله عنها - اشار عليه على قائلا له : (يا رسول الله النساء غيرها كثير) وقول على هذا فيه اباحة مطلقة لرسول الله ﷺ فى مسألة الزواج . واذا كان الله سبحانه وتعالى - لم يعاتب نبيه فى أمور زواجه فهذا معناه أن الله سبحانه وتعالى قد أباح له تعدد زوجاته وأطلق له العنان فى هذا المجال يتزوج بمن يريد وفى أى زمن يحب وفى أى مكان يختار ومن أى قبيلة يشاء ، ولو أن الله جل فى علاه لم يرض عن هذا الأمر من نبيه لعاتبه فى قرآنه على ذلك ونزلت آيات الزجر والوعيد تخر عليه من السماء كما يخر ماء السحاب على الأرض - أليس كذلك ؟

أم ان هناك آيات نزلت معاتبة اياه وتكاتمها فى نفسه ولم يبح بها ؟ واذا كان الرسول فعل ذلك ، فالعقل والمنطق يقولان : فلماذا لم يخف بقية آيات العتاب فى القرآن الكريم ؟ ولماذ صدع الرسول بها وتلاها على ملأ وجموع من المسلمين ؟!... والسيدة عائشة - رضى الله عنها تقول : عندما نزل قوله تعالى (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) تقول السيدة عائشة : (لو أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من القرآن لكان كتم هذه الآية)(١)

أم أن الوحى قد انقطع عن رسول الله فى هذه الفترة فلم ينزل بآيات يعاتبه فيها على فرطه فى هذا الزواج ؟ وهل الوحى انقطع عنه من السنة الثالثة أو الرابعة للهجرة حتى وفاته فى السنة الحادية عشرة للهجرة ؟ وهى السنة التى عدد فيها رسول الله ﷺ زوجاته لظروف الدعوة وملابساتها !!! فبأى أسلوب تفكرون أيها الجاهلون ؟!!

ثم ماذا بعد ذلك .. ان هناك أمورا يسيرة وهينة حدثت مع رسول الله ﷺ وسرعان ما هبط أمين وحى السماء بآيات تحمل له عتابا على ذلك فما بالنا بقضية الزواج ! أينزل عتاب فى أسرى بدر ولا ينزل عتاب فى زواج النبى من نسائه التسع اللواتى كان يمسك بهن فى فترة ما ومات عنهن ؟؟!!

أينزل عتاب فى شأن عبد الله بن أم مكتوم وما حدث معه من اعراض النبى عنه ؟ ولا ينزل عتاب على هذه الكثرة من النساء التى خص بها نفسه ؟؟ !!

= ابن زيد - من اليهود ولكن العليم البصير سبحانه . رد كيد الكائدين الى نحورهم وأعلن براءة السيدة عائشة - الشريفة المؤمنة - من السماء فقال سبحانه : (ان الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم الى قوله - أولئك مبرءون مما يقولون) سورة النور .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٩١

إن قضية تعدد زوجات النبى أكبر وأعم من هذه الأمور التى نزلت فيها آيات العتاب على رسول الله ، فلو أن الرسول عدد زوجاته لأجل قضاء شهوة بداخله أو رغبة فى متعة جسدية يريدها أو حب فى النساء كما يزعم هل الشرك والفجور ٠٠ لكان العتاب فى هذه القضية أهم وأولى من العتاب فى القضايا الأخرى ٠ والعقل السديد ، والمنطق الرشيد - يقولان مادام أن الله لم يعاتب نبيه على تعدد زوجاته علم بداهة أن هذا مما أباحه الله له ، وخصه به ، وقصره عليه دون غيره من البشر ٠ والا ٠٠ فكان هناك عتاب وعنيف - بل وربما يكون عقابا أو وعيدا أيضا - ٠

فالمنطق والعقل ، يقولانها ٠٠ والحس والبداهه ، يقرانها ٠

فبأى أسلوب تفكرون ٠٠؟ وبأى عقل تسترشدون ٠٠؟ وبأى حق تفترون ٠٠؟ وبأى لسان تصفون ٠٠؟ « **وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم** » - « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون **بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** »(٢)

ان النبى محمدا ﷺ لم يتزوج من تلقاء نفسه ، لأجل قضاء شهوة بداخله ولا حبا فى عجائز النساء وأراملهن وانما تزوج بدوافع مقتضيات الدعوة وظروفها وخاصة فى هذه الفترة الحرجة - وحاجة القبائل الى تآلف واخاء لتسير قافلة الدعوة كما أراد الله لها وكما شاء ٠

وربما يظن انسان أن قوله تعالى « **وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** »(١) تحمل فى مضمونها عتابا على ما أخفاه النبى فى نفسه فيظن أنها نزلت تعاتبه فى أمر زواجه من زينب بنت جحش - رضى الله عنها - التى كانت زوجا لمولاه زيد بن حارثة ، فنجيبه قائلين : ليس الأمر كذلك ، نعم بها عتاب للنبى ولكن عتاب على أى شئ ؟ فهى لم تنزل لتعاتبه فى أمر زواجه من زينب وان كانت تحمل فى مضمونها عتابا فهى تعاتبه على ما أخفاه فى نفسه من تريثه فى تنفيذ أمر الله والتباطؤ عنه حيث أخفى النبى هذا الأمر فى داخله وكتم هذا الأمر عن زيد وقال له عندما جاءه يشكوها اليه (أمسك عليك زوجك واتق الله) فنزلت هذه الآية تعاتبه على هذه المقالة التى قالها لزيد ويبين له أن زواجه من زينب واقع لا محيد عنه ٠ وأمر الله مبديه لا محالة ٠ وهذه هى سنة الله مع نبيه كما كانت سنته مع الأنبياء الذين سبقوه - يوضح ذلك قوله « **ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا** »(١) ٠

---

١) (الأعراف : ١٧٩) ٢) (الأحزاب : ٣٨) ٠

(٣) (النمل : ٨١) ٠

وعلى هذا فالآية ليست عتابا ولا لوما للنبى ﷺ على زواجه من زينب - اذ أنه كيف يأمره بالزواج منها سبحانه - ويعاتبه عندما تريث وتأخر فى

كتمان هـذا الأمر ثم بعد ذلك يعـاتبه ويلومه على الزواج منهـا • فيقول سبحانه « **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها** »(٢) فكيف يفرض عليه هذا الزواج ويشرعه له ثم بعد ذلك يعاتبه ، على هذا الزواج ذاته !! •• على اننا لنا وقفة مستفيضة أمام هذه الآية ، فى الحديث عن زواج الرسول زينب حيث المقـام المناسب هنـاك • ولكن ما نريد أن نؤكده هنـا لن زينب - رضى الله عنها - هى الزوجة الثـامنة فى ترتيب أزواج النبى ﷺ وكان يمسك قبل الزواج منها بسبع نسوة • فلو أن هناك عتاب حقا لكان عتابه على الزواج منها لأنه تعدى حدود الأربع ولا يعاتبه على تريثه فى هـذا الزواج وكراهته له • ولكن لم يحدث عتاب على زواجه ﷺ من زينب وهى الثامنة من بين نسـائه ، علم من ذلك أن زواجه ﷺ بهـا أو بالتى بعدهـا أو بمـا زاد عن الأربع عموما لا شىء فيه اطلاقا بالنسبة لرسـول الله ﷺ بل هو يزيده رفعة ومهابة وتبيينا لمقامه عند الله وخاصة اذا علمنا أن زواجه من زينب بدون كتـاب ولا شـهود ومدفوع الى هـذا الزواج دفعـا من قبـل السـماء •

(١) الأحزاب : ٣٧)

حقيقة العتــاب فى القــرآن الكـــريم

واتماما للفائدة ، نفى بما وعدنا به آنفا من مناقشــة قضية عتـــاب النبى فى القرآن الكريم التى يتخذها المستشرقون خاصة ذريعة للطعن فى نبينا ﷺ ويلصقون به الخطأ الفاحش فى جل الأمور التى فعلهـا ولم يكن على صـــواب فيهـا .

والحقيقة أن العتاب لرســول الله وقع فعــلا فى القرآن الكريم ولكن ليس بالأمر الذى يظنه هؤلاء الجهلاء ، فان عتاب النبى أعلى وأجــل ، بــل وأليق بمنزلته ﷺ مما يتصوورونه فهو عتاب له لا عليه لأنه يُحمّل نفســه أكثر مما تطيق فى تبليغ الدعوة ، ويخوض كل طريق وعر وشـــاق جريا وراء هؤلاء المعاندين من أصحاب الشرك وأئمه النفاق ، بل أن نفسه الشريفة ترداد حسرة ويصيبها الهـم والحزن عندما يرى أعـداء الدعوة يتفلتون من يده هاربين من نور الاسلام وتوحيد الخـالق وهو القــائل ﷺ (وأنا آخذ بحجزكم من النــار وأنتم تفلتون من يدى) وكان يقول لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه — (لأن يهدى الله على يديك رجــلا خير لك من حمر النعم) لهذه الأسباب وغيرها نزل العتــاب على رســول الله ﷺ رأفة له ورحمة به وشفاقا عليه وفى ذلك يقول له الله « **طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى** »(١) ويقول له « **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** »(٢) ويقول له فى موضع آخر تسلية له « **فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أســـفا** »(٣) والمعنى كمـــا يقول الشـــيخ محمد على الصــابونى :

(أى فلعلك قــاتل نفسك يا محمد ومهلكها غمــا وحزنا على فراقهم وتوليهم وأعراضهم عن الايمان لهذا القرآن حسرة وأسفا عليه فما يستحق هؤلاء أن تحزن وتأسف عليهم)(٤) .

وعندما ننظر الى قوله تعالى (عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . ومــا يدريك لعله يزكى ؟)(٥) التى نزلت عتابا لــه فى شأن ابن أم مكتوم نجد أن الله فى هذه الآية الجليلة ، يشفق على نبيــه اشفاقا لاتبلغ الى حده أجلــة البشر : قال الصاوى (انما أتى بضمائر الغيبة تلطفا به ﷺ واجلالا لمــا فى

---

(١) (طـه : ١ ، ٢ ، ٣) (٢) (غــافر : ٨)
(٣) (الكهف : ٦)
(٤) صفوة التفاسير محمد على الصابونى جـ ٢ ص ٩٣
(٥) (عبس : ١ ، ٢ ، ٣)

المشافهة بتاء الخطاب مالا يخفى من الشدة والصعوبة)(١) فما هو شأن ابن أم مكتوم ؟ .. وماذا فعل الرسول ؟ ولماذا جاء العتاب ؟

تقول السيدة عائشة (نزلت عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله : ارشدني وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أترى بما أقول بأسا ؟ فيقول لا ففي هذا أنزلت (٢) .

يتضح لنا من رواية السيدة عائشة وكتب السيرة أن رسول الله ﷺ عندما جاءه الرجل الأعمى الفقير ابن أم مكتوم كان مشغولا بأمر نفر من سادة قريش يريد أن يكتسبهم للاسلام ، وهؤلاء النفر هم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل عمرو بن هشام ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، وكان معهم العباس عم النبي .

كان النبي ﷺ ساعة أن جاءه بن أم مكتوم يقول له يا رسول الله : اقرأني وعلمني مما علمك الله . كان مشغولا بأمر هؤلاء النفر من كبراء قريش يعرض عليهم الاسلام ويبث فيهم تعاليم الله ، وعندما ألح ابن أم مكتوم في سؤاله للنبي ، المرة تلو المرة كره الرسول قطعه لكلامه وظهر العبث على وجهه - بينما لا يرى هذا العبث على وجه النبي - لأنه كان ضريرا ! ولنتساءل أيهما أهون على رسول الله وأخف مشقة عليه ؟ هداية رجل جاء يطلب الهداية ويرتوي من تعاليم الله ورسوله أم هداية هؤلاء الصناديد العاتين ؟ بالطبع هداية هذا الرجل المنفرد ولكن لماذا آثر رسول الله هؤلاء الجماعة من قريش على هذا الرجل المنفرد ؟ وفي الاجابة على هذا تظهر لنا حكمة العتاب جلية واضحة وضوح البدر في ليلة تمامه وذلك لأن الرسول ﷺ أراد أن يكتسب للدعوة الاسلامية والدين الجديد أفرادا وليس فردا وخاصة هؤلاء النفر العتاة الذين شاقوا رسول الله وكابد منهم الأمرين حيث إنهم أصحاب الجاه والقوة في مكة ويكفون آذاهم عن أتباعه أيضا فهو في كل هذا يريد خدمة الدين لا خدمة نفسه ، ففعل ذلك لمصلحة الدعوة لا لمصلحة يقصدها وهنا تتدخل عناية السماء لتهون على رسول الله مشاق الدعوة وعدم جريه وراء هؤلاء الجاحدين - فالرسول ﷺ يحس بثقل

---

(١) صفوة التفاسير محمد على الصابونى جـ ٣ ص ٥١٨
(٢) أخرجه مالك والترمذى

الرسالة على كاهله لأنه يريد العلو لدين الله ورفع كلمة التوحيد الى عنان السماء فيكد نفسه ويضنيها جريا وراء مساعى الخير لرسالته حبا فى الله وفى نشر دعوته فجاءه العتاب ليخفف عنه هذا التعب وهذا العناء فالمعاتبة هنا لصالح النبى لا عليه وكل آيات العتاب فى القرآن الكريم على هذه الشاكلة ، وصدق الله اذ يقول له « **ان أنت إلا نذيرا** »(١) •

ويقول له « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** »(٢) وتارة يكون العتاب فى القرآن الكريم ، ليطالب رسول الله بالشدة والغلظة تجاه أعداء الاسلام من الكافرين والمنافقين بدلا من اللين والتساهل وهذا هو الظاهر فى معاتبته فى أسرى بدر يقول سعيد حوى (وكان أمام الرسول اقتراحان فى شأن الأسرى : اقتراح أبى بكر واقتراح عمر ، وكان اقتراح أبى بكر أخذ الفداء وأخذ السراح ، وكان اقتراح عمر القتل حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوب المسلمين رحمة بالكافرين ، وأخذ رسول الله ﷺ برأى أبى بكر لأنه أقرب لطبعه ، وهو الذى لاقى من قومه ما لاقى ، ثم أن الله عاتبه فى هذه القضية على اللين وليس من اثم ولكن الله يريد أن يأخذ رسوله بالحزم فقال له : (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض)(٣)

ثم نزلت أوامر الله تطالب رسول الله ﷺ بالجهاد والشدة والغلظة على الكافرين ، فأصبحت ترى رسول الله ﷺ بعد هذه الرحمة الكبيرة والصبر الطويل والتحمل الكثير والمسالمة (الدائمة) المقاتل الشديد والمنفذ الذى جعل طاعة الله فوق كل عواطفه ، بل حتى عواطفه هى تنفيذ لأمر الله واستعراض بسيط لحياته الحربية - عليه الصلاة والسلام - يرينا أن هذا النوع من القتال الذى خاضه - عليه الصلاة والسلام - ما كان ليكون من صنع البشر ، لولا أن هذا الانسان ينفذ أمر الله ، معتمدا عليه ، فانه ما من مقدمة فى حياة الرسول ﷺ تشير الى مثل هذه النتائج ، لولا أن المسألة ربانية الطريق بدءا وختاما أسلوبا وتنفيذا ، رب يأمر وعبد رسول ينفذ)(٤) •

وعلى هذا المنوال جاءت كل آيات العتاب تنبئنا عن محبة الله لرسوله ومدى توقيره له وخوفه عليه حتى فيما يبذله من جهد مضنى فى جريه وراء من لا يؤمنون بدعوته ، وتفرقت بهم السبل عن سبيل الله والايمان به •

اذن فالعتاب عكس ما يريده المشككون وما يطلقونه بين أتباع محمد

---

(١) (فاطر : ٢٣)　(٢) (الكهف : ٢٩)
(٣) (الأنفال : ٦٧)　(٤) كتاب (الرسول)سعيد حوى ص ٧٧

من اشاعات خبيثة ، ليس الهدف من ورائها الا اشعال نـار الفتنة بينهم ٠

وان كان من كلمـة أخيرة فى هـذا الموضوع فهى قـول الشيخ الشعراوى : (ان الذين يحاولون التشكيك فى الاسلام باستخدام آيات العتاب لرسول الله ﷺ انمـا يحكمون على أنفسهم بأنهـم مغرضون ٠٠ ذلك أنك اذا أخذت القرآن ٠٠ فيجب ألا تستشهد بجزء منه ثم تستبعد جزءا آخر ٠ فالآيات التى نزلت ثناء على رسول الله ﷺ كثيرة ٠٠ فالله سبحانه وتعالى قال لرسوله « **وانك لعلى خلق عظيم** »(١) ٠ وقـال « **وانك لتهدى الى صراط مستقيـم** »(٢) ٠ وقـال « **ومـا أرسلنـاك الا رحمـة للعـالمـين** »(٣) **وقال** « **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** »(٤) وآيات كثيرة فى القرآن الكريم أثنى فيها الله سبحانه وتعالى على رسوله ٠٠ فهل من العدل أن نتجاهل هذه العادات ؟ ثم نأتى بالآيات التى فيها عتاب ؟ ونحاول أن نأخذها وحـدها لنحـدد علاقة الله برسوله على طريقـة « **ولا تقـربوا الصلاة** »(٥) ان فى هذا محاولة لطمس الحقيقة واخفائها واظهـار الشىء بغير حقيقته)(٦)

ــ وأنـا أرى أن هنـــاك زاويـــة أخـرى ، يجب أن ننظـر = الى القضية من خلالها ، فالعتاب قد وقع فى القرآن الكريم ، لهدف جميل ومقصد نبيل ٠ ملخصه هو : رسم صورة ودية جميلة تسير الأمة الاسلامية على مقتضاها وتخطوا على معالمها ، ويسلك المسلمون مع بعضهم هذا المسلك الطيب ، الذى فيه الصفاء والرضا ، وبقاء المودة والحفاظ على المحبة ٠ كما فعل الله مع نبيه فى معاتبته له ٠ فما أجمل المسلم عندما يعاتب أخيه المسلم فى الأمور التى تستحق وتتطلب المعاتبة ٠ مستمد أدب العتاب ورقتـه ، وروعة أسلوبه ، من القرآن الكريم الذى يقول العلى العظيم عنه : « مافرطنا فى الكتاب من شىء » ٠

وبالعتاب الرقيق الجميل يصفو المسلم مع أخيـه المسلم ، ويحظى كل منهما بمحبة ومودة تجاه الآخر ، ويدوم عقد الألفة والصحبة بينهما ٠ وكما قـال القـائل ٠

★ ويبقى الود مـا بقى العتاب ★

وهذه اللفتـة اللطيفـة هى مـا قصدها الله سبحانه ــ من معاتبـة نبيه فى القرآن الكريم ٠

---

(١) (القلـم : ٤) (٢) (الشورى : ٥٢)
(٣) (الأنبياء : ١٠٧) (٤) (المـائدة : ٩٢)
(٥) (النساء : ٤٣) وتمامها (وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ٠
(٦) معجزة القرآن للشعراوى ص ٢٤٧ وما بعدها ٠

وبعد مناقشة هذه القضية مناقشة سريعة تبين لنا من خلالها ضلال أهل الضلال وإتباعهم لأهوائهم ، ويتبين لنا الى أى مدى حقدهم على رسول الله وكيدهم له ودسهم له بين أتباعه ، هادفين الى زعزعة المسلمين فى دينهم ، واخماد نور الاسلام الوضاء ٠ والتثاقل عن الجهاد فى سبيله ٠

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون »(١)

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »(٢)

ولا يفوتنا فى النهاية أن نذكر كلمة أخيرة ذكرها شهيد الاسلام عن أسلوب العتاب فى القرآن الكريم وجمال روعته ، معلقا على فخامة هذا الأسلوب ورفعته حيث يقول (والأسلوب الذى تولى القرآن به هذا العتاب الالهى (أسلوب فريد ، لايمكن ترجمته فى لغة الكتابة البشرية ٠ فلغة الكتابة لها قيود وأوضاع وتقاليد تغض من حرارة هذه الموجات فى صورتها الحية المباشرة ٠ وينفرد الأسلوب القرآنى بالقدرة على عرضها فى هذه الصورة فى لمسات سريعة ٠ وفى عبارات متقطعة ٠ وفى تعبيرات كأنها انفعالات ، ونبرات وسمات ولمحات حية !)(٣)

وبهذا نفى على القصد فى هذه القضية التى كثيرا ماندد بها أعداء الاسلام فى كتبهم ، وعلت بها أصواتهم ، فهم يأخذون آيات العتاب مأخذا سطحيا غير مدركين لمغزى العتاب وفحواه ، وما يحمل فى مضمونه من شفقة على رسول الله ﷺ واكبار له ٠ راسما له منهج الدعوة الاسلامية ، مبرزا له سماتها حتى يخطو على معالم جلية واضحة ٠ فما أجل المعاتب اذا كان البارى — سبحانه — وأكمل المعاتب اذا كان محمدا ٠ (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) (التوبة : ٣٢) (٢) (الصف : ٨)

(٣) فى ظلال القرآن سيد قطب ج ٥ ص ٣٨٢٤

صفات النبي في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى

الدليـــل الســـادس :

نتعرض في هذا الدليل ـ ان شاء الله تعالى ـ لصفات النبي ونعوته التي وردت في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى بشيء من الايجاز نخلص من هذه الصفات والنعوت أن النبي ﷺ اتصف بصفات ونعوت كريمة ومبجلة ، لم تمت الى الشهوة أو حب النساء بصلة ، لا من قريب ولا من بعيـد ، ولا بشيء من هذا القبيل على الاطلاق وانما مجموع هذه الصفات الجليلة والنعوت الخيرة التي وصف بها في القرآن والكتب الأخرى تنبيء عن رفعة مكـانته وعلو شأنه ، ونبل أخـلاقه ، وكريم طبعه ، بعيدا عما يتصوره ويردده اليـوم هؤلاء الماجنون الساقطون • ولنشرع أولا بصفته ﷺ ونعته في الزبور ثم نأتي بعد ذلك على التـوالي الى نعتـه في الكتب الأخرى ، ونختمها بالقرآن الكريم حيث أنه جمع فأوعى ، وذكـر فأفاض في تفاصيل هذه الصفات ، وكما ذكرنا آنفا نتعرض لهذا بشيء من الايجاز المفيـد •

صـــفات نبينـــا في الزبـــور

لقـد وصف محمـد بن عبـد الله ﷺ في الزبـور بصـفات ونعوت حسنة •

فقد ذكر في الزبور الخامس والأربعين من صفات نبينـا محمد ﷺ مـا أثبته شيخ الاسلام وحجته رحمت الله الهندي ـ ونقله عنه أيضـا الشيخ ـ رشيد رضا في تفسير المنـار •

حيث أورد الشيخ رحمت الله الهندي ـ في كتابه هذا مجموعة من البشارات ، اشتملت على صفات نبينا محمد ﷺ ونعوته ، وذكر في البشارة السادسة صفات نبينـا ﷺ التي ذكرت في الزبـور الخامس والأربعين فيقول : رحمت الله ـ بعـد أن سردها وأثبتها في كتابه (وهذا الأمر مسلم به عند أهل الكتاب أن داود عليه السلام ـ يبشر في هذا الزبـور بنبي ان هذا النبي هو عيسى عليه السلام ، ويدعى أهل الاسلام ، سلفا وخلفـا

أن هذا النبي محمد ﷺ ـ•
موصوفا بالصفات المذكورة في هذا الزبور ، ويدعى علماء بروتستـانت
فـأقول : أنه ذكر في هذا الزبور من صفات النبي المبشر به هذه
فـأقول : إنه ذكـر في هذا الزبور من صفـات النبي المبشر بـه هـذه

الصـــفات :

١ — كونه حســـنـا ·
٢ — كونه أفضل البشـر ·
٣ — كون النعمة منسكبة على شفتيه
٤ — كونه مباركا الى (آخر الدهر)
٥ — كونه متقلدا بالسيف ·
٦ — كونه قـويـــا
٧ — كونه ذا حق ودعة وصدق ·
٨ — كون هداية يمينة بالعجب
٩ — كون نبله مسنومة ·
١٠ — سقوط الشعب تحته ·
١١ — كونه محبا للبر ومغبضا للاثم
١٢ — خدمة بنات الملوك اياه
١٢ — أتيان الهدايا اليه ·
١٤ — انقياد كل أغنياء الشعب له
١٥ — كون أبنـــائه رؤســـاء الأرض بدل آبائهم ·
١٦ — كون اســـمه مذكورا جيـــلا بعـــد جيـــل ·
١٧ — مدح الشعوب ايـــاه الى دهر الداهرين ·

وهذه الأوصاف كلها توجد فى محمد ﷺ على (أكمل وجه) (١)
وساق الشيخ بعد سرده لهذه الصفات أدلة جازمة من الكتاب والسنة تثبت كل صفة من هذه الصفات على حدة بادئا من الصفة الأولى حتى الصفة السابعة عشر ، وطبق هذه الصفات على رسول الله محمد ﷺ بمـا لا ريبة فيه لمـرتـاب — ووضع النقاط على الحروف فى هذا الموضوع(٢) ·
وهذه الأوصاف التى ذكرت فى الزبور ، والتى تنطبق صفة بعد صفة على رسول الله ﷺ لم تأت فى هذه الصفات صفة واحدة تضع من قدره ، أو تصفه بصفات حيوانية — كما ذهب أولئـــك المجرمون — وعلى هذا الأساس قد دحضت شبهتهم ، وأبطلت دعواهم من نفس كتبهم التى يقدسونها ·

---

(١) أنظر كتاب — اظهار الحق واخفاء الباطل — للشيخ رحمت الله الهندى ص ٦٠٥ ، ٦٠٦ · وانظر تفسير المنار جـ ٩ ص ٢٢٧ : ٢٢٨
(٢) لمعرفة هذه الأدلة التى ساقها الشيخ لتثبت صحة كل صفة من هذه الصفات ، وانطباقها كليا وجزئيا على رسول الله ﷺ راجع كتابه — اظهار الحق — من ص ٦٠٦ — ٦٠٩ وراجع أيضا — تفسير المنار من ص ٢٢٨ : ٢٣٠ حيث انه نقلها عنه رشيد رضا حرفيا ·

صفـات نبينـا فى التـوراة

لقد وصف الله نبيه ومصطفاه ، بصفات تخصه وتميزه عن غيره من البشر ، اكراما لشخصه وتعظيما لمكانته من ناحية ، ولتقريع أعدائه واثبات الحجة الدامغة عليهم من ناحية أخرى ، وكل هـذه الصفات التى وصف الله بها نبيه تكسوه جلالا ومهابة ، وتدل دلالة قاطعـة على حقيقة نبوته ، فهى صفات ونعوت ، ودلائل ومبشرات أيضا » ، وعلى انه النبى العربى الأمى حقا ويقينا ، فقد أخـرج ابن سـعد والدارمى فى سـنده والبيهقى فى الدلائل وابن عسكر (١) عن عبد الله بن سلام (٢) قال (صفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى التوراة : يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين — أنت عبـدى ورسولى سـميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة (٣) ولكن يعفو ويصفح ولم يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا : لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا) .

فهذه هى صفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى التوراة التى أتى بها أخوه موسى ليس فيها صفة واحدة تشينه أو تحط من قدره انما كلها صفات جميلة ونعوت حسنة .

وقد ذكر صاحب — اظهار الحق — بشارات من التوراة تضمنت صفات نبينا صلوات الله وسلامه عليه . وذكر البشارة الأولى من الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء (التثنية) .. لما زعم أحبار اليهود أن هذه البشارة بيوشع وليست بمحمد ، وعلى الجانب الآخر — وزعم علمـاء برتستانت على الجانب الآخر بعيسى — فقد رد الشيخ فى كتابه زعم هؤلاء وهؤلاء ، وساق أوجهـا عشرة تثبت انها مبشرة بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وأيد هـذه الأوجه العشرة بأدلة قاطعة من كتبهم المتداولة التى يقدسـونها — ولن نتعرض هنا لذكر هذه الأوجه العشرة نظرا لاطالتها (٤) .

---

(١) ورواه البخارى وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص .
(٢) وكان عبـد الله بن سـلام حبرا من أحبـار اليهود وهو أعلم بكتاب التـوراة .
(٣) رواية البخارى (ولا يدفع السيئة بالسيئة) .
(٤) ومن يرد معرفتها فليرجع الى كتابه — اظهار الحق جـ٢ ص ٥٨٩ : ٥٩٧

ولكن نتعرض لذكر الصفات التى ذكرها ، لانها هى التى تعنينا فى هذا المقام ، فيقول بعد حديثه عن الوجه السابع (وهذه الوجوه السبعة التى ذكرتها تصدق في حق - محمد - عليه السلام - أكمل صدق لانه غير المسيح عليه السلام ويماثل موسى عليه السلام فى أمور كثيرة :

١ - كونه عبد الله ورسوله .
٢ - كونه ذا والدين .
٣ - كونه ذا نكاح وأولاد(١) .
٤ - كون شريعته مشتملة على السياسات المدنية .
٥ - كونه مأمورا بالجهاد .
٦ - اشتراط الطهارة وقت العبادة في شريعته .
٧ - وجود الغسل للجنب والحائض والنفساء فى شريعته .
٨ - اشتراط طهارة الثوب من البول والبراز .
٩ - حرمة غير المذبوح وقرابين الأوثان .
١٠ - كون شريعته مشتملة على العبادات الدينية والرياضات الجسمانية .
١١ - أمره بحد الزنا .
١٢ - تعيين الحدود - والتعزيزات والقصاص .
١٣ - كونه قادرا على اجرائها (تنفيذها)(٢) .
١٤ - تحريم الربا .
١٥ - أمره بانكار من يدعو الى غير الله .
١٦ - أمره بالتوحيد الخالص .
١٧ - أمره الأمة بان يقولو له عبد الله ورسوله ، لا ابن الله أو الله والعياذ بالله .
١٨ - موته على الفراش .
١٩ - كونه مدفونا كموسى .
٢٠ - عدم كونه ملعونا لأجل أمته(٣) .

---

(١) هذه العبارة لا تفيد أنه شهوانى محب لنكاح النساء ، وانما هو ذو نكاح أختصه الله به ، كما اختص به كثيرا من الأنبياء .
(٢) (تنفيذها) زيادة فى تفسير المنار . وهى توضيح منه .
(٣) أنظر كتاب اظهار الحق واخفاء الباطل جـ ٢ ص : ٥٩٣ .

هذه هي صفة رسول الله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - في التوراة ، ويعلمها علماء اليهود وأحبارهم تمام العلم ويعرفونها كما يعرفون أبنائهم ، فهل فيها صفة واحدة تؤيد ما ذهبوا اليه من افتراءات كاذبة على رسول الله محمد !!؟؟

وهل من بين هذه الصفات صفة واحدة تبين أنه جبل على الشهوة ؟ بل هل تتوسط هذه الصفات صفة واحدة تشير أدنى إشارة الى أنه ميال الى النساء ، يحب المتعة الجسدية ؟ وهل تتخلل هذه الصفات والنعوت صفة واحدة تلمح أدنى تلميح الى أن هذا النبي الذى بشر به موسى ووصفه لكم ، أنه لم يطبق شرع الله على نفسه أو يحب نساء الغير كما زعمتم وافتريتم !!؟؟

اذن فلماذا تقولون على رسول الله كذبا وبهتانا ، وصفاته هي موجودة في كتبكم ، تنادى له بالبراءة والنزاهة والصفاء الروحي والنقاء القلبى ، وقد ذكر موسى عليه السلام هذه الصفات والنعوت لمحمد المبشر به ، قبل أن يعرفه أحد ، وقبل أن يخرج الى الوجود بقرون !!

اذن ، فلماذا تفترون ، يا أتباع اليهودية المنسوخة ، الكذب على رسول الله وعلماؤكم وأحباركم يعلمون هذه الصفات الباهرة ، والنعوت الخيرة التى كلها كمال وجمال .. ؟ انه الحسد ولا شيء غيره ، والحقد الأسود الذى هاج في قلوبهم .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيت المدراس فقال : أخرجوا الى أعلمكم فقالوا : عبد الله ابن صوريا فخلا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فناشده بدينه وبما انعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم من الغمام ، أتعلم أنى رسول الله ؟ قال : اللهم نعم ، وان القوم يعرفون ما أعرف وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكن حسدوك . قال : فما يمنعك أنت ؟ قال : أكره خلاف قومى عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم) (٢) .

وكفى بهذه الرواية شاهداً ودليلا على خبثكم الخبيث ومكركم الماكر . (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين)(٣) . فيا أعداء الله ورسوله لا تفترون على الله الكذب وأنتم تعلمون .. فماذا بعد الحق الا الباطل وماذا بعد الهدى الا الضلال وماذا بعد النور الا الظلام .

---

(١) أنظر هذا الحديث فى اظهار الحق وشواهد أخرى له .

(٢) (الأحقاف : ١٠) .

صفـات نبينـا فى الانجيـل

واذا نظرنا الى صفات النبى ونعوته فى الانجيل نجده يلتقى مع التوراة فى معظم هذه الصفات ، جاء فى حديث أخرجه ابن مسعود وابن عساكر عن طريق موسى بن يعقوب الربعى عن سهل مولى خثيمة قال : قرأت فى الانجيل نعت محمـد ـ صلى الله عليه وسـلم ـ أنه لا قصـير ولا طـويل ، أبيض ذو ضفيرتين بين كتفيه خاتم ، لا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير ، ويحلب الشاه ، ويلبس قميصا مرقوعا ، ومن فعل ذلك فقد برء من الكبر ، وهـو يفعل ذلك وهو من ذرية اسماعيل اسمه أحمد) (١) .

وقد ذكر صـاحب اظهار الحق بشارات من الانجيل تتخللها النعوت الحميدة التى وصف بها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونقلها عنه أيضـا صاحب المنار وهى من البشارة الثامنة الى البشارة الثامنة عشر وكلهـا من أناجيل متى وأشعية وكتاب دانيـال والمشاهدات وهى بشارات كلها مليئة بالصفات الجليلة والنعوت الحسنه(٢) التى وصف بها محمد ﷺ .

فليرجع أهل البدع والأهواء الى كتبهم السابقة ، وينظروا فى هـذه الصفات نظر الحق الوضاح ، لا نظر الباطل الأحمق ، واذا وجدوا صفة واحدة من هذه الصفات تعضدهم فيما ذهبوا اليه فليأتوا بها .. ونحن منتظرون ، ان القرآن والتوراة والانجيل وكل الكتب السماوية ما تركت صفة واحدة من صفات رسول الله ، من خَلق وخُلق ، من قول وفعل الا ذكرتها لنا ، وجاءتنا بها . خبرا صادقا ونبئا يقينيا . أما ان رهبان النصارى وقساوستهم يعلمونها تماما ، ويطوون عليها صـدورهم ويكتمونها عن عوامهم ، فهـذا ما لا يشين قدر رسول الله عنـدنا ، وعليهم وزرهم ووزر عوامهم الى يوم القيامة (**وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم**)(٣) .

---

(١) تفسير المنـار وابن كثير . والحـديث فى طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٣٦٣ .

(٢) لمزيد من التفاصيل فى موضـوع البشارات انظـر : افحـام اليهود للسموأل بن يحيى المغربى ، وكتاب « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » لعبد الله الترجمان ، وكتاب « محمـد فى التوراة والانجيل والقرآن » لابراهيم خليل أحمد .

(٣) (العنكبوت : ١٣) .

- جاء الجارود بن العلاء في قومه الى رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذى بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل ، وبشر بك ابن البتول »(١) • فطـول التحية والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين • مد يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك محمد رسول الله)(٢) •

فهؤلاء رجال عرفوا الحق فاتبعوه ولم يتنكبوا طريق الجادة والصواب ، نسأل الله أن يهدى أمثالهم الى ما هداهم اليه ، فما أشقى القوم اذا عرفوا الحق وأعرضوا عنه عنادا وكفرا ، وحسدا وضلالا • فاذا آثرتم الضلالة على الهـدى فأنتم الخـاسرون ، واذا آثرتم الهـدى على الضلالة فأنتم المفلحون فاختاروا لأنفسكم أى الطريقين شئتم •••• (**من اهتـدى فانما يهتـدى** لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها)(٣) •

صفـات نبينـا فى القرآن الكريم

وأما صفات الرسـول ﷺ فى القرآن الكريم فهى أجمل ما يكون ، وأشهى مايسمع وألذ مايطرب ، فقد جُمع فى القرآن الكريم كل ماوصف به رسول الله ﷺ فى التوراة والزبور والانجيـل لان القرآن الكريم هو الكتاب الذى (**لا يأتيـه الباطـل من بين يديه ولا من خلفـه**)(٤) ، وكمـا يقـول جلال الدين السيوطى : (القرآن هو كتاب الاسلام الخالد ، ويقول : وأبان فيه كـل هـدى وغى)(٥) فيقول رب العزة فى كتابه الذى لا تبلى جدته ، فى صفة نبيـه المبعوث للعالمين أجمع : (**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحـرم عليهم الخبـائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون**)(٦) •

---

(١) أى عيسى عليه السلام ، وكان الجارود بن العلاء من علماء النصارى •
(٢) اظهار الحق واخفاء الباطل (رحمت الله الهندى) ص ٦٣٢ •
(٣) (الاسراء : ١٥) •
(٤) (فصلت : ٤٢) •
(٥) الاتقان فى علوم القرآن - جلال الدين السيوطى ج ١ ص ٣ •
(٦) (الأعراف : ١٥٧) •

فهذه الآية الكريمة اشتملت واحتوت على سبع صفات هي — من خير الصفات كلها اتصف بها رسول الانسانية ومنقذ البشرية ، وخير خلق الله في البرية فما أجمل الصفات وما أعظم الموصوف .. ما أجمل الصفات اذا صدرت من الله .. وما أكرم الموصوف إذا كان محمداً بن عبد الله .. صفات كلها خير وبركة ورفعة ومهابة . وموصوف كله رحمة ورأفة وطهر وعفاف .

انه النبي لا كذب .. انه ابن عبد المطلب — يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير هذه الآية :

(وصف الله الرسول الذي أوجب اتباعه علي كل من أدركه من بني اسرائيل وغيرهم بصفات ونعوت :

أولهما — (أنه النبي الأمي الكامل .

ثانيهما — قوله تعالى (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل . ومعناه الذي يجد الذين يتبعونه بني اسرائيل صفته ونعوته مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل .

ثالثها ورابعها — قوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .

خامسها وسادسها — قوله تعالى : (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) .

سابعها : قوله تعالى : (ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم) (٢) .

واذا تقصينا صفات رسول الله ﷺ في عديد من آيات القرآن وسوره لتبين لنا من خلالها بحق انه صاحب الخلق العظيم ، والصفاء المطلق ، والعفاف الذي لا حدود له .

نعم هذه هي صفات ونعوت الصادق المصدوق ، والأمين المأمون وصاحب الرسالة العصماء ، في القرآن الكريم ، وهي صفات ونعوت كما رأينا في كتب

---

(٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ١٩١ : ١٩٧ ولم نتعرض هنا لنص تفسيره لأن الذي يعنينا هو تقسيمه لهذه الصفات السبع .

الأنبياء بشروا بها أممهم وأقوامهم ووصفوه لهم بأدق الصفات النبيلة كما يوصف البدر ليلة تمامه وحضوهم على متابعته والتصديق برسالته ، واقتفاء أثره ، ومناصرة دينه كذلك ٠

فيا أيها المبشرون ويا أعداء الله ، هذه هي صفات نبينا في القرآن الكريم تنبيء عن تذكيته وجميل طبعه ٠ وحسن خلقه وسلوكه الذى لايرتقى اليه أحد من البشر ، فعلى أى أساس بنيتم اتهامكم الفاحش ووصفتموه بانه رجل شهوانى ، وقذفتموه بحب النساء والميل اليهن !!؟؟

ومن جانب آخر فان صفاته السامية ، ونعوته الراقية لم تزل موجودة فى كتبكم ، يعرفها علماؤكم حق المعرفة ويعلمونها تمام العلم ، ولكن يكتمون هذه الصفات الجليلة فيما بينهم ، ويخفونها عن عوامكم قال الواحد القهار :

(وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (١) وقال : **(وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عمايعملون)** (٢) وهذه احدى دسائس ومعاملات النصارى فى كنائسهم ، واليهود فى معابدهم، ما رأوه حسنا فى شريعة الاسلام الغراء أخفوه وكتموا أمره ، وما زعموا أنه قبيح أشاعوه وصدعوا به ، وذلك باعتراف رجل قسيس (٣) كان نصرانيا فاسلم « **وشهد شاهد من أهلها** » (٤) ـ فبعد أن سرد هذا القسيس صفات الرسول ﷺ فى كتابه تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، قال رحمه الله (وهذه كلها صفات نبينا محمد ﷺ والوجود يشهد له ، وكل من دفع هذه الصفات عنه ، فلا يجد فى العالم أحدا يستحقها ، وان إدعاها مدع لغيره من الأنبياء كان مجاهرا بالبهتان ٠

ثم لا أعلم أحدا من الأنبياء بعد داود نسب اليه هذه الصفات الجليلة وهو قبل نبينا محمد ﷺ وعلماء اليهود يعلمون انها صفاته الذاتية ، ولكنهم يكتمون ذلك ، لشقاوتهم السابقة في الأزل)(٥) ٠

---

(١) (البقرة : ١٤٦) ٠ (٢) (البقرة : ١٤٤) ٠

(٣) هو القس انسلم تورميدا ـ أسلم وسمي نفسه عبد الله الترجمان ٠

(٤) (يوسف : ٢٦) ٠

(٥) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب للقس أنسلم تورميدا تحقيق د٠ محمود على حماية ص ١٣٧ وما بعدها ٠

فأحبار اليهود ، وعلماء النصارى ، والقارئون لكتبهم ، الآمرون الناهون - بشهادة شاهد منهم يكتمون بشارات النبى ﷺ وصفاته الحميدة عن عوامهم ، الذين لم يحظوا بنصيب وافر من الثقافة والمعرفة ، فهم لا يبينوا من الحق الا ما يوافق أهوائهم وشهواتهم (**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**)(١) وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ﷺ فقال : (أنا أعلم به منى بابنى فقال عمر رضى الله عنه : لم ؟ قال : لانى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت(٢) فقبل عمر رأسه . يقول العلامة الألوسى : والمعنى انى لست أشك فى نبوته ﷺ بوجه . أما ولدى فأشك فى بنوته وان لم أشك بشخصه)(٣) .

وبعد سرد هذه الصفات الموثقة المعلومة ، وتصديق العلماء الاجلة لها وتعليقهم عليها ، نريد أن نخاطب هؤلاء الذين تتدلى على أعينهم سحائب من الغشاوة ، ويسيطر على عقولهم ركام من الجهل الجهول قائلين لهم : انظروا باحثين عن صفات النبى الكريم فى كتبكم التى بين ايديكم ، وفى الكتاب الذي جاء به ، قبل أن تحكموا عليه هذا الحكم الساقط الباطل ، الذي لا ثبوت له مع العقل السليم والمنطق السديد ثم أخبرونا بعدها .

ماذا وجدتم ؟ هل وجدتم صفة له من صفاته تدل على أنه شهوانى !!؟؟

وهل هناك صفة واحدة من صفاته تبين انه ذو متعة جسدية كما تفترون !؟ هل وجدتم من خلال هذه الصفات التى وصف بها صفة واحدة تشير ادنى اشارة بانه تعدى حدود الله ولم يتقيد بقيوده ؟ كلا وألف كلا .

فعلى أى أساس تزعمون وتتطاولون ببهتانكم العظيم على أكرم نبى بعثه الله الى أمم وشعوب ضالة . تعثرت خطواتها وزلت أقدامها وخيم الظلام الحالك على مجتمعاتها . فجاء لينقذهم من ضلالهم الاعمى الوخيم ، وشهواتهم المفرطة ، ويرشدهم الى طريق الصراط المستقيم ، طريق السلامة والسلام والاسلام ، طريق الأمن والأمانة والايمان .

---

(١) يعرفونه ﷺ معرفة جلية ، يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص . (البقرة - ١٤٦) .

(٢) أى انه يعرفه معرفة أوثق من معرفة ابنه الذى من صلبه .

(٣) روح المعانى للألوسى جـ ٢ ص ١٣ .

ثم ماذا بعد ذلك : هل هناك صفة واحدة فى أى كتاب سماوى تنبىء أو تلمح بأنه سينال من حظوظ الدنيا وشهواتها ومتعها أدنى نيل ، من رفاهية ونعيم مقيم !؟ . وهل هناك من بين هذه الصفات صفة واحدة تنبئكم بأنه ذو شهوة بهيمية ، يحب نساء الغير ، ويرغب فيهن !؟ .. ان كان هناك ما يرشدكم من هذه الصفات الى ذلك فأتوا به « **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين**) ونحن منتظرون (**فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**)(١)

ان النبى محمدا - صلى الله عليه وسلم - أعلى وأجل مما تصف السنتكم .. أنه النبى الصابر المثابر ، المجاهد المكافح - الذى لايشغله شاغل طيلة حياته عن اعلاء كلمة الله ، ونشر دعوته التى بعث من أجلها ، ورجل هذا شأنه ونبى هذه همته فكيف تتسرب الشهوة الى نفسه !؟ وكيف ينظر الى الشهوة والمتعة رجل عاش عيشة متقشفة ، وفى شظف من العيش!؟ وكان يمكث الهلال ثم الهلال ثم الهلال ولا يوقد فى بيته نار يطبخ عليها ، والرجل العريض الشهوة ، صاحب المتعة الدائمة ، لابد ان يعيش حياة مترفة باذخة ، تعينه على قضاء شهوته - كما دلت على ذلك التجارب العلمية الحديثة - يقول محمد قطب : (لقد ثبت من التجربة العملية ان كثرة الغذاء لا تطفىء الغريزة ، بل تزيدها اشتعالا ، حتى تصل بها الى السعار المجنون ، وتلك هى النتيجة المنطقية التى تتفق مع الآراء النظرية)(٢) .

ان التاريخ يشهد ، والسير تؤكد : ان النبى ﷺ ما تقاعس عن دعوته لحظة ما ، وجاهد فى الله حق جهاده وأبلى فى نشر رسالته بلاء حسنا - فكيف يكون صاحب شهوة ومتعة جسدية فانية ! وأين مكان هذا الهراء فى حياته ؟ .

انه دؤوب فى رسالته ، لم يتوان عن الدعوة اليها لحظة قط ... الى ان عمت الآفاق ، وبلغت الارجاء ومحا الله به الظلمة وكشف به الغمة ، وأتم به النعمة ، وتركها كالمحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ منها الا هالك . فتحية عاطرة ، يتوجه بها اتباعك المسلمون الى شخصك المعظم وأنت فى ثراك الطاهر .

أرسلت داعية الى الرحمن ودعوت فاهتزت لك الثقلان
وأخرجت قومك من ضلالات الـ ـهوى وهديتنا للواحد الديان

---

(١) (البقرة : ٢٤) .
(٢) الانسان بين المادية والاسلام - الأستاذ محمد قطب ص ١٧٧ .

الفصـــل الســـادس

قصـة زينب .. وزواج الرسـول منها

تمهيـــد ...

بعث محمد بن عبد الله ﷺ بالحنيفية السمحة على فترة من الرسل - انتشرت فيها البدع والضلالات فى الجزيرة العربية بأسرها ، وهذه البدع والضلالات (ما أنزل الله بها من سلطان) انما هى أفعـال وعادات تقلدها العرب فى جاهليتهم ، كابراً عن كابر ، وذلك مثل بدع الظهار ، والايلاء ، وبدع التبنى ، وبدع الانكحة المتعددة وغيرها من العادات السيئة التى بينها القرآن الكريم ، وأوضحتها السنة المطهرة ، وأفاضت فى ذكرهـا كتب التاريخ والسـير ، على أن الذى يعنينا هنـا هو بدعـة التبنى .. أصلها وطريقتها وأسبابها وبيان كيف أبطلها الاسلام ونزعها من نفوس العرب بحكمة عالية ، بعد أن كانت منتشرة بينهم ومتفشية بين القبائل ، متشبثين بها ، يأخذونها أبا عن جد ، حتى أصبحت دينا متوارثا ، وعقيدة واضحة فى نفوسهم ، وعلى هذا فليست « بدعة التبنى » بالأمر الهين ، من السهل الاقلاع عنه أو ابطاله ، أو حتى تعطيله وخاصة فيما يتوارثونه عن آبائهم ، وقد حكى لنا القرآن قولهم (**انا وجـدنا آباءنا على أمـة وانا على آثارهم مقتدون**)(١) .

أسباب التبنى : وهى ترجـع الى أنه كان يوجد فى المجتمع الجاهلى آنذاك (فى غير البيوت التى عرفت بالشرف والطهر وعدت من ذات النسب المشهور) أبناء لا يعرف لهم آباء ، أو أبناء لهم آباء معروفون ولكنهم وقعوا سبايا فى الحروب والغارات .

فاذا أعجب رجل بأحد هؤلاء الابناء ، أخـذه لنفسه وتبناه ويلحقه بنسبه ، ويدخله فى حيز أسرته ، فتصير له حقـوق وواجبات ، كحقوق أبنائه الذين من صلبه ، له مالهم وعليه ما عليهم ، وبالجملة أجريت كل احكام البنوة عليه .

---

(١) (الزخرف : ٢١) .

ولم يكن زيد بن حارثة هو العلم وحده فى هذه البدعة ، وانما كان هناك كثير غيره ممن جرت عليهم هـذه العـادة . جاء فى روح المعـانى (وقد تبنى رسول الله ﷺ قبل البعثة زيد بن حارثه والخطاب عامر بن ربيعه ، وأبو حذيفة مولاه سالما الى غير ذلك)(١) .

طريقة التبنى : أما عن طريقة التبنى فيقول الأستاذ الصابونى : (كان العربي فى الجاهلية يتبنى الرجل منهم ولد غـيره فيقول له : « أنت ابنى أرثك وترثنى » فيصبح ولـده وتجـرى عليه احكام البنوة كلها من الارث ، والنكاح ، والطلاق ، ومحرمات المصاهرة ، وغير ذلك مما يتعلق بأحوال الابن الصلبى على الوجه الشرعى المألوف)(٢) .

« زيد بن حارثه ... وتبنى رسول الله له »

ونشرع الآن - بعون الله تعالى - فى قصة زيد بن حارثه وتبنى رسول الله له . كما ذكرها الامام القرطبى(٣) والالوس بشىء من الاختصار » .

« كان زيد بن حارثه مع أمه عند أخواله(٤) بنى معن من بنى طيىء » .

فأغارت عليهم قبيلة من قبائل العرب فسلبتهم أموالهم وذراريهم (كما هو شائع آنذاك - فى الجزيرة العربية بأسرها) وكان زيد من ضمن من سبى فى هذه الغارة ، فقدموا به مكه وعرض فى سوق عكاظ ليبيعوه ، فأعجب به حكيم بن حزام بن خويلد فاشتراه لعمته خديجـه (حيث انهـا أوصته أن يبتاع لها غلاما ظريفا ، وظـل زيد عند خديجـة الى ان تزوجها رسول الله ﷺ فأعجب بظرفه وذكائه ونبوغه ، فوهبته له إن شاء اعتقه وان شاء أمسكه(٥) . وظل عند رسول الله يقوم على خدمته ويرعى شئونه .

وعلى الجانب الآخر فان والده « حارثه بن شرحبيل » كان يبكى عليه بكاء مرا ويندبه الليالى الطوال ويقـول فيه الاشـعار ومنها قصيده ذكرها

---

(١) روح المعانى للالوسى جـ ٢١ ، ص ١٤٦ .
(٢) تفسير آيات الاحكام جـ ٢ ، ص ٢٦٨ .
(٣) كلاهما ذكرها عن ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(٤) وكان وقتها صغيرا .
(٥) قيل عمره كان وقتها ثمـان سـنوات .

العلامة القرطبي(١) يتبين من خلالها حنين حارثه على ولده زيد وتحسره على ضياعه في السبي . فيقول في مطلعها :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل فكل أمرىء فان وان غره الأمل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها أحي يرجى أم أتي من دونه الاجل

الى أن يقول :

حياتي أو تأتي على منيتي وتقرض ذكراه اذا غربها أفل

وعندما خرج زيد في ابل لابي طالب بأرض الشام ، ومر بأرض قومه فعرفه عمه ، ثم دعا والده حارثه ينظر اليه فعرفه أيضا . فقال له كيف صنع مولاك اليك قال : يؤثرني على أهله وولده فركب معه عمه وأبوه وأخوه حتى قدموا مكه فقال له حارثه : يا محمد أنتم أهل حرم الله تعالى وجيرانه وعند بيته تفكون العاني (٢) وتطعمون الأسير ابني عندك فامنن علينا فيه وأحسن الينا في فدائه فانك ابن سيد قومك ولك ما أحببت من المال في فدائه .

فقال له الرسول ﷺ أعطيكم خيرا من ذلك . قالوا وما هو ؟ قال : أخيره امامكم ، فان أختاركم فهو لكم بدون فداء . وان - أختارني فما أنا بالذي أرضى على من أختارني فداء ، فقالوا : أحسنت فجزاك الله خيرا .

فدعاه رسول الله فقال له يا زيد : أتعرف هؤلاء ؟ قال نعم ، هذا أبي وهذا عمي وهذا أخي . فقال له الرسول ﷺ : فهم من قد عرفتهم فاذهب اليهم وان أخترتني فأنا من تعلم ، قال له زيد : ما أنا بمختار عليك أحد أبدا . أنت مني بمنزلة الوالد والعم .

فقال له أبوه وعمه : ويحك يا زيد ، تختار العبودية على الحرية ، فقال زيد : لقد رأيت من هذا الرجل من الاحسان ما يجعلني لا أستطيع فراقة وما أنا بمختار عليه أحد أبدا .

فلما رأى رسول الله ﷺ حرص زيد على البقاء معه ، خرج الى الناس وقال : أشهدوا أن زيدا حر وأنه ابني وأنه يرثني وأرثه .. فطابت نفس

---

(١) وذكرها ابن العربي أيضا في (أحكام القرآن) جـ ٣ .
(٢) العاني - الأسير .

أبيه وعمه وأخيه لما رأوا من كرامة زيد عليه ﷺ فلم يزل فى الجاهلية يدعى « زيد بن محمد » حتى نزل القرآن الكريم ٠

« **أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** »(١) ونزل قوله تعالى « **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** »(٢) ومن يومها دعى زيد بن حارثه ٠ وكل من كان على شاكلته دعى بأسم أبيه لا بأسم متبناه ٠ وبطل حكم التبنى ومحاه الاسلام الحنيف بالتشريع السماوى الجديد لان ذلك « أقسط عند الله » فسبحان من شرع التشريع الحميد ٠ الذى فيه صلاح المجتمعات الحائرة فى خضم المحيط التى عميت عن بر النجاة وطريق الأمان ٠

وعلى هذا نعلم مدى الضلال الذى حاق بالعرب وتخبطوا فى ظلماته ، ونظرا لان الاسلام ٠ جاء بالحق الوضاح والمنهج السليم ، فما كان له أن يقر الناس على باطل ، أو يتركهم فى سكرتهم يتيهون أو يمدهم فى طغيانهم يعمهون ٠ بل جاء الاسلام ليصحح لهم معتقداتهم الزائفة ، ويرشدهم الى الطريق الاصوب والاقوم « **وانك لتهدى الى صراط مستقيم** » ٠ (٣)

---

(١) (الاحزاب : ٥) ٠
(٢) (الاحزاب : ٤٠) ٠
(٣) (الشورى : ٥٢) ٠

الحكمة من تبني رسول الله ٠٠ لزيد بن حارثة

قد يقول قائل ٠ اذا كان الله تعالى يريد بتشريعه المقبل ان يبطل بدعة التبني السيئة ٠

فلما سمح لرسوله بتبني زيد ؟ وهو يعلم سبحانه أن في تبنيه خطأ فادحا وهو النبي المحفوظ قبل البعثة ، المعصوم بعدها ٠

نقول ان هناك حكمة جليلة ، والهدف من ورائها رشيد ٠

فمحمد ﷺ تبنى زيدا وأصبح يدعى زيد بن محمد وساير العرب في ذلك ، ليكون ذلك اعلاما للامة في إنهاء عادة التبني وايذانا في ابطال هذه البدع المستنكرة ، حتى اذا ما جاء الأمر من الله بالخلع من هذه البدعة السيئة - كان محمد ﷺ أول من يلبي نداء الرحمن ويخلع ويطرح هذه البدعة عن كاهله ويتبرأ منها ، واذا ما فعل رسول الله ذلك ، اقتدى به المسلمون ، ونسخوا بدعة التبني من حياتهم ، وطرحوها جانبا بلا رجعة اليها ، وصدق الله اذ يقول : (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة**)(١) أو ما ترى أن رسول الله ﷺ أول من تبرأ من بدعة التبني والادعاء . وأصبح يتادى متبناه من ذلك اليوم زيد بن حارثه لا زيد بن محمد ٠

ثم أو ما ترى ثانية ، ان رسول الله ﷺ أول من تزوج من أزواج الادعياء، مبالغة في ابطال هذه العادات عملا بقوله تعالى : (**وحلائل أبنائكم الذين من اصلابكم**)(٢) ، مطبقا على المجتمع الاسلامي بأسره : (**ان أكرمكم عند الله أتقاكم**)(٣) ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : (ان زيد بن حارثه مولى رسول الله ﷺ ماكنا ندعوه الا زيد بن محمد ٠ حتى نزل القرآن « أدعوهم لابائهم هو أقسط عند الله » فقال النبي ﷺ : أنت زيد بن حارثه بن شرحبيل)(٤) ٠

---

(١) (الاحزاب : ٢١) ٠
(٢) (النساء : ٢٣) ٠
(٣) (الحجرات : ١٣) ٠
(٤) رواه الشيخان وأخرجه أيضا الترمذي والنسائي ٠

زواج زيد بن حارثه من زينب

لهذه الحكمة التى ذكرناها آنفا ، أراد الرسول ﷺ ان ينتزع هذه البدعة من بين عادات العرب الذين تأصلوا بها وجبلوا عليها - فماذا يفعل الرسول ﷺ وأى شىء يدرأ به هذه البدعة ، محولا هذه العادات الخرافية الى حقائق واقعية ، ومبدلا هذا الظلام الحالك ، الذى حل بهؤلاء القوم بنور وضياء، يهتدى به العاثر .....

كان هو زواج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمته زينب بنت جحش تطبيقاً ابطال هذه العادة عمليا على مولاه وبنت عمته ، تأكيداً ومبالغة فى ابطال هذه العادة ، مستمداً هذه التعاليم السامية ، والتشريعات العالية من القرآن الكريم والوحى الالهى . اذ أن القرآن هو الناصر المعين له فى كل خطوة يخطوها فى ابطال هذه العادة المخزية (**ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**)(١) .

فخطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب الحسيبة النسيبة ، على مولاه زيد بن حارثة ، فأبت وأبى أخوها عبد الله . وقالت زينب « لست بناكحته » فراجعها رسول الله قائلا « بلى فانكحيه » . فقالت يا رسول الله أؤامر فى نفسى ؟ . ولكن القرآن الكريم يؤيد رسول الله ويقف بجانبه ، معينا له ، مشددا لأزره ، فسرعان ما نزل قوله جل فى علاه : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**)(٢) . وبهذا الوعيد الالهى قالت زينب « قد رضيته يا رسول الله لى منكحا ؟ قال ﷺ « نعم » قالت : اذن لا أعصى رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسى)(٣) .

---

(١) (الانفال : ٨) .
(٢) (الاحزاب : ٣٦) .
(٣) ابن كثير - جـ ٣ ص ٤٨٩ .

زينب .. والخيرة بين أمرين

وعندما نذهب الى أم المؤمنين زينب لنرقب هـذه الاحداث عن كثب ، ونتصور الموقف تصورا كاملا ، ونستشف ما يجول بخاطرها نجد ان زينب أمام أمرين - لا ثالث لهما ، وكلا الأمرين يعلو مرارة على الآخر .

- فهى أما ان تقبل هذا الزواج المفروض عليها ، وتقبل زيدا زوجا - وأما أن تعصى الله ورسوله ، رافضة الزواج ، عسى ان تجد ملاذا مع رجل آخر يضاهيها فى الشرف والنسب . فعلى أى الأمرين وقع الاختيار بعد هذه الحيرة الشديدة ؟ لم يكن أمامها الا الاذعان والتسليم لما أختاره رسول الله لها ، وقد علمت ان (**ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) . فلا أمر ولا خيرة ولا مشورة بعد حكم رسول الله ، انما التسليم والقبول والرضا (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**)(١) وبعد أخذ ورد ، وقبض وبسط ، وافقت زينب على الزواج من زيد ، فأنكحها رسول الله أياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفه ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر)(٢) .

وتزوجت زينب بزيد بن حارثة ، وضربت المثل الأعلى فى ابطال هذه العادة الحقيرة ، اذ كانت رضى الله عنها هى أول امرأة فى الاسلام ذات حسب ونسب عاليين وذات وضاءة وجمال فضلا عن أنها سليلة بيت النبوة ينكحها رجل كان بالأمس دعيا ومتبنى لمولاه محمد ﷺ .

وهذه هى أرادة الله جل فى علاه اذ يقول فى حديثه القدسى (عبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون الا ما أريد ، فان سلمت لى فيما أريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لى فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما أريد) .

---

(١) (النساء : ٦٥) .

(٢) تفسير الكشاف جـ ٣ ص ٢٦١ ، وروح المعانى جـ ٢٢ ص ٢٣ وزاد بن كثير بعد هذا « وعشرة دنانير » البداية والنهاية جـ ٤ ص ١٤٧ .

ارادة بعـــد ارادة

اقتضت حكمة الله وأرادته : بأن يتزوج زيد بن حارثة من زينب وقد حدث . وهذه هى الارادة الأولى ، ثم اقتضت حكمة البارى وأرادته — مرة أخرى — بأن يطلق زيد زوجته . بعد ان حال الوفاق والوئام بينهما — وهذه هى الارادة الثانية .

فالأرادة الأولى ، وما أجلها — كانت الحكمة من ورائها هى القضاء على الفوارق الطبقية . بجعل زيد العبد الأسير أهـلا لمصاهرة بنى هاشـم ، مصداقا لقوله سبحانه : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وثمة حكمة أخرى هى التمهيد لما سيكون من تشريع جديد . وأما الارادة الثانية ، وما أعظمها — فالحكمة من ورائها هى تشريع : (**لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا**) .

هذا التشريع هو المتمثل فى زواج الرســول من زينب وهو ما نشرع الآن — بعون الله — فى تحليلة بجلاء ووضـــوح ينفيان ما اعتراه من لبس وغموض .



زواج الرسول من زينب .. أمر بعد علم

بعد ان استحال الوفاق ودوام المعاشرة بين زيد وزينب — رضى الله عنهما — كانت النهاية المحتومة هى الطلاق ، لأمر أراد الله ان يشرعه — كما بينا ذلك سابقا .

ووقع اختيار الله على نبيه محمد ليقوم بهذه المهمة ، ويتحمل هذا العبء ، وما يترتب عليه بعد ذلك .

وكان الله — سبحانه — قد أعلم نبيه — مسبقا — بأن الطلاق واقع من زيد لا محيد عن ذلك وان زواجك منها واقع بعد طلاقها .

على ان الرسول ﷺ يبدو أنه كان كارها لهذا الزواج فكتم هذا الخبر فى نفسه ، وتريث فى أظهاره على أمل أن يعفيه الله تعالى من هذا الأمر الذى يحوطه الحرج ، ولذلك نراه عندما جاءه زيد يشكو من امرأته غلظة القول ، وعصيان الأمر والاذى باللسان ، والتعاظم بالشرف ، واخبره بأنه يريد فراقها قال له : (**أمسك عليك زوجك واتق الله**) — كما حكى لنا القرآن ذلك .

ولكن الله يريد من نبيه خلاف ذلك ، يريد منه ان يعلنها مدوية مجلجلة دون حرج من أحد (**وما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا**)(١) .

فماذا كانت النتيجة . وما الذى حدث ؟

سرعان ما جاء العتاب من السماء ، يعاتب الله رسوله على تصرفه مع زيد وتريثه فى تنفيذ أمر الله . ولنترك المجال للقرآن الكريم يقص لنا هذه الحادثة ، بعبارات تحمل عتابا رقيقا لنبيه ﷺ فيقول تقدست كلماته : **(واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا)** . (٢)

---

(١) (الاحزاب : ٣٨) .
(٢) (الاحزاب : ٣٧) .

فهذه الآية الكريمة ذات العبارات الرفيعة ، تحمل فى مضمونها ثلاثة أشـــياء :

١ ـ عتاب جميل ٠

٢ ـ أمر بالزواج ٠

٣ ـ تشريع جديد ٠

والعتاب الذى فى الآيــة موجه الى رسول الله على تريثه وتراخيه فى تنفيذ الأمر الذى أعلمه الله اياه ـ مسبقا ـ وهو طلاق زيد لزينب وتزويجه اياها ، حتى اذا جـاءه قال له (أمســك عليك زوجك) ولم يقــل له بادر بطلاقها ٠

وأما الأمر الذى تحمله الآية فهو موجه الى رسول الله أيضا يحثه على المبادرة بالزواج منها بعد ان يقع الطلاق ٠

وأما التشريع الذى تحمله الآية فهو موجه الى رســول الله والأمــة ، مشرع لرسول الله فى زواجة من زينب ومشرع الى الأمة فى شخص رسول الله والاقتداء به ٠

وهذه الآية تظهر أمام أعيننا ـ لا غموض فيها ولا ابهام ـ تنطق بالحق الواضح الذى بيناه ٠ وحدث ما اراده الله تماما ، ووقع الطلاق من زيــد ، ولم يتريث رسول الله مرة أخرى ، ووضع التشريع الجديد للأمة ٠



افتراءات كاذبة .. ودسائس مكشوفة

ومن عجب والعجائب جمة ، ان بعض المضلين أعداء الملة الغراء ، على كر العصور ومرها ، يقفون صوب هذه الآية ، موقف المكر والدهاء ، وتلبيس الحق بالباطل ، يلصقون بهذه القصة التى حكتها الآية دسائس خبيثه من الحب الرخيص ، والنظر الى نساء الغير والاعجاب بهن . وغير ذلك من الروايات الاسرائيلية الكاذبة ، التى ما أنزل الله بها من سلطان .

ومن المؤسف حقا ان المفسرين الأوائل لم يتنبهوا لهذه الروايات الخبيثة المفتراة .

ونحن - بعون الله - نذكر هنا هذه الرواية الآثمة ، التى أفترى بها المفترون ، على رسول الله ، حتى يتنبه اليها المسلمون ولا يغفلوها . ولكى يشترك - القارىء الكريم - معنا فى نظر المسألة العجيبة ، الخطيرة . وبعد ذكرنا اياها نأتى بالرواية الراجحة ، التى أقرها العلماء قدماء ومحدثون - ونضعها فى المقابل لهذه الرواية ، حتى يكون القارىء على بصيرة بالروايتين ، وأيهما يقبلها العقل والمنطق وتتوافق مع كتاب الله وآياته وأيضا اذا تعرضنا لكتب التفاسير نشير الى أى الروايتين أرجح لديها ، وبعد سرد الروايتين سنثبت آراء المفسرين فى تفسير الآية ، وموقفهم من هاتين الروايتين ، ثم بعد ذلك لنا تعليق هام على هذه الرواية التى تشبث بها الملحدون قديما وحديثا ، رادين كيدهم الى نحورهم - باذن الله تعالى - وهذه هى الرواية نبعها من تاريخ الطبرى والتى نقلها فى تفسيرة أيضا ثم نقلها المفسرون فى كتبهم بعد ذلك وقلدوه فى روايته ، دون علم منهم أن ابن جرير وقع فى هوة الضلالة من حيث لا يشعر ورواية ابن جرير هى :

حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد كان النبى ﷺ قد زوج زيد بن حارثه زينب بنت جحش ابنة عمته ، فخرج رسول الله ﷺ يوما يريده ، وعلى الباب ستر من شعر ، فرفعت الريح الستر فانكشفت وهى فى حجرتها حاسرة ، فوقع أعجابها فى قلب النبى ﷺ ، فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر ، قال فجاء فقال : يا رسول الله انى أريد أفارق صاحبتى ، فقال مالك ! أرابك منها شىء ! فقال : لا والله يا رسول الله مارابنى منها شىء ، ولا رأيت الا خيرا فقال رسول الله ﷺ أمسك عليك زوجك واتق الله ، فذلك قول الله عز وجل : (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه

أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه، وتخفى فى نفسك ان فارقها تزوجها ٠)(١)

وبعد أن أوردنا هذه الرواية الواهيه المختلقة ـ للعلم بها فقط ندحض الباطل بالحق ، ونذكر الرواية الصحيحة التى توافق نظم القران وتسايره والتى أرتضاها العلماء وفسروا الآية على مقتضاها وهى ـ كما رواها السيوطى فى الدر المنثور قال :

أخرج الحكيم الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل عن على بن زيد بن جدعان قال : قال لى على بن الحسين ما يقول الحسن رضى الله عنه ـ فى قوله : (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه فقلت له فقال لا ولكن الله أعلن نبيه ﷺ ان زينب رضى الله عنها ستكون من أزواجه قبل ان يتزوجها فلما أتاه زيد يشكو اليه قال (اتق الله وأمسك عليك زوجك) فقال : قد أخبرتك انى مزوجكها ٠ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ٠

وبعد سرد هاتين الروايتين ، آن لنا الأوان أن نطرق أبواب كتب التفاسير حتى نقف على حقيقة الروايتين وما رجحه العلماء منهما ، آخذين الحق لوجه الحق دافعين الباطل الى أبعد الحدود ٠

والراسخون فى العلم ٠٠ يقولون :

وفى عجاله سريعة ، نتعرف فيها على آراء هؤلاء العلماء الراسخين فى علمهم نسترشد آرائهم ، واقفون على الرشاد من الغى في هذا الموضوع مثبتون آراء الأقدمين أولا ثم نعقب ذلك بآراء المحدثين ٠

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٥٦٣ وذكر هناك رواية أخرى شبيهة بها وذكر فيها ان زينب عندما أعجبت محمدا ولى وهو يهمهم بشىء لا يكاد يفهم ، الا انه اعلن : سبحان الله العظيم ! وسبحان الله مقلب القلوب) وهذه الرواية لم يوردها فى تفسيره وهى التى رواها أبو السعود فى تفسيره جـ ٤ ص ٤١٨ : ٤١٩ ت تحقيق عبد القادر أحمد عطا طبعة دار الفكر بيروت فيحذرها القارىء ويتنبه الى بطلانها ٠ وكذلك الثعلبى والنسفى فى تفسيريهما ٠

اولا : رأى المفسرين القدامى فى الروايتين

اسم التفسير	موضع الرواية	ما ذهب اليه المفسر ورجحه
تفسير الكشاف للزمخشرى (ت : ٥٣٨)	جـ ٣ ص ٢٦٢ ، ٦٣	نقل الزمخشرى هذه الرواية الضعيفة وقلد ابن جرير الطبرى فيها . الا أنه تأول معنى هذه الروايةودافع عن رسول الله ﷺ ، وذكر أن نزول الرجل عن أمرأته لصديقه لم يكن أمرا مستنكرا عنه العرب وضرب مثلا بالمهاجرين والانصار . فان المهاجرين واستهم الانصار بكل شىء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن أحدهما وانكحها المهاجر ، ثم بين ان القصد وراء هذا الزواج هو المصلحة العامة فى قوله لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرآ ــ وذكر الزمخشرى فى هذا الموضوع كلاما مطولا منه المقبول ومنه المردود ، وقد نقلت عنه هذا الرأى الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابها « نساء النبى » وافصحت عن قصد الزمخشرى .
أحكام القرآن ابن العربى (ت : ٥٤٣)	جـ ٣ ١٥٤٣/١٥٤٥	أما عن ابن العربى فانه رفض كل هذه الروايات الباطلة المختلفة وأقام الحجة الدامغة عليها فيقول : فأما قولهم ان النبى ﷺ رآها فوقعت فى قلبه باطل . فانه كان معها فى كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذ حجاب ، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها فى كل ساعة ولا تقع فى قلبه الا اذا كان لها زوج قد وهبته نفسها . فكيف يتجدد له هوى لم يكن ، حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة الى آخر ما ذكره ... وقد تعقب رحمه الله ــ تلك الروايات الاسرائيلية وبين بطلانها وأثبت انها كلها ساقطة الاسانيد .

اسم التفسير	موضع الرواية	ما ذهب اليه المفسر ورجحه
مفاتيح الغيب الفخر الرازى (ت : ٦٠٦)	ج ٢٢ ص ٢١٠٣	أما عن الفخر الرازى رحمه الله - فانه لم يتعرض لهذه الرواية الآثمـه بالمرة ، وانما فسر الآية على مقتضى رواية على بن الحسين ومعناها ولم يلتفت الى هذه الرواية الساقطة غير مقر بها .
الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (ت : ٦٧١)	ج ٢٢ ص ٥٢٧٣	فسر القرطبى - رحمه الله - الآية تفسيرا حسنا ، يتوافق مع عصمته ﷺ مستشفا ذلك من رواية على بن الحسين ثم أورد روايتـه نصا وعقب عليها فقـال (وقـال علماؤنا رحمة الله عليهم وهذا القول أحسن ما قيل فى تأويل هذه الآية وهو الذى عليه أهـل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسـخين كالزهرى والقاضى بكر بن العلاء القشيرى والقاضى أبى بكر بن العربى وغيرهم - ثم يقول فأما ما روى أن النبى ﷺ هوى زينب امرأة زيد ، وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق - فهذا انما يصدر عن جاهل بعصمة النبى ﷺ عن مثـل هـذا ، أو مستخف بحرمته .
لباب التأويل في معانى التنزيل للخازن (ت : ٧٤١)	ج ٣ ص ٣٩٩	والخازن رحمه الله كسابقيه ، عارض هذه الرواية الضعيفة وطعن فيها بالضعف وعدم الصـحة ، وحـذر منها فيقول : فان قلت ما ذكـروه فى تفسير هـذه الآية وسـبب نزولها . من وقوع محبتها فى قلب النبى ﷺ عندما رآهـا وارادته طلاق زيد لها . فيه أعظم الحرج ، وما لا يليق بمنصبه ﷺ من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحيـاة الدنيا . قلت هذا أقدام عظيم من قائله وقلة معرفته بحق النبى ﷺ وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهى بنت عمتـه . ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجبن منه ﷺ وهو زوجهـا لزيد ، فلا شـك فى

اسم التفسير	موضع الرواية	ما ذهب اليه المفسر ورجحه
		تنزيه النبى ﷺ عن أن يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقة أياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما فى هذا الباب ماروى عن سفيان بن عيينه عن على بن زيد بن جدعان قال سألنى زين العابدين على بن الحسين قال : « ... » وأورد الرواية بتمامها ورجحها .
البحر المحيط لابى حيان الاندلسى (ت : ٧٤٩)	ج ٧ ص ٢٣٤	أعتمد أبو حيان فى تفسيره لقوله تعالى : (واذ تقول للذى) الآية على الرواية الصحيحة وهى رواية على بن الحسين ثم قال مرجحا هذه الرواية (وهذا المروى عن على ابن الحسين هو الذى عليه أهل التحقيق من المفسرين - الى ان يقول بعض المفسرين فى الآية كلام يقتضى النقص من منصب النبوة ضربنا عنه صفحا) وسار على نهج أبى حيان تلميذه النحوى تاج الدين الحنفي فى تفسيره لهذه الآية . (١)
تفسير القرآن كريم لابن كثير (ت : ٧٧٤)	ج ٣ ص ٤٩١	أما عن ابن كثير رحمه الله فلم يذكر هذه الرواية الكليلة فى تفسيره ولكن نبه اليها وحذر منها فيقول : ذكر أبو حاتم وابن جرير هاهنا أثارا عن بعض السلف - رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها ثم أورد الرواية الصحيحة ذات الخبر الصادق فى هذا الباب وهى رواية على بن الحسين ورجحها وقال (وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك .

(١) أنظر تفسيره بهامش أبى حيان ج ٧ / ص ٢٣٤ .

ثانيا : رأى المفسرين المحدثين وموقفهم ازاء الروايتين

ألهم الله سبحانه وتعالى ـ رجالا من هذه الأمة ـ الحق والصواب ومعرفة الطيب من الخبيث ، وقيضهم لحماية كتابه المحفوظ . (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)(١) ، والدفاع عن نبيه المعصوم ، فتنبهوا الى مواطن هذه الروايات المدسوسة ، فحذروها وحذروا منها ، واليك أيها القارىء ثبت بأقوالهم الشافية الكافية .

اسم التفسير	موضع الرواية	ما ذهب اليه المفسر ورجحه
روح المعانى للالوسى (ت ١٢٧٠ هـ)	ج ٢٢ ص ٢٤ ، ٢٥	فسر الآية ـ رحمة الله ـ بما يتوافق مع عصمة النبى ﷺ وكريم خلقه ثم قال : والاسلم ماذكرنا عن زين العابدين رضى الله تعالى عنه .. والجمهور ، وحاصل العتاب لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه مبدى ما أخفاه عليه الصلاة والسلام ولم يظهر غير تزويجها منه فقال سبحانه : (زوجناكها) فلو كان المضمر محبتها وأرادة طلاقهـا ونحو ذلك لأظهره جل وعلا ، وللقصاص فى هذه القصة كلام لا ينبغى ان ـ يجعـل فى حيز القبول ثم تعقب ـ رحمة الله ـ هذه الروايات المزيفة وطعن فيها ، وحذر الناس منها ومن أمثالها التى لا تروج الا على الغافلين الضائين .
فى ظلال القرآن سيد قطب (ت ١٣٦٧ هـ)	ج ٥ ص ٢٨٦٩	(أما عن صاحب الظـلال ـ قـدس الله سره ـ فقد فسر الآية بما يتوافق مع آيـات القرآن وآداب النبوة . التمس هذا التفسير لمعنى رواية على بن الحسين ، ثم طعن فى الروايات الأخرى التى يتشبث بها المرجفون فقال وفى هذا ما يهدم كل الروايات التى رويت عن هذا الحادث ، والتى تشبث بهـا أعداء الاسلام قديما وحديثا وصاغوا حولها الأساطير والمفتريات !) .

(١) (الحجر : ٩) .

اسم التفسير	التفسير الواضح	ما ذهب اليه المفسر ورجحه
د. محمد محمود حجـــازى (ت ١٩٧٢ م)	جـ ٢٢ المجلد الثالث ص ١٠ : ١٣	سار الدكتور حجازى فى تفسيره للآيـة على نهج المفسرين المحدثين ، وفسر الآية بما يتوافق مع عفة النبى وطهارته وأورد رواية على بن الحسين ، ثم تتبع روايات القصاص وأنكرهـا أنكارا تاما ، وأقـام الحجـة عـلى مردديها أصحاب الاشاعات والاراجيف ، ثم قال لا يا قوم : تعقلوا ما تقولون وتفهموا الحـق لوجه الحق تدركـــوه بلا تلبيس ولا تشويش .
لتفسير الوسيط لجنة من العلماء باشراف مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر	المجلد الثالث ص ١٨٩، ١٩٠	فسر الآية بما يليق بمكانه النبى ونهج عليه سابقوه فى أقوالهم المرضـــية وأورد رواية عـلى بن الحســين ، ثم أورد روايات القصاص وفندها فيقول وهـذا الكلام من وضع الزنادقة ولا يليق الصاقه بالنبى ﷺ ولو كان يريد ان يتزوجها أو كان يحبهـــا لكان قد خطبها بكرا وكان ذلك أولى به ﷺ من أن يتزوجها ثيبا بعد طلاق عتيقة ومتبناه لها ، ولكنها مشيئة الله لكى يقطع دابر عادة التبنى التى كانت فاشية فى العرب .
صفوة التفاسير حمـد عـلى الصـابونى	المجلد الثانى جـ ٢٢ ص ٤٢٦:٤٢٨	وأخيراً فان الأستاذ الصابونى ـ حفظـه الله ـ فسر الآية على الوجه الأكمـل والأتم مثبتا فى تفسيره آراء العلماء الراسخين ، ثم طعن فى هامش تفسيره فى هذه الرواية الساقطة وكل الروايات لتى على شاكلتها فيقول : يتشبث بعض أعـداء الاســلام بروايات ضعيفة واهيه ، لازمام لها ولاخطام للطعن فى الرسول الكريم والنيل من مقامه العظيـم ثم أورد الرواية وأقام الحجة عـلى بطلانها ثم أورد بعد ذلك رأى أبى بكر بن العربى ـ رحمـة الله ـ ثم قـال بعد ذلك وغاية ما فى الأمر ـ كما نقل فى البحر ـ

ما ذهب اليه المفسر ورجحه	موضع الرواية	اسم التفسير
عن علي بن الحسين أنه قال : — وأورد الرواية الصحيحة ، ثم عقب بالكلام على هذه الروايات الاسرائيلية بتوسع فى كتابه تفسير آيات الاحكام جـ ٢ من ٣٣٣ الى ٣٣٥ وقال هناك : (حقا أنهم قوم لا يعقلون ، فهم يهرفون بما لا يعرفون ، ويقولون على الرسول كذبا وزورا ، وبهتانا وضلالا ، ثم أنظر اليهم وهم يقولون : ان الذى أخفاه محمد هو حبه لزينب ولهذا عوتب ، فهل يعقل مثل هذا البهتان ؟ وهل يعاتب الشخص لانه لم يجاهر بحبه لامرأة جاره ؟ « سبحانك هذا بهتان عظيم » ٠		

وبعد أن سردنا أقوال العلماء المفسرين ، ورأيهم فى الرواية المختلفة ، نرى ان الرواية لا أصل لها ولا أساس ، وأنها فرية ملفقة ، ولم تثبت صحتها لدى الراسخين من أهل العلم ، الذين قتلوا الرواية قتلا ٠

ويجدر بنا أن نضع ثبتا هنا من أقوال العلماء والمفكرين المحدثين ، الذين تعرضوا لذكر هذه الرواية ، وبذلك نرى كيف وصل الضلال بأعداء الله ورسوله الى ان يختلقوا هذا البهتان العظيم والقصص الخيالية ، التى يملؤها الغرام والوله ، وحتى نرد زعم الزاعمين ، ونهدم هذه الرواية هدما لابناء لها بعده ، نستمع الى الدكتورة عائشة عبد الرحمن فتقول : (فلندع المبشرين والمستشرقين ولننظر فى هذه الرواية الاسلامية من القرون الأولى للهجرة ٠

أقدم من رواها على هذا الوجه فيما أعلم — الاخبارى النسابة ابن حبيب (توفى سنة ٢٤٥ هـ) ولم يذكر فيها أى سند له ٠ بعده رواها الامام الطبرى (ت — ٣١٠ هـ) فى تاريخه ، من مراسيل التابعين ، باسنادين رجالهما معروفون ٠

لكن هذه الرواية لم تأت فى مصادر أمهات ، لكتب الصحاح الستة ،

وسيرة ابن اسحاق ، وطبقات ابن سعد ، والاستيعاب ، والاصابة ، وعيون الأثر)(١) .

أما عن رأى الدكتور محمد حسين هيكل فيقول : (ويكفى لهدم كل هذه القصة التى قرأت عنها من أساسها أن زينب بنت جحش هذه هى ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وأنها ربيت بعينه وعنايته ، وأنها كانت لذلك بمقام البنت أو الأخت الصغرى وأنه كان يعرفها ويعرف أهى ذات مفاتن أم ليست كذلك قبل أن تتزوج زيدا ؟ وأنه شهدها فى نموها تحبو من الطفولة الى الصبا والى الشباب وأنه هو الذى خطبها على زيد مولاه . اذا عرفت ذلك ، تداعت أمام نظرك كل تلك الخيالات والاقاصيص من أنه مر ببيت زيد ولم يكن فيه ، فرأى زينب فبهره حسنها وقال : سبحان مقلب القلوب ! أو أنه لما فتح باب زيد عبث الهواء بالستار الذى على غرفة زينب فالقاها فى قميصها ممددة وكأنها « مدام ركاميه » فأنقلب قلبه فجأه ونسى سودة وعائشه وحفصة وزينب بنت خزيمه وأم سلمة ونسى كذلك ذكر خديجة — ثم يقول — ولو أن شيئا من حبها علق بقلبه لخطبها الى أهلها على نفسه بدل أن يخطبها على زيد ، وهذه الصلة بين زينب وبين محمد ، وهذا التصوير الذى صورناها به ، لا يدعان بعدهما لتلك القصة الخيالية التى يروون أى أساس من الحق أو أى حظ فى البقاء)(٢) .

أما الشيخ محمد أبو زهرة فأنه ندد بالذين يروجون هذه الرواية الساقطة وأمثالها ، فيقول : (ولم يكن زواجه عليه السلام شهوة أو رغبة الا ان نكون استجابة لأمر الله تعالى ، وكذبت الاسرائيليات التى أدخلت على كبار المؤرخين كابن جرير الطبرى الذى تولى أكبر اذاعة هذا الكذب الاسرائيلى والنصرانى وكذب أولئك الكتاب الأوربيين الذين راحوا يروجونها آثمين ، وان كانوا لايعرفون الاثم ، وكذب الذين يقلدونهم تقليدا أعمى ويحذون حذوهم كحذو النعل بالنعل)(٣) .

---

(١) نساء النبى د : عائشة عبد الرحمن ص ١٦٣ ط بيروت ، وهذا الكلام لم أجده فى طبعة دار المعارف بمصر .

(٢) حياة محمد — محمد حسين هيكل ص ٣٢٣ .

(٣) خاتم النبين — محمد أبو زهرة ج ٢ ص ٣٣٩ .

وأخيرا يقول صاحب كتاب « الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير » : (وقد نسج المستشرقون والمبشرون ، أعداء الدين ، من تلك الروايات المختلقه الواهية ، ثوبا من الذب والخيال ، وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبى الطاهر ، كما يصور الشباب الطائش احدى غادات المسرح ، وطعنوا فى غير مطعن ، فالروايات ليس لها أساس من الصحة فبناؤهم على غير أساس)(١) ·

وبهذا الحشد القيم من أقوال المفسرين الراسخين ، وأولى الفكر من العلماء الافذاذ يتضح لنا أن هذه الرواية الآثمة من وضع الزنادقة والملحدين ، الذين استمر كيدهم للاسلام طويلا · ولكن هيهات هيهات لما يفترون ولما يأفكون ، فان القرآن حقيقة صادقة ، ينطق بالحق الوضاح (**ولدينا كتاب ينطق بالحق**)(٢) فلا نقف أمامه هذه المفتريات ، لأنه الذكر الذى تولى الله حفظه (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)(٣) وكما يقول الدكتور البدراوى زهران : (فالاسلام دين متين أقيم على دعائم لا يستطيع أحد أن ينال منها لانها الحق وجاءت من لدن الحق فهو يزداد قوة بأقوال أعدائه عبر العصور)(٤) ·

ومن هذا المنطلق فاننا نقول لأصحاب الافك والبهتان ، أصنعوا ما شئتم ، من أقاصيصكم الخرافية ، وأساطيركم الخيالية ، فان الباطل مهما ارتفعت به الأصوات ، فانه لا يثبت أمام الحق ، وأينما ذكر الحق فلا مكان للباطل (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق**)(٤) فليعلم أعداء الله جميعا بأن أقاويلهم وأباطيلهم ، مهما ارتفعت أعمدتها وعلا بنيانها ، فان قذائف الحق تبيدها عن آخرها ·

وقد آن لنا الأوان أن نشرع فى ذكر تعقيبنا على هذه الروايات الباطلة حتى يزداد الباطل سخطا وسحقا ·

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير - دكتور محمد بن محمد أبو شهبه ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ ·
(٢) (المؤمنون : ٦٢) ·
(٣) (الحجر : ٩) ·
(٤) دحض مفتريات ضد أعجاز القرآن ولفته أختلقها د · لويس عوض ص ١٤ ·
(٥) (الأنبياء : ١٨) ·

تعقيـــب

فى الحقيقة ان ما ذكرناه عن العلماء ، لايدع مجالا ولا مكانا لافتراء المفترين · بل ان كلامهم أوفى على الغاية والقصد ، ولكن لنا تعقيب بسيط ، تكتمل به الفائدة ويتم النفع به ، وهذا التعقيب يتمثل فى وجوه سته ·

الوجه الأول : ذكر العلماء ان الرسول ﷺ هو الذى زوج زينب لزيد ، فضلا عن أنها ربيت بعينه وعنايته ، وشهدها فى نموها من الطفولة الى الصبا الى الشباب ، وهذا الكلام حسن وثابت ولكن نضيف فنقول : ان الرسول ﷺ لم يغب عن السيدة زينب أبدا · حتى بعد زواجها من زيد كان يعتاد زيارتها ليصل رحمه ، وكما نعلم ان زينب هى بنت عمته (أميمة بنت عبد المطلب) ورسول الله لم يقطع رحما أبدا ، حتى أن السيدة خديجة رضى الله عنها - فى بداية نزول الوحى عليه قالت له : (وأنك لتصل الرحم) وكيف يقطع رسول الله بنت عمته وهو الذى كان يوصى بصلة الرحم · فيقول : (الصلة والصدقة تعمران الديار ، وتزيدان فى الأعمار) ويقول ﷺ (الرحم معلقه بعرش الرحمن ، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله)(١) · ويتوعد الحق · سبحانه - من يقطع رحمه فيقول (**فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم**)(٢)

وعلى هذا الأساس نقول : ان المعصوم ﷺ كان يعتاد زيارة زينب وهى عند زيد ، وكان يجلس معها وتجلس معه ، وكان يحدثها وتحدثه ، وكان يراها وينظر اليها ، اذ أنه لم يكن هناك حجاب وقتئذ ·

وعلى مقتضى هذه الرواية التى قالت : ان زينب دعت رسول الله بالدخول ولم يدخل ، يتضح لنا بطلانها ، وذلك لان الرسول كان يدخل عندها ، حتى بدون دعوة منها ، لانها من أرحامه ، وحاشا لرسول الله ان يقطع رحمه وهذه واحده ·

وذكرت الرواية أيضا ان الرسول نظر اليها فأعجبته · نقول : وهل الرسول لم ينظر اليها فى كل زيارة يزورها فيها ، أم ان الرسول فى كل زيارة كان يلبس نظاره سوداء ، أم كان يعصب عينيه !!؟ ··· استحوا

---

(١) رياض الصالحين - للنووى · عن عائشة - رضى الله عنها ·
(٢) (محمـــد : ٢٢) ·

ايها الزاعمون بعـد ذلك ان كان عندكم حيـاء وان لم تستحوا فاصنعوا ما شئتم . وهذه الثانية !!!

الوجه الثاني : ان الرسول ﷺ لو نظر الى السيدة زينب طيلة حياته فأنه لم يفتن بها ولن ينال حسنها من قلبه نصيبا لان الرسول معصوم من ذلك ، أو ما ترى الى يوسف عليه السلام عندما أنفردت به زليخاء ، وغلقت الأبواب عليه وقالت له (هيت لك) فلن يفتن بها يوسف ، بالرغم من أنها كانت معه ، وتبرز له مفاتنها ، ولكنه قال (معاذ الله) فالأنبياء معصمون ، ولا عصمه لغيرهم .

الوجه الثالث : ذكرت الروايات الباطلة (أن زينب قالت لزيد عندما سالها : ألم يقل رسول الله شيئا ؟ فقالت له : ولى وهو يهمهم بشىء لايكاد يفهم نقول ان هذا الكلام باطل ، لان الرسول ماهمهم طيلة حياته ، لا مع نسائه ولا مع البشر ، فهو صاحب اللسان الفصيح والكلام الواضح بل انه أفصح من نطق بالضاد ، ولسانه لا يحوك الوشى ويقول (أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش) فكيف وقعت منه الهمهمه ولله در القائل ، كاشفا عن فصاحه ـ رسول الله ﷺ

أما البيان فأنت فى مضماره ... علم وفـوق السابقين لـواء
ينساب عذب القول منك كأنما ... ينساب منك النور والايحاء
فاذا نطقت فأنت أبلغ ناطق ... يعنو لـه الكتـاب والأدبـاء
واذا خطبت ملات أسماع الورى ... أدبا يتيه لحسـنه الخطبـاء
والله خصك بالكرامة كلهـا ... وحباك مجدا ما عليـه عـلاء
قد سجل القرآن أنك خير من ... حملت به بين الورى حـواء

الوجه الرابع : ذكرت الرواية ان رسـول الله عندما نظر الى زينب فأعجبته ، ووقع حبها في قلبه فكرهت الى زيد ، نقـول : ان هـذا الكلام باطل ، لان الكراهية التى نشئت بينهما نشأت عن أسباب اجتماعية بيتيه ، كما صرحت بذلك الروايات الصادقة ، منها تطاول زينب على زيد بلسانها ، كما قال عنها الرسول لزيد قبل ان يخطبها (يا زيد أنها امرأة لسنه) ومنها تفاخرها عليه بنسبها وشرفها ، ومنها عصيان الأمر وعدم الطاعه . هـذه الأسباب كلها هى التى أنشأت الكراهة فى قلب زيـد تجاهها ، ولم يطـق

العشره معها ، بيد ان الكراهية بينهما قديمه . فمنذ خطبها زيد وهى كارهه لهـذا الزواج ، وبالطبع لما علم زيد منيا ذلك كرهها هو الآخـر حفاظا على كرامته وعفته .

الوجه الخامس : لو أن رسول الله أحب زينب حقا على مقتضى ماذكرته هذه الروايات الخبيثة ، فما كان على محمد ﷺ الا ان يخلو بزيد وينفرد به في مكان ما ويأمره بطلاقها وينهاه بأن يفشى هذا السر لأحـد ولما أشـعره بتقوى الله وقد قال له (أمسك عليك زوجك وأتق الله) وزيد كما نعلم ـ كان مولاه وعبده ، فلا يستطيع ان يعصى له أمرا وبذلك ينهى رسول الله المسأله .

الوجه السادس : التعبير بلفظ الماضى فى قـوله (قضى)ولم يعبر القرآن بغيرها . والتعبير بلفظ (الوطر) لا بلفظ النكاح ، يدلنا ذلك عـلى ان المولى سبحانه ـ يريد ان يعلم نبيه أن زيدا قضى حاجته منها ، ولم يعد له ارب فيها منذ ان تزوجها فما يكون لك بعد ذلك أن تأمره بامساكها ، لان حاجتهما قد أنتهت وقضيت ، ونحن نريد تشريعا جديدا ، فيجب عليك ان تستعجله وتحفزه على طلاقها ، ولذلك قال الله له (فلما قضى) وجاء فى لسان العرب (وقضى فى اللغة على ضروب كلها ترجع الى معنى انقطاع الشىء وتمامه ، ومنه قوله تعالى (**ثم قضى أجلا**) معنـاه ثم حتم بذلك وأتمه)(١) والوطر كـل حاجه كان لصاحبها فيها همـه ، فاذا بلغها البالغ قيل قضى وطره(٢) ولهذا نعلم لماذا عبر الله بكلمتى (قضى ، وطر) ليعلم الله نبيه بأن زيداً وزينب قد قضيا حاجتهما ، وكلاهما ليس له حاجه الى الآخر ، وبهاتين اللفظتين اللتين أوردتهما الآية ، يقضيان على كـل الروايات الملفقه الكاذبة التى أختلقها أعـداء الاسـلام قديما ، وتشبث بهـا المستشرقون ومبشرو المسيحية حديثا .

وبهذا أصبحت كل الروايات الباطلة المزعومة فى طى العدم ، بعد ان امتناها وواريناها الثرى فلا أكذوبه لكذاب ولا دعوى لمدعى .
وصـدق الله :

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . (٣)

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ ٥ ماده قضى .
(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٦ ماده وطر .
(٣) (ق : ٣٧) .

التفسير الصحيح للآية .. وحقيقة العتاب فيها

نأتي بعد ذلك الى تفسير هذه الآية المتعلقة بقصة زواج الرسول من زينب . قصدنا في ذلك هو تصحيح مغالطات أصحاب العناد واللجاج . مظهرين الحق لوجه الحق ، وليعلم الذكي منهم والعاقل ، انه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وان حجته ليست ببينة ، ولا حظ لها من القوة ، وانما هي كما قيل :

حجج تهافت كالزجاج تخالها   حقا ، وكل كاسر مكسور

ونورد تفسير هذه الآية المتعلقة بهذه القصة من عبارة التفسير الكبير وهي هكذا (واذ تقول للذى أنعم الله عليه) وهو زيد أنعم الله عليه بالاسلام (وأنعمت عليه) بالتحرير والاعتاق (أمسك عليك زوجك) هم زيد بطلاق زينب فقال له النبى ﷺ أمسك أى لا تطلقها (واتق الله) قيل فى الطلاق وقيل فى الشكوى من زينب فان زيدا قال فيها أنها تتكبر على بسبب النسب وعدم الكفاءة (وتخفى فى نفسك ما الله مبدية) من أنك تريد التزوج بزينب (وتخشى الناس) من أن يقولوا أخذ زوجة الغير أو الابن (والله أحق أن تخشاه) ليس اشارة الى ان النبى ﷺ خشى الناس ولم يخش الله بل المعنى الله أحق أن تخشاه وحده ولا تخشى أحدا معه . وأنت تخشاه وتخشى الناس أيضا ، فأجعل الخشية له وحده كما قال تعالى : (**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله**)(١) ثم قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) أى لما طلقها زيد وأنقضت عدتها وذلك لان الزوجة مادامت فى نكاح الزوج فهى تدفع حاجته وهو محتاج اليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن كذلك اذا كانت فى العدة له بها تعلق لامكان شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطره وأما اذا طلق وأنقضت عدتها أستغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فيقضى منها الوطر وهذا موافق لما فى الشرع لان التزوج بزوجة الغير أو بمعتدته لا يجوز فلهذا قال فلما قضى وكذلك قوله (لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرأ) أى اذا طلقوهن وأنقضت عدتهن وفيه اشارة الى أن التزويج من النبى ﷺ لم يكن لقضاء شهوة النبى عليه الصلاة والسلام بل لبيان الشريعة بفعله فان الشرع

---

(١) (الاحزاب : ٣٩) .

يستفاد من فعل النبي ﷺ (وكان أمر الله مفعولا) أى مقضيا ما قضاه كائن ثم بين ان تزوجه عليه السلام بها من أنه كان مبينا الشرع مشتمل على فائدة كان خاليا عن المفاسد)(١) وهذا التفسير الذى أورده فخر الدين هو التفسير الصحيح الموافق لآيات القرآن ولفظه ، وهو الحق والصواب ولا صواب غيره فيما ينسجه الغزليون الهالكون غير مبالين بعصمة النبى ﷺ وحرمته .

فحقيقة العتاب فى الآية ، ليس عن حب رخيص كتمه الرسـول فى نفسه ، انما هو عتاب لاجل شيء أخفاه الرسول فى نفسه والله أخبرنا بعدها فى نفس الآية ـ أنه مبديه ومظهره .

اذن فعليكم أيها المرجفون ان تبحثوا عن الشيء الذى أظهره الله وأبداه ، ما هو ! هل هو حب وهوى كما تزعمون !!؟ هل هو الاعجاب بجمالها والرغبة فيها !!؟ وأين هو ؟ وفى أى مكان موضعه ؟ لا شيء من هذا واقع فى كتاب الله ، ولم يبد الله شيئا من هذا القبيل . انما الشيء الذى أبداه هو ما أطلع عليه فى نفس نبيه ، وأظهره لنا قبل أن يظهره النبى أو يعلمه لأحد ، لان رب العالمين سبحانه هو الذى (**يعلم السر وأخفى**) (٢) أيضا (**ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**) (٣) . فالشيءالذى أبداه الله سبحانه هـو قـوله (زوجناكها) ولم يبد غيره لا من قريب ولا من بعيد ، والآيـة صريحة فى نطقها وبيانها ولو ان البارى سبحانه لم يعاتبـه على ذلك ، ما حـدث من الرسول زواج لزينب ، كما تقول الدكتوره عائشة : (وزواجه ﷺ من زينب بنت جحش ما كان ليتم لولا ان نزل به عتاب صريح من الله)(٣) وأما قوله سبحانه : (**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**) فهو كما واضح من تفسير الفخر الرازى ـ ليست الخشية هنـا خطيئة فان محمـدا ﷺ أكثر الناس خشية له سبحانه ـ وقد جـاء فى القرطبى (وأخـذتك خشية الناس ان يقولوا : تزوج امرأة أبنه ، والله أحق ان تخشاة ، وقال النحاس : قال بعض العلماء ليس هذا من النبى ﷺ خطيئة ، الا تـرى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار منه ـ وقد يكون الشيء ليس بخطيئة الا ان غـيره أحسن منه ،

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ـ الفخر الرازى ص ٢١٧ المجلد ١٢ .
(٢) (طـه : ٧) .
(٣) (غافر : ١٩) .
(٤) نساء النبى ـ عائشة عبد الرحمن ص ١٧ .

وأخفى ذلك فى نفسه خشية ان يفتن الناس)(١) وهذا الذى ذكره القرطبى هو المعمول به وقد أورده صاحب كتاب : محمد رسول الله فى القرآن الكريم فيقول (ولو كان الذى فعله رسول الله ﷺ من أمره بإمساكها يعد خطيئة لأمره الله تعالى بالتوبة والاستغفار منه ولكن لم يقع ذلك ، فليتق الله أولئك المتخرصون والجاهلون بحرمته وعصمته ﷺ ولان الله تعالى زوجها لنبيه ﷺ فقد دخل عليها ﷺ بغير اذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق ، وهذا من خصوصياته ﷺ التى لا يشاركه فيها أحد باجماع المسلمين)(٢) .

فليرجع أهل الضلالة بعد ذلك عن ضلالتهم ، ولينزعوا لباس التعصب الأسود الذى لبسوه ، حتى يفهموا آيات الرحمن كما أنزلت فما أجمل كتاب الله وهو ينطق بالحق المبين .

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ان القرآن دواء القلوب المريضة وتصحيح الافهام السقيمة ، واذا أعرض عنه الجاهل أشتد به المرض ، وأحاطت به القسوة ، وأصاب الاخلال لبه **(ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمى قال : رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى)(٣)** .



---

(١) الجامع لاحكام القرآن : القرطبى ص ٥٢٧٣ .

(٢) محمد رسول الله فى القرآن الكريم ـ حسن كامل الملطاوى ص ٣٦ .

(٣) (طه : ١٢٤ : ١٢٧) .

ولماذا زيد وزينب ؟

ربما خطر فى فكر سائل ان يقول : ولماذا أختار البارى سبحانه زيد بن حارثة وزينب بنت جحش ليقوما بهذه المهمة ويتمثل فى شخصهما التشريع الجديد ؟ ولماذا يزوج زيد من زينب الشريفة النسيبة ثم يعاقبه الله بالحرمان منها ؟ اليس هناك موالى غيره تقوم بهذه المهمة الآلهية ؟

نقول ان الله — تباركت حكمته ، وتعالى علمه كان ينظر الى زيد بن حارثة على أنه المؤمن الصابر المثابر ، شديد اليقين بالله ورسوله ، وهو أول من آمن من الموالى برسول الله ودعوته ، فضلا عن أنه آثر الحياة مع رسول الله وفضله على أبيه وعمه وأهله ، وكان الرسول يكن له حبا شديدا ، ولابنه كذلك ، حتى أطلق عليه الحب بن الحب ولكن عندما ننظر الى حرمان زيد من الأبوة الرقيقة المتمثلة فى محمد ﷺ ثم الحرمان من الزوجة الشريفة زينب ، نجد ان الله سبحانه أراد ان يعوض زيدا خيرا ويكافئه مكافأة لا تبلى ولا تنقطع بمرور القرون والأعوام ، جاعلا أسمه متخللا سطور القرآن الكريم ، محشورا بين كلماته المباركه وفى هذا شرف لا يدانية شرف ورفعة ما بعدها رفعة ، وفى هذا يقول الأمام أبو القاسم — السهيلى رضى الله عنه (كان يقال زيد بن محمد حتى نزل أدعوهم لابائهم) فقال أنا زيد بن حارثة وحرم عليه انا زيد بن محمد نزل أدعوهم لابائهم) فقال أنا زيد بن حارثة وحرم عليه انا زيد بن محمد فلما نزع هـذا الشرف وهـذا الفخر منه وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصية لم يكن يخص بها أحد من أصحاب النبى ﷺ وهو أنه سماه فى القرآن فقال تعالى **(فلما قضى زيد منها)** يعنى من زينب فذكره الله تعالى باسمه فى الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنا يتلى فى المحاريب ونوه به غاية التنوية فكان فى هذا تانيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ الا ترى الى قول أبى بن كعب حين قال له النبى ﷺ ان الله أمرنى ان أقرأ عليك سورة كذا فبكى وقال أذكرت هنالك وكان بكاؤه من الفرح حيث ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلدا لا يبلى يتلوه أهـل الدنيا اذا قرأوا القرآن وأهل الجنة كذلك أبدا لا يزال على ألسنة المؤمنين كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين اذ القرآن كلام الله القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد فى الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة يذكره فى تلاوتهم السفرة الكرام البررة وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين الا لنبى من الأنبياء ولزيد بن حارثة تعويضا من الله مما نزل منه وزاد فى الآية ان قال واذ تقول للذى

أنعم الله عليه أى بالايمان فدل على أنه من أهل الجنة علم ذلك قبل ان يموت وهذه فضيلة أخرى رضى الله عنه)(١) ٠

وهذا هو جزاء زيد الذى كافئه الله به فما أجله من جزاء !! أما من ناحية رسول الله ﷺ فان زيداً له عنده منزلة خاصة وكان يؤثره على صحابته وأهله ، جاء فى السيره لما فرض عمر بن الخطاب للناس فى الديوان فرض لاسامة فى خمسة آلاف ، وأعطى أبنه عبد الله بن عمر فى أربعة آلاف٠ فقيل له فى ذلك فقال انه كان أحب الى رسول الله ﷺ منك وأبوه كان أحب الى رسول الله من أبيك ٠ وقال ﷺ لما استشهد زيد ابن حارثة فى غزوة (مؤتة) : لقد جاهد زيد فى الله حق جهاده وقد لقى الله اليوم ولا بأس عليه ، ولكن ابنة زيد وجدته بعد ذلك يبكى على جثة أبيها فقالت : ماذا أرى ؟

فقال ﷺ والدمع فى عينية (صديقا يبكى صديقه) ويعلق الكاتب الانجليزى (توماس كاريل) على هذه القصة قائلا : (مثل هذه الأقوال وتلك الأفعال ترينا فى محمد أخا الانسانية الرحيم أخانا جميعا الرؤوف الشفيق ، وابن أمنا الأولى وأبينا الأول ٠

...

أما عن السيدة زينب — رضى الله عنها — فان الله سبحانه منحها مثل هذا الجزاء ، وكافاها أجمل المكافاة حيث جعل اسمها مشارا اليه فى القرآن :) فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) فالضميران فى منها وزوجناكها يعودان على زينب بنت جحش رضى الله عنها ، وقد جعل القرآن أسمها مبهما لحكمة عاليه هى بنت جحش رضى الله عنها ، وقد جعل القرآن أسمها مبهما لحكمة عليه هى ما أوضح عنها الامام السيوطى رحمة الله حيث قال : للابهام فى القرآن أسباب منها ان يتعين لاشتهاره لقوله (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) ولم يقل حواء لانه ليس له غيرها)(٢) فالقرآن فى هذه الآية لم يصرح باسم حواء لمعرفة الناس أنها زوج آدم عليه السلام ، ولم يصرح باسم زينب كذلك لمعرفة الناس أنها زوج زيد رضى الله عنه ، فهذا هو جزاء زينب ، وهذه مكافأتها ، فضلا عن أنها دخلت فى أحضان بيت النبوه وأصبحت أما من أمهات المؤمنين ٠

فرضى الله عنها وعن أمهات المؤمنين جميعا ، ورضى الله عن زيد بن حارثة بعد ذلك الذى نال الشرف الرفيع من الله سبحانه ٠

---

(١) الفتوحات الآلهية جـ ٣ ص ٤٣٩ ٠

(٢) مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن — جلال الدين السيوطى هامش الفتوحات الآلهية ٠

وقفـه مع حديث .. أسيىء فهمه وروايته

يتشبث المستشرقون بوجه عام ، والمستشرق « جو ستاف لوبون » بوجه خاص بحديث « حبب الى من دنياكم ثلاث .... » فهـذا المستشرق الملعـون « جو ستاف لوبون » يقول بكل تبجح ووقاحه ، وتطاول على نبى الله وصفوته من خلقه . فى كتابه المشئوم « حضارة العرب » ما نقله الشيخ عبد الحميـد كشك (١) بالحرف الواحد : « ولم يخف محمد حبه للنساء فقد قال : حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة » ولم يبال (محمد) لسن المرأة التى يتزوجها ، فتزوج عائشه وهى بنت عشر سنين وتزوج ميمونه وهى فى الحادية والخمسين(٢) . وأطلق محمد العنان لهذا الحب حتى أنه رأى اتفاقا(٣) زوجة ابنه بالتبنى وهى عارية فوقع فى قلبه شىء منها فسرحها بعلها ليتزوجها محمد .... الخ »

وبادىء ذى بدء . نضع تصحيحا لرواية الحديث هذا .. الذى أصبح نقطة الارتكاز عند علماء الغرب فى هذه القضية ، حتى كأن رسول الله ﷺ لم ينطق الا به وحده ... !!

فالحديث بهذه الرواية « حبب الى من دنياكم ثلاث ...»لم يرد فى كتب الصحاح السته المعتمدة . انما رواية الحديث التى جاءت هى : « حبب الى الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وهذه الرواية هى التى رواها

---

(١) فى كتابه الفتاوى جـ ٤ ص ١٠٩ .

(٢) وهذا خطأ وقع فيه هذا المستشرق ، فان ميمونة تزوجها النبى وهى تبلغ من العمر السادسة والعشرين ، وتوفيت فى سنة احدى وخمسين هجرية عن عمر يناهز السبعين عاما ، وهذا هو المتفق عليه بين المؤرخين وكتاب السـيرة قديمـا وحديثـا . وفى هـذا أكبر دليـل على أن هـؤلاء المستشرقون ، لم يدرسوا من السيرة الا قشورا غثه لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ثم يحاولون الطعن فى غير مطعن .

(٣) لم يتفق على ذلك الا المنافقين ومن يهمهم الكيـد والـدس لنبى الاسلام ، أما المفسرون والعلماء الراسخون (كما مر بنا من قبل) قد نبذوا كل هذه الاباطيل وفندوا تلك الروايات الساقطة بما لا يدع مجالا لشبهة أو ريبه ، عدا قله من المفسرين والمؤرخين وقعوا فى هوه الضلالة دون قصد وبحسن نية نقلوا هذه الروايات الساقطة المختلقة . أما أن يصرح الكاتب بلفظه «إتفاقا» فهذا تضليل علمي ودهاء ماكر، ومراوغة خبيثة.

الطبراني في الكبير ، والنسائي في سننه ، عن أنس مرفوعا بهذا اللفظ والحاكم في مستدركه ، بدون لفظ « جعلت » ٠

ويقول العالم المدقق عبد الرحمن بن الديبع الشيباني « وأما ما أشتهر في هذا الحديث من زيادة « ثلاث » فقال شيخنا : لم أقف عليها ، الا في موضعين من الأحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف للزمخشري ، وما رأيها في شيء من طرق هذا الحديث بعد مزيد الفتش ٠ وبذلك صرح الزركشي فقال : انه لم يرد فيه لفظ « ثلاث » قال : وزيادته محيله للمعنى فان الصلاة ليست من الدنيا » (١) ٠

بيد ان خصوم الاسلام اللادينيون ، لو عندهم أدنى احاطة والمام بعلوم العربية وخاصة « علم النحو » لفهموا تركيب الحديث ، وما حملوه على معان أخرى صاغوا منها القصص الغرامية والأساطير الخرافية ٠

فالرسول الكريم ﷺ يقول :«حُبِّب» ببناء الفعل للمجهول ، كما يسميه علماء النحو « المبنى لما لم يسم فاعله » وعلى هذا فالرسول ليس فاعلا لهذا الحب ٠ ولو أنه فاعل له لقال « أحببت » ولكن الله سبحانه - هو الذى حبب اليه هذه الأشياء ٠ ويؤكد الشيخ الشعراوى هذا المعنى فيقول : « حبب الى يعني ما أحببتش حتى ينصرف الأمر الى غريزته ولكن حبب الى كأنه أمر تكليفي هابط عليه ممن جعل الحب في قلبه »(٢) ٠

---

(١) راجع كتابه « تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ص ٦٤ ط صبيح ٠

(٢) كتاب « لبيك اللهم لبيك » محمد متولى الشعراوى ص ١٤٨ ٠

الفصـــل الســابع

أنبياء الله لدى المسلمين .. وأصحاب الملل الاخرى

نظرة الاسلام الى أنبياء الله نظرة سامية ، تعلو هذه النظرة الى العصمة التامة في كل الأمور ، وفيما بلغوا به عن الواحد القهار ، بخلاف أصحاب الملل والاهواء والنحل الأخرى ، فان نظرتهم الى أنبياء الله هينه ــ فلا عصمه للأنبياء عندهم ــ الا فى أمور بسيطة ، ويؤكد ــ صاحب اظهار الحق هـذا الكلام بقوله . (اعلم ــ أرشدك الله تعـالى فى الدارين ، ان المسيحين يدعـون أن الأنبيـاء ، انمـا يكونون معصومين فى تبليغ الوحى فقط . تقريرا كان أو تحريرا ، وأما فى غير التبليغ فليسوا بمعصومين لا قبل النبوه ولا بعدها ، ويصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصدا ــ فضلا عن الخطأ والنسيان فيصدر عنهم الزنا بالمحارم فضلا عن الاجنبيات ويصدر عنهم عباده الاوثان وبناء المعابد لها ولا يخرج عندهم نبي من ابراهيم الى يحيى عليهما السلام لا يكون زانيا أو من أولاد الزنا ــ أعاذنا الله من أمثال هذه العقائد الفاسدة في حق الأنبياء عليهم السلام) (١) .

وبهذه النظرة المريضـة ، والاعتقاد الفاحش ، ألصـق أصحاب الملل الزائفة ، المعاصى والزنوب ، والكبائر ، التى يعتقدون بصحتها ويثبتونها فى كتبهم المحرفه ، بأنبياء الله وهم برءاء من هذا ، متعالون عن فعله ، وقد ذكر صاحب اظهار الحق ــ ما جزم به أعداء الله فى كتبهم ، متطاولين على أنبياء الله ــ تعالى ــ فيقول : (أقول ان هذه الكتب ليست كتبا آلهيه ، وأن أنكر بعض القصص مثل أن لوطا شرب الخمر وزنى بأبنتيه وحملتا بالزنا منه ــ وأن داود زنى بامرأه اوريا وحملت بالزنا منه ، وأشار الى أمير العسكر لان يدبر أمرا يقتل به اوريا فأهلكه بالحيرة وتصرف فى زوجته ــ وأن هارون صنع عجلا ، وبنى له مذبحا فعبده هارون مع بنى اسرائيل وسـجدوا له وذبحوا الذبائح أمـامه ــ وان سـليمان أرتد فى آخر العمر وعبد الاصنام وبنى المعابد لها ولا يثبت من كتبهم المقدسة أنه تاب بل الظاهر أنه مات مرتدا مشركا !! .

---

(١) اظهار الحق ــ رحمت الله الهندى ــ ص ٦٤٨ .

فان هذه القصص وأمثالها يجب علينا ان نذكرها ونقول أنها غير صحيحة جزما ، ونعتقد اعتقادا يقينيا ان صحه النبوه بريئه من أمثال هذه الأمور القبيحة . (١)

وهاك ثبت من كتبهم نضعه نصب أعين القارئ الكريم ، ليكون على بصيره بما يعتقده أعداء الله ويتطاولون به على أنبياء الله ورسله عليهم السلام.

أولا : مازعموه وبئس مازعموا من ان لوطا شرب الخمر وزنى بابنتيه جاء هذا الكلام في سفر التكوين : ٣٠ (فصعد لوط من صاغر وسكن الجبال وابنتاه معه وخاف أن يسكن صاغر وأوى الى الكهف هو وابنتاه معه) ٣١ (فقالت الكبرى منهما للصغرى ان ابانا قد شاخ وليس رجل على الأرض يستطيع أن يدخل علينا كالمرسوم لكل الأرض) ٣٢ (فهلمي نسقيه خمرا ونضطجع معه ونقيم من أبينا حلفا) ٣٣ (فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت الكبرى فاضطجعت مع أبيها وهو لم يعلم عند اضجاع ابنته ولا نهوضها) ٣٤ (ولما كان الغد قالت الكبرى للصغرى هو ذاقد أضجعت البارحة مع أبي فلنسقه خمرا في ليلتنا هذه أيضا وادخلي فاضطجعي معه فنقيم نسلا من أبينا) ٣٥ (فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا ودخلت الصغرى فاضطجعت مع أبيها ولم يعلم عند اضطجاعها ولا نهوضها) ٣٦ (فحملت ابنتا لوط من أبيهما)(٢) .

ثانيا : مازعموه — وبئس مازعموا — من ان نوحا شرب الخمر ، وسكر ، وصار عريانا — فجاء في سفر التكوين — الباب التاسع — ما يلي : ٢٠ (وبدا نوح رجل فلاح يحرث في الأرض وغرس كرما) ٢١ (وشرب خمرا فسكر وتكشف في خبا) ٢٢ (فلما نظر حام أبو كنعان ذلك — أي عورة أبيه أنها مكشفة — أخبر أخوته خارجا) ٢٤ (فلما أستيقظ نوح من الخمر وعلم بما عمل به أبنه الأصغر) ٢٥ (فقال ملعون كنعان فيكون عبد العبيد لاخوته)(٣) .

ثالثا : أما عن داود عليه السلام — فانه لم يسلم كذلك ، فقد بهته أصحاب الكفر والالحاد في كتبهم بأسوأ ما يكون ، فقد وردت قصته مع أوريا

---

(١) المرجع السابق ص ٨ .

(٢) أظهار الحق — رحمت الله الهندي — جـ ٢ ص ٦٥٢ ، ٦٥٣ نقلا عن الباب التاسع عشر من سفر التكوين .

(٣) اظهار الحق — جـ ٢ ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ .

(سفر صموئيل الثاني ـ أصحاح عدد ١١ ، ١٢ من الكتاب المقدس) جاء فيه (أنه بعد ان رآها وأعجب بها أرسل اليها رسلا وأخذها وأضطجع معها فحبلت فأخبرته فخشى أن ينكشف أمره فكلف قائده بأن يبعث زوجها في وجه الحرب ففعل فقتل وجاءت امرأته بولد من داود مرض ثم مات ـ ومن هذه المرأة ولد سليمان عليه الصلاة والسلام)(١) وجاء في « الخرافات المقدسة (وداود ينظر الى المرأة الجميلة العارية وهي تستحم فيرسل اليها رسلا لاستدعائها ويزنى بها ويرتكب مع زوجها الخيانة والغدر والقتل ليتخلص منه (سفر صموئيل الثاني أصحاح » عدد ٣ ـ ١٤ ـ ١٥) وقد جاء أنجيل متى في أصحاحه الأول عدد ٦ فقال « وداود الملك ولد سليمان من التى لاوريا » وأوريا هذا هو المسكين زوج المرأة التى زعموا أن سليمان زنى بها)(٢) ويعلق الشيخ مصطفى درويش فيقول : (واذا كان الأنبياء فى نظر هذه الأسفار بهذه الصورة فأى رسالة تلك التى جاءوا لتبليغها الى العباد ؟ وترى هل أخطأ من أختارهم لتبليغها !؟)(٣) .

وكلمة حق ، صدرت من رجل عرف الحق ، آثرنا أن نردا بها معا على هؤلاء الكفار المجرمين والضلال المتوقحين هى قول الشهيد « أحمد سامى عبد الله)(٤) فى كتابه « لماذا وكيف اسلمت » فيقول ـ رحمه الله ـ : « فارجعوا من غيكم أيها المضللون وآمنوا بالذى يقول للشىء كن فيكون وأعدلوا بين أنبيائه المرسلين ، فلا تؤلهوا البعض والآخر تكذبون ، والنبوءات التى فى الكتاب تبدلون وتقولون على الأنبياء لله يستضيفون وبه يكرمون ، والبعض يزنون ، فأين تذهبون !؟

وبعد أن تضع هذه الحقائق أمام القارىء الكريم التى هى قطرة من بحر ، وجزء من قمطر ، مما امتلأت به كتب هؤلاء الغالين ، **(قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم)**(٥) وقد أخبرنا الحق سبحانه انهم بدلوا وغيروا فى كتبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه ، فقال تعالى : **(فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به)**(٦) .

---

١) الكتاب المقدس ص ٢٤٥ ، الجواب الكافى ـ ابن القيم ص ٢٤٧ .

(٢) الخرافات المقدسة ـ الشيخ مصطفى درويش ص ١٥ .

(٣) الخرافات المقدسة ص ١٥ .

(٤) من محافظة سوهاج ـ مركز طهطا ، كان نصرانيا فأسلم وكان إسمه قبل ان يسلم « تناغو قصد الله تناغو » .

(٦) (المائدة : ١٣) .

أ لمثل هذا الدرك والدرك الأسفل - ينزل الشيطان بعقل الانسان !! ويزين له المعصيه ، حتى يكفر بالله ورسله كفرا صريحا !! فما ثمة شك بعد ذلك من ان نبينا ﷺ نبى من هؤلاء الأنبياء الذين تطاولوا عليهم • وقذفوهم بأبشع الكذب وأنكر البهتان ، واذا كان هذا حال الأنبياء معهم فكيف شأن نبينا اذن وهم • إعدى أعداء له ولرسالته • **(وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين)**(١) •

ونحن لا نشنع بمعتقدات هؤلاء **(فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون)**(٢) •

انما هى الحمية التى تدفعنا من منطلق الايمان الراسخ لان ندافع عن أنبياء الله ، وننفى عنهم كل شبه ، وريب مؤمنين بعصمتهم لا فرق عندنا بين نبى ونبى ، فكلهم أنبياء الله ورسله ، حملوا أمانة الله كما هى وبلغونا أياها **(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله •••)**(٣) •

ومن جانب آخر فاننا نبين معتقداتهم الزائفة ، ونصحح مغالطاتهم وجرائمهم البشعة ، ونحن فى هذا لا نعتمد الا على القول الصحيح الذى أراد الله ان يظهره ويبينه على أيدى رجال قادتهم خطاهم الى طريق الله الواحد القهار ، طريق الله المستقيم ، فجاء على لسان رجل تربى فى أحضان كنائسهم ومعابدهم ، فيقول : ليس لاعتقادهم أصل يعولوا عليه ، ولا برهان يستند اليه ، قد اقتدوا بقوم لا يعقلون ، وأغتروا بجهال لا يفقهون • **(واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)**(٤) • فمن أراد تحقيق أحوالهم وكشف أفعالهم ، فينظر الى علمائهم الموجودين ، ومشائخهم المتزهدين ورهبانهم المتعبدين ، ومن حبس نفسه عن اللذات ومنعها من الشهوات وليجعل ما يشاهده منهم قياسا على ما سمعة عنهم - فانه دليل على الذى لا نراه من الذى نرى - فانه يجدهم أضعف تأويلا ، وأضل سبيلا كلهم قد ضل وأضل)(٥) •

---

(١) (الفرقان : ٣١) • (٢) (الزخرف : ٨٣) •
(٣) (البقرة : ٢٨٥) • (٤) (البقرة : ١٧٠) •
(٥) النصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية - نصر بن يحيى ص ٥٢ ، ٥٣ •

ومن جانب ثالث : فاننا نحمى عقول أتباعنا ، ونحجزهم عن السير وراء هذه الأقوال المذمومة والافتراءات المزعومة مبينين لهم الحق من الباطل ، حافظين عليهم دينهم الذى ارتضاه الله لهم ، حتى لا يقعوا فى حبال الشرك وظلمات الالحاد - اعاذنا الله من ذلك ·

ومن جانب رابع : فاننا نبين الحق لوجه الحق ، ونناشد الذين زلت أقدامهم ، وتعثرت خطواتهم ، وتطاولت على الله وأنبيائه ألسنتهم ، وعاموا فى تيار بحر الضلالة ، وركضوا فى ميدان الجهاله ان يرجعوا عن غيهم ، ويكفوا عن شهواتهم ، ويتبرأوا مما قالوا ، فاذا أتبعوا العناد واللجاج ، فلزاما علينا ان نقول لهم : أنكم من الاخسرين أعمالا · الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا **(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنهم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا)**(١) ·



---

(١) (الكهف : ١٠٣ - ١٠٦) ·

والرب أيضا .. في أسفارهم

حتى رب العالمين - سبحانه - تطاول عليه - أهل الكتاب - في أسفارهم - بأخس الأقوال وبهتوه بأنكر البهتان ، وسلبوه قداسته سبحانه - فتخيلوه خروفا مذبوحا وسط العرش كما صرح بذلك يوحنا في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي اصحاح ٤ ، ٥ .

وفي المقابل ، يجعلون القداسة للرئيس الديني عندهم - ويجعلون لله ما يكرهون . والمصارعه الربانية التي دخل فيها يعقوب مع الله والتي أستمرت حتى طلوع الفجر - بدون وقت لبدايتها - لانها مباراه غير المباريات المألوفه - ليس لها حكم - واذا كان هناك حكم فربما يكون قد نسي ساعته - حسب ما يتخيله المعتقدون في ذلك !! وهذا ما قرره سفر التكوين - ١٨ - « فبقى يعقوب وحده وصارعة انسان حتى طلوع الفجر ولما راى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال : أطلقني ... فقال لا أطلقك ان لم تباركني !! ... »

وما أشهى الوليمه التي أعدها ابراهيم للرب ومعه اثنين من الملائكة تجمع هذه الوليمة بين الزبد واللبن والعجل المذبوح والخبز الذى صنعته ساره لهم(١) - وهذا ما صرح به سفر التكوين - ١٨ . « وظهر له (لابراهيم) الرب ونظر واذا ثلاثة رجال ... وقال يا سيد ان كنت وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك . فأسرع ابراهيم الى الخيمة الى ساره وقال : أعجني وأصنعي خبز مله ثم ركض ابراهيم الى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم واذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجره أكلوا ... » تكوين ١٨ .

ويعلق الشيخ مصطفى درويش على هذه الوليمة الربانية فيقول : « وفي الواقع هذه الوليمة الريفية تصلح لثلاثة رجال يريدون ان يروحوا عن أنفسهم في نزهة تحت ظل شجرة مع زبد ولبن وعجل سمين أما ان يقال ان هذه الوليمة أعدت للرب واثنين من ملائكته فذلك شيء يرفضه حتى عبده

---

(١) (الزمر : ٣) .

الاصنام الذين قالوا عن أصنامهم « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** »(١) ٠

ويظهر ان مؤلف هذا السفر أتى بايجاز كبير فلم يذكر لنا كم مكث ضيوف ابراهيم وهل تطلب الأمر الذهاب الى دورات المياه أم لا : !؟) (٢) ٠

ولم يتركوا كتاب هذه الاسفار ربهم عازبا بل زوجوه — سبحانه — وأنجب بنين ، ولم يكتفوا في الانجاب له من البنين بعيسى وحده بل نسبوا اليه بنوه شائعة !! فقد جاء في أنجيل متى ٥ : ٩ » طوبى لصانعى السلام لانهم أبناء الله يدعون » وجاء في متى أيضـــا ٥ : ٤٨ — « أباكم الذى في السموات هو كامل » وجاء في لوقا ٣ : ٣٨ « آدم ابن الله » وجاء في الخروج ٤ : ٢٣ « اسرائيل ابن الله البكر » ٠

ولا أدرى أى عقيدة تلك : وأى خلط هـذا ٠ **ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون»(٣)**

ضلوا النصارى عن اله الـورى — وضيعوا من حقـة الواجبـا

قالوا : له سبحانه زوجـــه — ما تركـــوا ربهـــم عازبـــا

ما نزهـــوا الرحمن ســبحانه — ونزهـــوا البطرك والراهبـــا

---

(١) وهذا الكلام الباطل المزعوم وأمثاله من القصص والأسـاطير الخيالية ، يحكى للتلاميذ فى الكنائس على مختلف أنواعها ، بشهادة شاهد عيان منهم وهو « أحمد سامي عبد الله » فيقول : فى حديثه عن رحلته الايمانية عندما كان في المرحلة الاعدادية : « لا شك أنني واظبت على حضور مدارس الأحد هذه فترة من الوقت ، لانني ولله الحمد أميل كثيرا الى الدين والتدين بطبعي منذ صغرى ، ثم ما لبثت أن هجرتها الى الأبد والى غير رجعة ذلك عندما روى لنا الشخص المشرف عليها فى ذات مـره « **قصة سيـدنا ابراهيم عليه السلام وضيوفه الثلاثه** » ٠٠٠ الخ هذه القصة ثم ماليث أن سأل (اى المشرف على هذه الكنيسة) مستفسراً في نهاية الروايه « **أتعلمون من هؤلاء الثلاثه** ضيوف ٠٠٠ ! ؟ »

قلنا له جميعاً :

« لا نعلم عنهم شيئا ، لأننا لم نكن ندرس عنهم شيئا فى المدرسة :

فاجاب (أى المشرف على الكنيسة) بكل بساطة ٠ بساطة المتيقن مما يقول : « هم الله فى الوسط ومعه اثنين من الملائكة عن اليمن واليسار » ٠

وراجع كتابه « لماذا وكيف أسلمت » ص ٥٧ ، ٥٨ ٠

(٢) الخرافات المقدسة — مصطفى عبد اللطيف درويش ص ١٣ ٠

(٣) النحـل ٦٢ ٠

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . ونشهده سبحانه أننا برءاء من هؤلاء ومعتقداتهم :

محال لا يساويه محال وقول في الحقيقة لا يقال

وفكر كاذب وحديث زور بدا منهم ومنشؤه الخيال

تعالى الله ما قالوه كفر وذنب في العواقب لا يقال

تعالى الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، ومنزه عن الزوجة والولد .

« **قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد** »(١)

« **وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما في السموات وما في الأرض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون عى الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** » (٢) .

هذا ثبت وضعناه أمام أعين القارىء الكريم ، وبين يديه ، وهو ليس كل بضاعتهم ، بل ان هذا قطره من بحر وغيض من فيض ، من ضلالهم وأباطيلهم تبين اعتقادهم السيىء الوقح في الله وملائكته ورسله ، فما أبشعه من اعتقاد وما أبعده عن الفطره .

وعجبا لقوم بيوتهم من الزجاج ويقذفون الناس بالحجارة !! ومحمد ﷺ واحد من أنبياء الله ورسله — كما قلنا من قبل فلا عجب فيما وصفوه به بعد كل هذا ، ولا غرابة . فيما قالوه عنه وأشاعوه حوله من أكاذيب وما انتحلوه من أباطيل ... فهذا شأنهم . وتلك عقيدتهم .

ومن يكون محمدا .. اذا كان الله عندهم — صاحب الزوجة ، والولد والشهوه والمصارعة ، واليد المغلولة ... !! وصدق الله العظيم سبحانه « **وأملى لهم ان كيدى متين** » (٣) .

سبحان الله .. وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . « **ومن يهن الله فماله من مكرم** » (٤) .

---

(١) الأخلاص : ١ — ٤ .

(٢) يونس : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) (القلم : ٤٥)

(٤) (الحج : ١٨)

خاتمـــــة

عصمـــة الأنبيـــاء

وهـذه النبذه المختصرة تضعها نصب أعين القـراء ، وبين يـدى المعاندين ، كى يعرفوا لأنبياء الله ورسله قدسيتهم وقدرهـم وتعاليهم عن البشر ·

فقد صرحت الادلة وقامت أعمدتها ، على ان أنبياء الله معصومون فى فترة النبوه عن ارتكاب الذنوب عمدا · من هذه الادلة التى صرحت بذلك ، قوله سبحانه حكاية عن ابليس ــ لعنة الله ــ **(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين)**(١) فالاستثناء فى هذه الآية اقتصر على المخلصين من عباد الله · فلا سبيل للشيطان فى أغوائهم · والمخلصون هم الأنبيـاء والرسل والهداه الذين أخلصهم الله لذاته واصطفاهم من عباده ، ليكونوا دليلا صالحا وقدوة طيبة ، وأسوه حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ، ويريد السير على معالم الطريق المستقيم ·

وعندما صرف سبحانه ــ عن يوسف ــ عليه السلام ــ السوء والفحشاء فقـال حكاية عنه : **(كذلك لنصرف عنه الســوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصـين)**(٢) · ما كان ذلك الا لأنه من جملة عبـادة المخلصـين الذين عصمهم الله وحفظهم من الذنوب ، ويقول عن ذرية ابراهيم عليه السـلام : **(انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)**(٣) فالأنبياء معصومون من قبل الله تعالى ، محفوظون من الخطايا ومحاطون بعناية الله ورعايته · قال الألوسى : (ونعلم قطعا ان الانبياء ــ عليهم السـلام ــ معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم فى شىء منه ضرورة أنا لوجوزنا عليهم شيئا من ذلك لبطلت الشرائع ولم يوثق بشىء مما يذكرون أنه وحى من الله تعالى)(٤) · فالأنبيـاء معصومون بلا نزاع بين أحـد فى ذلك ولولا ان الله عصمهم ما أمرنا بالاقتداء بهم : **(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)**(٥)

---

(١) (ص : ٨٢ ، ٨٣) · (٢) (يوسف : ٢٤) ·
(٣) (ص : ٤٦ ، ٤٧) ·
(٤) (الالوسى ــ روح المعانى ــ جـ ٢٣ ص ١٨٥ ·
(٥) (الأنعام : ٩٠)

ويقول سبحانه عن نبينا خاصة ﷺ : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة** حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)(١) .

ومحمد ﷺ ما عصى قط ربه ، لا قبل البعثة ولا بعدها ، تكرمه وتفضلا عليه - من الله العزيز - سبحانه - كما يقول ابن العربي : « وكانت عصمته من الله فضلا لا استحقاقا ، اذ لايستحق عليه شيئا رحمه لا مصلحه ، كما تقول القدريه للخلق ، بل مجرد كرامه له ورحمه به ، وتفضل عليه ، واصطفاء له ، فلم يقع قط لا في ذنب صغير - حاشا لله - ولا كبير ، ولا وقع في أمر يتعلق به لأجله نقص ولا تعبير . »(٢)

ومدار لقول في عصمة الأنبياء - عليهم السلام - أنهم معصومون من قبل الله سبحانه ، فلا ينبغي لأحد ان يذكر نبيا الا بما ذكره الله به ، لا يزيد عليه ، وقد قال الله سبحانه (نحن نقص عليك أحسن القصص) (٣) أي أصدقه وأوثقه في بعض التأويلات .

« الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونوروا أن تلكم الجنة أرثتموها بما كنتم تعملون »(٤)

وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وخاتم النبين ، وآله واصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .



---

(١) (الاحزاب : ٢١) .
(٢) أحكام القرآن - ابن العربي ج ٤ ص ١٥٤٢ .
(٣)(يوسف : ٣) .
(٤) (الاعراف : ٤٣) .

مصــــادر ومـــــراجع

اسـم الكتـاب	اسـم المؤلف	النـاشـر
كتب التفسـير		
أحكام القـرآن	ابن العربى ت. عـلى محمد البجاوى	طبعة بيروت
البحر المحيط	أبى حيـان	بـيروت
التفسير الواضح	د. محمد محمود حجازى	مكتبة النهضة الاسلامية
التفسير الوسيط	لجنة من علماء الأزهر	الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
الجامع لاحكام القرآن	القرطبى	طبعة الشعب
الفتوحات الالهية	الشيخ الجمل	بـيروت
تفسير أبى السعود	تحقيق : عبد القادر عطا	بـيروت
تفسير آيات الاحكام	محمد على الصابونى	دار الصابونى
تفسير ابن كثير	الحافظ عماد الدين	دار الحديث
تفسير الخازن	للخـــازن	محفوظ بمكتبة رفاعة بسوهاج
تفسير الكشاف	محمود بن عمرالزمخشرى	بـيروت
تفسير المنار	رشـيد رضـا	الهيئة العامة للكتاب
الدر المنثور في التفسير بالمأثـــور	جلال الدين السيوطى	بـيروت
روح المعانى	الالوسى	بـيروت
صفوة التفاسير	محمد على الصابونى	دار الصابونى
فى رحاب التفسير	عبد الحميد كشك	المكتب المصرى الحديث
فى ظلال القرآن	سـيد قطب	دار الشروق
مفاتيح الغيب	الفخر الرازى	بـيروت

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
معانى القرآن	للأخفش ت د٠ عبد الأمير محمد أمين	بيروت
كتب الحديث		
جامع العلوم والحكم	تحقيق الدكتور الاحمدى أبو النور	المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
رياض الصالحين	النووى	بيروت
فتح البارى بشرح صحيح البخارى	ابن حجر	المطبعة الخيرية بمصر
كتب الصحاح الستة		
كتب السير		
أصول السيرة المحمدية	عبد العزيز بن راشد النجدى	دار الطباعة والنشر الطبى
السيرة الحلبية	الحلبى	بيروت
السيرة النبوية	ابن هشام	دار الانصار ٠ القاهرة
السيرة النبوية	ابن كثير / مصطفى عبد الواحد	بيروت
القول المبين فى سيرة سيد المرسلين	د٠ محمد الطيب النجار	ليس عليه دار نشر
فقه السيرة	الشيخ محمد الغزالى	دار الكتب الحديثة
وفاء الوفاء	للسمهودى	بيروت
كتب التاريخ		
البداية والنهاية	ابن كثير	بيروت
الكامل فى التاريخ	ابن الاثير	بيروت
تاريخ الأمة العربية	عبد الفتاح شحاته	دار المعارف
تاريخ الرسل والملوك	ابن جرير الطبرى	دار المعارف

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
كتب الديانات		
اظهار الحق	رحمت الله الهندى	توزيع الاهرام
الخرافات المقدسة	مصطفى عبد اللطيف درويش	دار الثقافة العربية
النصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية	نصر بن يحيى بن عيسى المتطيب ت د. محمد عبد الله الشرقاوى	دار الصحوة
تحفة الاريب فى الرد على أهل الصليب	أنسلم تورميدات د. محمود على حماية	دار المعارف
لماذا وكيف أسلمت	الشهيد أحمد سامى عبد الله	دعوة الحق ـ مكة
كتب أخرى		
الاتقان فى علوم القرآن	جلال الدين السيوطى	بيروت
الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير	دكتور / محمد بن محمد أبو شهبه	مكتبة السنة
الاسلام تعقل واستنباط	د. محمد عبد المنعم القيعى	مطبعة الشعب
الاسلام والحياة الزوجية	سعيد الشرقاوى	الهيئة العامة للكتاب
الانسان بين المادية والاسلام	محمد قطب	دار الشروق
تمييز الطيب من الخبيث	عبد الرحمن الشيبانى	مكتبة صبيح
الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى	ابن القيم	دار الهدى
الرسول ﷺ	سعيد حوى	بيروت
الفتاوى	ابن تيميه	دار الغد العربى

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الناشر
النبى زوجا	نشأت المصرى	المختار الاسلامى
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب	الألوسى	بيروت
بنات النبى	د. عائشة عبد الرحمن	بيروت
حق الزوج على زوجته	الشيخ طه عبد الله العفيفى	دار الاعتصام
حياة محمد	محمد حسنين هيكل	احياء التراث العربى
خاتم النبين	محمد أبو زهرة	دار الفكر العربى
دحض مفتريات لويس عوض	د. البدراوى زهران	دار النهضة العربية
رجال حول الرسول	خالد محمد خالد	بيروت
شبهات حول الاسلام	محمد قطب	دار الشروق
صور استشراقية	د. عبد الجليل شلبى	دار الشروق
فقه السنة	سيد سابق	دار التراث
مائة سؤال عن الاسلام	الشيخ محمد الغزالى	دار ثابت
محمد رسول الله - فى القرآن الكريم	محمد كامل الملطاوى	دار المعارف
لبيك اللهم لبيك	الشيخ / محمد متولى الشعراوى	المكتب المصرى الحديث
معجزة القرآن	الشيخ / محمد متولى الشعراوى	أخبار اليوم
نساء النبى	د. عائشة عبد الرحمن	بيروت
مفحمات الأقران	جلال الدين السيوطى	هامش الفتوحات الالهية
لسان العرب	ابن منظور	دار المعارف
مجلة الوعى الاسلامى	العدد ٢١٢	الكويت

الموضـــوع	الصفحة
تقديم بقلم فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشــك	٣
تمهيـــــــد	٥
الفصـــل الأول :	
تعدد الزوجات فى الشريعة الاسلامية	١٣
مزايا التعـــدد	١٦
سماحة الاسلام فى التعدد	١٩
الفصـــل الثانى :	
تعدد زوجات الرسول ٠٠ ضرورة تقتضيها الدعوة	٢١
الدافـــع الأول	٢١
الدافـــع الثـــانى	٢٤
الدافـــع الثالث	٢٥
الدافـــع الرابـــع	٢٧
الدافـــع الخامس	٣١
الدافـــع السادس	٣٥
الدافـــع الســـابع	٣٧
الفصـــل الثالث :	
نقطتان جوهريتان	٤١
تراجم أمهات المؤمنين	٤٤
الفصـــل الرابـــع :	
موقف الصحابه ـ تجاه زواج الرسول ٠٠ الدليل الأول	٥١
خلفاء الرسول وموقفهم من زواجه	٥٥
موقف عثمان وعلى	٥٦
الصحابه خير برهـــان على زواج النبى	٦١
حرية المرأة فى المجتمع الاسلامى ٠٠ الدليل الثانى	٦٤
أنكحه الجاهليـــة	٦٧
المرأة فى رحاب المجتمع الاسلامى	٦٨
حق المرأة المسلمة فى اختيار زوجها	٦٩
ملك اليمين فى الشريعة الاسلامية ٠٠٠ الدليل الثالث . . .	٧٦
سرارى الرســـول	٧٩
رأى جديد ٠٠ فى تفسير آية ٠٠ الدليل الرابع	٨١
الفصـــل الخـــامس :	
شبهتان متناقضتان ٠٠ الدليل الخامس	٨٣

الموضـــوع **الصفحة**

حقيقة العتاب فى القرآن الكريم ٨٨
صفات النبى فى القرآن والكتب الأخرى .. الدليل السادس . ٩٣
صفات النبى ... فى الزبـــور ٩٣
صفات النبى ... فى التـــوراه ٩٥
صفات النبى ... فى الانجيـــل ٩٩
صفات النبى ... فى القـــرآن الـكريم ١٠٠

الفصـــل الســـادس :

قصة زينب .. وزواج الرسول منها ١٠٥
زيد بن حارثه ، ـ وتبنى الرسول له ١٠٦
الحـكمه مـن تبني زيـــد ١٠٩
زواج زيـــد مـن زينب ١١٠
زينب والخيرة بين أمرين ١١١
ارادة بعـــد ارادة ١١٢
زواج الرسول من زينب أمر بعد علم ١١٣
افتراءات كاذبه .. ودسائس مكشوفه ١١٥
رأى المفســرين القـــدامى ١١٦
رأى المفســرين المحـــدثين ١١٩
تعقيـــــب ١٢٤
التفســير الصـــحيح للآيـة ١٢٧
ولمـــاذا زيـــد وزينب ؟ ١٣٠
وقفه مع حديث .. أسيىء فهمه وروايته ١٣٣

الفصـــل الســـابع :

أنبياء الله لدى المسلمين ـ وأصحاب الملل الأخرى ١٣٥
والرب أيضـا .. فى أســفارهم ١٤٠
خاتمة .. عصمه الأنبياء عليهم السلام ١٤٢
المراجـــــع ١٤٥



مطبعة بدر مصطفى

شارع كلوت بك . تليفون : ٩٠٩٥٧٦

٣٠٠ قرش